



الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين التوظيفات والشبهات
دراسة تحليلية مقارنة

2023

أطروحة دكتوراه

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Mahmud CÜNEYT

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU

الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين التوظيفات والشبهات
دراسة تحليلية مقارنة

Mahmud CÜNEYT

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU

بحث أُعدّ لنيل درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية
بمعهد الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

كارابوك

أيلول/2023

المحتويات

1	المحتويات
4	صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)
5	صفحة الحكم على الرسالة
6	DOĞRULUK BEYANI
7	تعهد المصادقية
8	المقدمة
10	الملخص
12	ÖZET
14	ABSTRACT
16	ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ
17	بيانات الرسالة للأرشفة
18	ARCHIVE RECORD INFORMATION
19	الاختصارات
20	تمهيد
20	أسباب اختيار الموضوع
21	مشكلة الدراسة
23	أسئلة الدراسة
24	أهداف الدراسة
25	أهمية الدراسة
26	المنهج المستخدم في الدراسة
26	حدود الدراسة
27	الدراسات السابقة
34	الفجوة البحثية
35	هيكل الدراسة
39	الفصل التمهيدي مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين مشروعيته و علة الجهاد وضوابطها والحكمة منه
40	مفهوم الجهاد، ومشروعيته من الكتاب والسنة، والحكمة منه
40	تعريف الجهاد لغةً وشرعاً

44.....	مشروعية الجهاد من الكتاب والسنة
44.....	مشروعية الجهاد من القرآن الكريم
50.....	مشروعية الجهاد من السنة
52.....	علة الجهاد وضوابطها والحكمة من مشروعية الجهاد.....
55.....	الفصل الأول: مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين
55.....	المبحث الأول: مفهوم الجهاد عند تفاسير القدامى
56.....	المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند المفسرين القدامى، بالرأي والمأثور.....
62.....	المطلب الثاني: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى
79.....	المبحث الثاني: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين
80.....	المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين
103.....	المطلب الثاني: مفهوم الجهاد في التفسير الإشاري.....
113.....	الفصل الثاني أنواع الجهاد والتوظيفات المعاصرة له
113.....	المبحث الأول أنواع الجهاد
114.....	المطلب الأول: مفهوم جهاد الدفع والطلب عند المفسرين القدامى والمحدثين وأقسام كل منهما
134.....	المطلب الثاني: حكم جهاد الدفع وجهاد الطلب عند الفقهاء
141.....	المطلب الثالث: التقاتل بين المسلمين وأسبابه
160.....	المطلب الرابع: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى والمحدثين
161.....	المفهوم الأول: الجهاد بمعنى القتال.....
166.....	المفهوم الثاني: الجهاد لأجل الدفاع عن الدين
169.....	المفهوم الثالث: الجهاد الإصلاحى
179.....	المفهوم الرابع: الجهاد من أجل الدفاع عن الوطن.....
182.....	المفهوم الخامس: الجهاد السياسى
195.....	المفهوم السادس: جهاد المرأة
198.....	المفهوم السابع: الجهاد في وسائل التواصل الاجتماعى
205.....	المبحث الثاني التوظيفات المعاصرة للجهاد.....
206.....	المطلب الأول: التوظيف السياسى للجهاد.....
208.....	المطلب الثاني: التوظيف المذهبى للجهاد.....
211.....	المطلب الثالث: التوظيف الإقتصادى للجهاد
218.....	الفصل الثالث الشبهات التى أثرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، والردود عليها
218.....	المبحث الأول بعض الشبهات القديمة حول الجهاد والرد عليها

219	المطلب الأول: شبهة النسخ في الجهاد
230	المطلب الثاني: شبهة الجزية
237	المبحث الثاني بعض الشبهات الحديثة حول الجهاد والرد عليها
239	المطلب الأول: شبهة دعوى أن الإسلام إنما انتشر بالسيف
254	المطلب الثاني: شبهة دعوى أن جهاد المسلمين من الإرهاب
263	المطلب الثالث: شبهة دعوى بعض علماء المسلمين أن العلم أفضل ومقدم على الجهاد
267	المطلب الرابع: شبهة الإفراط والغلو في الدعوة إلى الجهاد من بعض العلماء
271	الخاتمة
271	النتائج
277	التوصيات
280	المصادر والمراجع
301	السيرة الذاتية

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)

Mahmud CÜNEYT tarafından hazırlanan “KUR’AN’DA CİHAT AYETLERİNİN ESKİ VE YENİ YORUMLARI (ELEŞTİREL BİR ÇÖZÜMLEME ÇALIŞMASI)” başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU
Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Doktora tezi olarak kabul edilmiştir. 06/09/2023

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)

İmzası

Başkan : Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU (KBÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Mustafa GÖREGEN (KBÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ)

Üye : Doç. Dr. Muhammed Alparslan KARTAL (KÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Assad Mohammed ALHASHMI (MAÜ)

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN
Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب محمود جُنيد بعنوان "الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين التوظيفات والشبهات دراسة تحليلية مقارنة" في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كرسالة دكتوراه.

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU

المشرف على الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الدكتوراه هذه بالقبول بإجماع من قبل لجنة المناقشة، بتاريخ

06/09/2023

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة : Doç.Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU (KBÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Mustafa GÖREGEN (KBÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ)

عضواً : Doç. Dr. Muhammed Alparslan KARTAL (KÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Assad Mohammed ALHASHMI (MAÜ).....

تمّ منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

مدير معهد الدراسات العليا

DOĐRULUK BEYANI

Doktora tezi olarak sunduĐum bu alıřmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdıĐımı, arařtırmamı yaparken hangi tür alıntılarını intihal kusuru sayılacağını bildiĐimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme arařtırmamda yer vermediĐimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden olduĐunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana baĐlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptıĐım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya ıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Mahmud CÜNEYT

İmza:

تعهد المصادقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين التوظيفات والشبهات دراسة تحليلية مقارنة"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: محمود جُنيد

التوقيع:

المقدمة

لم يعرف التاريخ مسألة من مسائل الدين دار حولها الكثير من الاختلاف كمسألة الجهاد، وبسبب هذا كان لا بد من العمل على توضيح المراد الحقيقي للجهاد وفق الضوابط الشرعية التي نقلها إلينا سلف الأمة، الجهاد الذي يمهد الطريق أمام الدعوة الإسلامية ويحميها، لا ذلك الجهاد الذي يمهد الطريق أمام إراقة الدماء بغير حق، وفق ضوابط مبنية على المصالح والعصبية.

ولعل التغيرات الدولية والحروب التي حصلت في العصر الحديث ضد المسلمين، فتحت المجال أمام أعداء الأمة لأن يقوموا بتكليف مجموعات تحسب على الدين من أجل تشويه صورة الإسلام عند أعدائه، وفي بعض الأحيان عند المسلمين أنفسهم، بحجة أن الجهاد لا يتوافق والمواثيق الدولية، لتقوم تلك المجموعات بقصد أو بغير قصد إلى الدعوة إلى التغيير الجذري لأحكام الجهاد، فظهرت على الساحة حركات إسلامية مدعومة من مفكرين إسلاميين، البعض منهم ينادي بالجهاد، والبعض الآخر ينادي بإسقاطه، بحجة وجود البديل المتمثل بهيئة الأمم المتحدة، وفي خضم ما يجري كان لا بد من الرد العلمي على تلك التحديات التي تسعى للكيد من الإسلام والمسلمين.

فهل الأحداث والحروب التي تمر بالعالم الإسلامي هي من الجهاد؟ أم أنه كما أخبر الله تعالى به بقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65].

في هذا البحث سنقوم بدراسة الجهاد بشكل موضوعي دقيق، بهدف الوصول إلى حقيقة الجهاد، وتعميق الوعي الفكري الذي يوضح لنا الحال الذي نعيش فيه، ويصيرنا بالمكائد التي تحاك ضد المسلمين، فقد تعلق في ذهن الكثير من المسلمين أن الجهاد محصور بالقتال وحمل السلاح ضد الأعداء، والصحيح أن القتال

مفهوم من عدة مفاهيم للجهاد، والدعوة الإسلامية تحتاج إلى كل مفاهيم الجهاد التي سنبينها، وليس فقط الجهاد القتالي.

لقد سعى الباحث إلى توضيح تلك الأحوال التي تطرأ على المسلمين، وختم البحث بمعالجة تلك الشبهات التي أثارها المستشرقون وبعض من يمثلونهم من المفكرين الإسلاميين المتأثرين بالإستشراق، من خلال دراسة استقرائية توصيفية تستدعيها بنود البحث ومنهجيته.

يتوجه الباحث بالشكر العميم إلى المشرف الكريم الأستاذ الدكتور إبراهيم حقي إمام أوغلوا على ما بذله من نصح وتوصيات أثرت البحث بالمفيد من المعلومات، والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور محمد حسام شوشة الذي كان عوناً في إتمام البحث وتلافي ما حصل فيه من أخطاء، وكذلك يشكر الباحث الأستاذ الدكتور مصطفى كوركان على دعمه ومساندته للباحث أثناء الدراسة، والحمد لله أولاً وآخراً.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين، التوظيفات والشبهات، دراسة تحليلية مقارنة، وذلك من خلال استقراء معاني الجهاد عند القدامى والمحدثين من المفسرين، والوقوف على تلك المعاني وإسقاطها على واقع المسلمين، وقد تناولت لتوضيح وبيان الإطار المفاهيمي للدراسة تعريف الجهاد لغة وشرعاً، ومشروعيته والحكمة منه، وكذلك تناولت مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين، وبينت أنواع الجهاد والتوظيفات المعاصرة له، وتطرقت إلى الشبهات التي أثرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، والردود عليها، وذلك حلاً لإشكالية الدراسة التي تتمثل في انتشار الأفكار الجهادية التي تعتمد في أكثرها على اجتهادات خاطئة، أدت إلى إحداث نظرة تحمل في طياتها الشك والالتحام للإسلام والمسلمين، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي، واستعنت أيضاً بالمنهج التاريخي والمنهج المقارن، حيث أن هذه الدراسة سدت الفجوة البحثية المتمثلة في ظهور مفاهيم جديدة للجهاد لم تكن في سابقها من التفاسير، منها ما هو منطقي تلقته الأمة بالقبول، ومنها ما خالف جمهور المفسرين وخالف الضوابط الشرعية التي أثبتها الفقهاء والمفسرون في أمهات الكتب المعتمدة، وقد توصلت إلى عدة استنتاجات تفيد بأن الله تعالى شرع الجهاد رحمة بالناس جميعاً، وعلى مختلف أديانهم، وذلك من أجل أن يخلص البشرية من الظلم والطغيان. إن المفهوم العام للجهاد يشتمل على جميع مناحي الحياة، وعلى جميع الأصعدة السياسية والاجتماعي والإقتصادي والفكري، وكل واحد من هذه الأصعدة يحمل في طياته صراعاً داخلياً، يحتاج إلى نوع معين من الجهاد، مع التأكيد على أن هناك ثلة من العلماء والمفكرين المعاصرين

المتأثرين بالإستشراق عملوا إلى تفرغ الجهاد من مضمونه، وتعطيله بحجة أنه لا يتوافق والقوانين الدولية الحديثة، وانخدعوا انخدع بأراء المستشرقين وتماشى معهم، لينتج عن ذلك غزواً فكرياً تسبب في انقسام علماء المسلمين إلى طائفتين، كل منهما تخطئ الأخرى، وفي الحقيقة إن الأفكار الجديدة التي جاء بها المفكرون تحتاج في معظمها إلى إعادة النظر، والتوسع في مضامينها وقياسها على أقوال العلماء والمفسرين، ومن ثم توضيح إلى أي مدى تناسب حال ومصالحة المسلمين، وهذا يتطلب من علماء المسلمين توحيد الجهود في عقد المؤتمرات والأندية العلمية التي تجمع أقطاب الفقهاء والمفسرين المتواجدين في كافة البلاد الإسلامية، وذلك لتحديد الضوابط الشرعية للجهاد، بحيث ينقطع الطريق أمام بعض المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق الذي أطلقوا في الآونة الأخيرة تصورات خاطئة للجهاد.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الجهاد، المفسرون القدامى، المفسرون المعاصرون، دراسة تحليلية.

ÖZET

Bu araştırma, eski ve çağdaş tefsirler bağlamında cihâd kavramının anlamını, bu kavramın uygulamalarını ve bu kavram hakkındaki şüpheleri ortaya koymayı amaçlamaktadır. Karşılaştırmalı analitik bir üslupla tefsircilerin klasik ve modern dönemlerdeki cihâd anlayışları çözümlenmiş ve bu anlamlar, Müslümanların gerçek hayatına yansıtılarak incelenmiştir. Çalışma, kavramsal çerçevenin açıklığa kavuşturulması için aşağıdaki başlıklar altında ele alınmıştır: Cihâd'ın dil ve İslâm hukukundaki tanımı, meşruiyeti ve hikmeti, Klasik ve modern tefsirlerde cihâd kavramı, Cihâdın türleri ve modern dönem kullanımları, Cihâdla ilgili eski-yeni şüpheler ve bu şüphelere verilen cevaplar. Bu çalışma, cihadı yanlış yorumlayan düşüncelerin yayılmasına yol açan, İslam ve Müslümanlara şüphe ve suçlama yönelten bir problemi çözmeyi amaçlamaktadır. Bu çalışmada tümevarımsal betimleyici yöntem ve analitik betimleyici yöntemden yararlanıldı; ayrıca tarihsel yöntem ve karşılaştırmalı metod da kullanıldı. Ayrıca eski ve modern tefsirlerdeki cihat kavramı ele alınmış; cihat türleri ve günümüzdeki kullanımları açıklanmış; cihat konusunda eski ve modern zamanlarda ortaya atılan sorular/şüpheler ve bunlara çözüm olarak verilen cevaplar ele alınmıştır. Çalışmanın problemi, çoğu yanlış yorumlara dayanan cihatçı fikirlerin yayılmasıyla temsil edilen, İslam'a ve Müslümanlara karşı şüphe ve suçlamayı bünyesinde barındıran bir görüşün oluşmasına yol açan süreçlerdir. Çalışma sonucunda şu önemli sonuçlara ulaşılmıştır: Allah, cihâdı insanlığı zulüm ve baskıdan kurtarmak için, farklı inançlara sahip olan herkes için merhamet vesilesi olarak şeriatında meşru kılmıştır. Genel cihâd kavramı, hayatın tüm yönlerini ve tüm siyasi, sosyal, ekonomik ve entelektüel seviyeleri içerir ve bu seviyelerin her biri, belirli bir cihat türü gerektiren bir iç mücadeleyi beraberinde taşır. Bazı çağdaş bilginler ve düşünürler, batılı oryantalistlerin görüşlerine kapılmış ve onlarla uyum içinde hareket etmiş, bu da Müslüman bilginleri ikiye bölen bir entelektüel işgale neden olmuştur. Bazı çağdaş düşünürler, cihadın içeriğini boşaltmaya ve modern uluslararası yasalarla uyumsuz olduğu gerekçesiyle engellemeye çalışmış, diğerleri ise bu fikirleri, genellikle sınırlı bir kesim tarafından kabul edilen kişisel veya kolektif amaçlara

ulařmak için bir araç olarak kullanmıřtır. Gerçek řu ki, çağdař düşünürlerin sunduđu yeni fikirlerin çođunluđu gözden geçirilmeli, içerikleri daha geniş bir şekilde deđerlendirilmeli ve bilginlerin ve tefsircilerin görüşleriyle kıyaslanmalıdır. Bu, Müslüman bilginlerin, tüm İslam ülkelerindeki âlimlerin ve tefsircilerin bir araya geldiđi konferanslar ve bilimsel toplulukların düzenlenmesiyle sağlanabilir. Bu şekilde, çağdař düşünürlerin cihâd hakkındaki yanlış tasavvurlarına son verilebilir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, cihat, eski müfessirler, çağdař müfessirler, analitik çalışma.

ABSTRACT

This research aims to clarify the concept of Jihad between the interpretations of the ancients and the modern scholars, its applications and misconceptions, through a comparative analytical study. This will be achieved by examining the meanings of Jihad according to the ancient and modern interpreters and applying these meanings to the current reality of Muslims. The study sheds light on the following conceptual framework to clarify and explain the topic: Defining Jihad linguistically and legally, its legitimacy, and its wisdom. The concept of Jihad between the interpretations of the ancients and the modern scholars. Types of Jihad and their contemporary application. Addressing the doubts and misconceptions surrounding Jihad throughout history and in modern times, along with responses to these doubts.

This research aims to resolve the problem posed by the widespread jihadist ideas that often rely on erroneous interpretations, leading to a perception that associates Islam and Muslims with doubt and accusation. It fills the research gap by uncovering new concepts of Jihad that were not present in previous interpretations. Some of these concepts are rational and have been accepted by the Muslim community, while others contradict the majority of scholars and deviate from the established Islamic principles found in authoritative sources. The researcher arrived at several key findings, including: God legislated Jihad as a mercy to all people, regardless of their religion, with the purpose of freeing humanity from oppression and tyranny. It was not prescribed to force people into accepting Islam. The comprehensive concept of Jihad encompasses all aspects of life, on political, social, economic, and intellectual levels. Each dimension carries its own internal struggle and requires a specific form of Jihad. Some contemporary scholars and thinkers have been influenced by orientalist opinions and have aligned with them. This has resulted in an intellectual invasion that divided Muslim scholars into two factions, each making mistakes in relation to the other.

Some modern thinkers have attempted to deplete Jihad of its essence, claiming that

it does not align with modern international laws, while others have used these ideas as a means to achieve personal or limited group interests, deviating from the broader welfare of the Muslim community.

In reality, many of the new ideas put forth by contemporary thinkers need reevaluation and further examination in light of the statements of scholars and interpreters. This requires Muslim scholars to unite their efforts in organizing conferences and scholarly forums, bringing together eminent jurists and interpreters from all Islamic countries to establish the legal guidelines of Jihad. This will prevent contemporary thinkers from propagating false notions about Jihad.

Key Words: Tafsir , jihad, old commentators, modern commentators, analytical study.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	KUR'AN'DA CİHAT AYETLERİNİN ESKİ VE YENİ YORUMLARI (ELEŞTİREL BİR ÇÖZÜMLEME ÇALIŞMASI)
Tezin Yazarı	Mahmud CÜNEYT
Tezin Danışmanı	Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	06.09.2023
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	301
Anahtar Kelimeler	Tefsir, cihat, eski müfessirler, çağdaş müfessirler, analitik çalışma.

بيانات الرسالة للأرشفة

عنوان الرسالة	الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين التوظيفات والشبهات دراسة تحليلية مقارنة
اسم الباحث	محمود جُنيد
اسم المشرف	الأستاذ المشارك د.: إبراهيم حقي إمام أوغلو
المرحلة الدراسية	دكتوراه
تاريخ الرسالة	06.09.2023
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كاربوك - معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	301
الكلمات المفتاحية	التفسير، الجهاد، المفسرون القدامى، المفسرون المعاصرون، دراسة تحليلية.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	THE CONCEPT OF JIHAD AS IT APPEARS IN SOME OLD AND MODERN INTERPRETATIONS OF AL-QURAN, THE CONCEPT ITSELF, KINDS, FUNCTIONS AND RESPONSES TO THE MISCONCEPTIONS – IN A CRITICAL AND ANALYTIC STUDY.
Author of the Thesis	Mahmud CÜNEYT
Advisor of the Thesis	Assoc. Prof. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU
Status of the Thesis	Ph.D
Date of the Thesis	06/09/2023
Field of the Thesis	Basic İslamic Sciences
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	301
Keywords	Tafsir, jihad, old commentators, modern commentators, analytical study.

الاختصارات

الاختصار (م): معناه: ميلادي

الاختصار (هـ): معناه: هجري

الاختصار (ص): معناه: رقم الصفحة

الاختصار (...): معناه: اسقاط الباحث لبعض كلمات النص المقتبس بشكل حرفي.

الاختصار (ط): معناه: طبعة الكتاب المقتبس منه.

الاختصار (الصلاة على رسول الله): صلى الله عليه وسلم

الاختصار (رضي الله تعالى عنه): رضي الله عنه

الاختصار (" "): معناه: اقتباس حرفي من مرجع معتمد.

الاختصار ([]): معناه: اضافة الباحث شيئاً من عباراته على النص المقتبس بشكل حرفي.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

لا غرابة إذا قيل إن المسلمين اليوم قد تاهوا في غياهب الآراء والأفكار المختلفة في حق الجهاد، حتى أصبح كثير منهم ينظرون إلى الجهاد بنظرات سوداوية مليئة بالريبة والشك، فما يكون عند حركة جهادية صحيحاً يكون خطأ في نظر الأخرى، وهكذا تطورت الخلافات فيما بين المسلمين، وتعددت الحركات الجهادية إلى حدّ جعل كثيراً من المسلمين بين مؤيد للجهاد ومعارض له.

أسباب اختيار الموضوع

1-تحديد مفهوم الجهاد وضبطه ضمن شروط لا تخرج عن نطاق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويعد ذلك من أهم الأبحاث التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار، وعلى الخصوص في الزمن الذي نعيش فيه، في ظل حدوث تطورات دولية، وتحولات جذرية لم تكن موجودة في الأزمنة الغابرة.

2-الحروب التي نشأت في بلاد المسلمين في وقتنا المعاصر لم تكن إلا نتيجة حتمية لعدم تحديد مفهوم الجهاد بمعناه الصحيح، حيث كان ذلك كله كفيلاً بنشوء جماعات جهادية، مختلفة في التوجهات والمقاصد والسلوك، فأخطأ من هذه الجماعات الكثير، وأصاب القليل، سواء أكان الخطأ في الفكر أو في الأداء والتنفيذ، مما أدى إلى إنتشار التكفير وسفك الدماء دون مبرر منطقي ولا سبب شرعي معتبر يؤخذ به.

3-ولعل السبب الرئيس لاختيار الموضوع يتمثل في الغياب التام للمنهجية الحقيقية لفهم مبادئ

الجهاد، بدءاً من الغايات والأهداف نزولاً إلى الأسباب والنتائج.

4-الدافع عند الباحث في اختياره لموضوع الجهاد في القرآن الكريم في ضوء بعض تفاسير القدامى والمحدثين، المفهوم والأنواع والتوظيفات والرد على الشبهات، هو ميل كثير من العلماء إلى إدخال الجهاد تحت إطار الفكر الإسلامي، في حين أن المفسرين القدامى جعلوا الجهاد من العلوم الإسلامية، والفرق بينهما، أن نواتج الفكر الإسلامي قابلة للتغير، فهي تخضع للتحويلات التي تطرأ على المجتمع الإسلامي، بحيث تتغير هذه الأفكار وفقاً للأحداث وللظروف المستجدة، وهذه الأفكار تنبع من اجتهادات العلماء في فهم نصوص ثابتة لكنها تحمل في طياتها أكثر من معنى، وأما العلوم الإسلامية الثابتة قطعاً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لم يختلف أهل العلم في تحديد مراد الشارع الحكيم منها.

وبناء على ذلك عمد الباحث إلى تحديد معاني الجهاد الحقيقية من خلال استقراء بعض الأفكار التي برزت في العصر الحديث، والتي هي بدورها تتناقض إلى حدٍ بعيد أو قريب مع النصوص القطعية للجهاد.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة في الاختلاف الذي وقع في فهم الجهاد وأنواعه، وفي توظيفه بما يخدم الأهواء والمصالح الشخصية، حيث تسبب هذا الخلط المفاهيمي في إحداث كوارث أصابت الأمة الإسلامية في العصر الحديث، أدت هذه الكوارث إلى إضعاف الأمة والسيطرة على مقدراتها.

من خلال اطلاع الباحث على كثير من التفاسير القديمة والحديثة وصل إلى فكرة تفيد أنه لا توجد دراسات كافية تؤطر مفهوم الجهاد من وجهة نظر تفسيرية، والتخبط الحاصل بين الحركات الجهادية المعاصرة

وتخطيء بعضهم البعض أكبر دليل على أن التفاسير القديمة والحديثة ليس فيها الدواء الشافي والجواب المقنع للقضايا المعاصرة التي نشأت من فرضية الجهاد.

تنحصر هذه الدراسة في قسم التفسير، لكن هذا لا يعني الاستغناء عن الرؤيتين الفقهية والسياسية، لأن هذه الدراسة تداخلت قضاياها في بعض الأحيان بالجانب الفقهي والسياسي، فضلاً عن الأساس التفسيري.

ولا شك أن الاختلاف المقروء والمسموع بين المفسرين والمفكرين في مسائل الجهاد يكفل للقارئ أن يبحث وبكل جهده عن الحقائق، وخاصة في ظل ظروف انتشرت فيها الأفكار الجهادية التي تعتمد في أكثرها على اجتهادات خاطئة، أدت إلى إحداث نظرة تحمل في طياتها الشك والاثام للإسلام والمسلمين.

ومن هذه الأفكار التي انتشرت وأدت إلى التشكيك في الدين الإسلامي ما جاء به من يسمون أنفسهم بالجهاديين من أفكار ضالة ومضلة.

ولذلك عمل الباحث على توضيح تلك الأفكار والرد عليها، إبرازاً للحقائق الجهادية التي أمر الله تعالى بها وإجلاء لها من عبث من يسمون أنفسهم بالجهاديين.

وهذا الإشكال الحاصل في فهم الجهاد قد تم مناقشته بشكل مختصر في عدة مؤتمرات عقدت بين العلماء المسلمين لتحديد مفهوم الجهاد ضمن أطر لا تخرج عن نطاق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذه المؤتمرات المؤتمر الأول لرابطة علماء السنة تحت عنوان: نظرات في السياسة الشرعية في ضوء المستجدات الراهنة، والذي عقد في مدينة اسطنبول في الثاني من شهر شباط عام 2014م، والذي أثبت

بشكل قاطع أن هناك الكثير من الحركات الإسلامية الجهادية تتلاعب بمفهوم الجهاد تحقيقاً لبعض المصالح الدنيوية، وأكد المؤتمر على ضرورة الإنفاق على معنى محدد ودقيق لمفهوم الجهاد، والعمل على دعم المجاهدين، وخاصة في فلسطين وسوريا.

ولا يخفى أن البحث العلمي عمل فيه من الصعوبة والمشقة ما فيه، ولا يمكن لباحث أن يصل إلى مراده من غير أن تعثره بعض الصعوبات، وليس سراً أن الباحث برغم كل ذلك يشعر بمتعة طلب العلم ولذته، وتذوب أمامه كل الصعوبات عندما يصل ببحثه إلى استنتاجات ترضي الله سبحانه وتعالى وتقدم منفعة للمجتمع الإسلامي.

أسئلة الدراسة

قام الباحث بتقسيم الدراسة المتمثلة بالجهاد في القرآن الكريم بين بعض تفاسير القدامى والمُحدثين، التوظيفات والرد على الشبهات إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول بحثية، بحيث يشتمل كل فصل على سؤال، وهذا السؤال يتضمن بدوره كل الأفكار التي يحتويها ذلك الفصل من مباحث ومطالب.

وهذه الأسئلة تتمثل فيما يلي:

1- ما مفهوم الجهاد؟ وما مشروعيته من الكتاب والسنة؟ وما هي علة الجهاد وضوابطها، وما هي

الحكمة من تشريعه؟ وهي شروطه؟.

2- ما هو مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين، وما هو الفرق بينهما؟.

3- ما أنواع الجهاد؟ وما التوظيفات المعاصرة له؟.

4- ماهي الشبهات التي أثيرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، وماهي الردود عليها؟.

وسيعمد الباحث على دراسة هذه الأسئلة والإجابة عليه بشكل تفصيلي.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن تلك الأسئلة التي تضمنها البحث، والتي تتمثل فيما يلي:

الفصل التمهيدي: مفهوم الجهاد، ومشروعيته من الكتاب والسنة، وعلة الجهاد وضوابطها، والحكمة

من تشريعه.

الفصل الأول: مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين.

الفصل الثاني: أنواع الجهاد، والتوظيفات المعاصرة له.

الفصل الثالث: الشبهات التي أثيرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، والردود عليها.

هدف الدراسة المنشود هو توضيح مراد الله تعالى من فرضه لمبدأ الجهاد على المسلمين، إذ غالب

الدراسات السابقة في الجهاد قد اعتمدت على طريقة نقل الأقوال القديمة لإثبات فرضية الجهاد وحجته، دون

التطرق للمفاهيم الجديدة التي ظهرت على الساحة في بلاد المسلمين، ودون التمعن لما يحصل من أخطاء

جسام عند تحديد مبدأ الجهاد وأصله عند تلك الحركات الجهادية التي ظهرت مؤخراً في عدد لا يستهان به في

بلاد المسلمين، والتي في الغالب لا يُعرف منشؤها وأفكارها وأهدافها ومن يمولها، وسبب وجودها خاصة في

بلاد المسلمين دون غيرها من البلاد، فالدراسة هذه تحاول الإجابة عن تلك الأسئلة بعلمية وموضوعية

ووضوح.

هذا ما سيقوم الباحث بدراسته من خلال آيات القرآن الكريم التي وردت في موضوع الجهاد،
والأحاديث النبوية التي لها صلة بهذا الموضوع.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تجيب عن تلك الأسئلة، وأنها توضح المعاني الحقيقية للجهاد، وذلك
من خلال الآيات التي نتحدث عن ذلك.

إذ إن الباحث لدى رجوعه إلى كثير من التفاسير والمؤلفات التي اختصت بهذا الموضوع – الجهاد في
سبيل الله تعالى – تبين له أن الذين يعكفون على الاهتمام بمباحث الجهاد في العصر الحديث في وادٍ والجهاد
الحقيقي الذي يرتضيه الله تعالى في وادٍ آخر، لأنهم في غالب أحوالهم لا يعتمدون على النصوص الشرعية، وإنما
ينصب تحريجهم واعتمادهم على فهم مسائل فرعية، أو النظر في حالات استثنائية خاصة حدثت في الأزمنة
السابقة.

فنجدهم قد جعلوا من تلك الحالات مرجعاً ودليلاً يستندون إليه لإثبات أفعالهم الخاطئة، متناسين في
أثناء ذلك النصوص القرآنية الصحيحة، إذ لا شك أن الأحكام الاستثنائية لها ظروف خاصة مهما تقدم
الزمن، إلا للضرورة، إذ الأصل أن يُعمل بالأحكام الثابتة الأصلية دون أي تغيير، ومن فعل خلاف ذلك فقد
وقع في الخطأ العظيم.

المنهج المستخدم في الدراسة

اعتمد الباحث في بحثه على المناهج الآتية:

1-المنهج الوصفي الاستقرائي: وهو المنهج الذي يراه الأساس المنطقي للدراسة الموضوعية للجهاد،

حيث تتبع آراء الفقهاء والمفسرين القدامى والمحدثين حول موضوع البحث.

2-المنهج الوصفي التحليلي: حيث تم تحليل ما جمعه الباحث من آراء وأقوال العلماء والمفسرين

حول مفهوم الجهاد.

3-المنهج التاريخي: حيث استعان الباحث في هذه الدراسة بالمنهج التاريخي لاستقراء بعض الأقوال

والأحداث التاريخية التي لها علاقة بموضوع الجهاد، والاعتماد عليها غالباً لإثبات حكماً يشبه تلك الوقائع التاريخية.

4-المنهج المقارن: طالما أن الدراسة تتعلق بمفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين فقد عمد

الباحث على المقارنة بين العهدين القديم والحديث، وتحديد الفوارق بينهما من خلال تحديد مفهوم الجهاد في زمن كل منهما.

حدود الدراسة

للدراسة حد واحد وهو الحد الموضوعي، وذلك لأن الباحث لن يتقيد بفترة زمنية معينة، ولا مكان

بذاته، بل سيتم مناقشة الجهاد في القرآن الكريم في ضوء بعض تفاسير القدامى والمُحدثين، من حيث المفهوم

والأنواع والتوظيفات والرد على الشبهات بشكل موضوعي.

الدراسات السابقة

بعد بحث طويل في موضوع الجهاد تبين للباحث أن دراسته التي يقوم بها جديدة على المكتبة الإسلامية، وذلك في جزئيات كثيرة منها، وأن ما تمت دراسته قبلاً برغم أهميته، غير أنه تناول موضوع الجهاد من خلال دراسات قرآنية عامة، أو دراسة بعض جزئياته، أو كانت دراسة خصّصت سورة معينة تتكلم عن الجهاد، أو خصّصت قتال المنافقين دون التعمق في مجالات الجهاد وأنواعه، أما هذه الدراسة فجاءت لتتوج تلك الدراسات السابقة وتتممها، في محاولة من الباحث لاستنتاج مستجدات تتعلق بموضوع الجهاد، ضمن إطار بحث موضوعي متكامل لهذه الدراسة، وما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أنها تناولت الحركات الجهادية في الزمن الحاضر من خلال دراسة تحليلية مقارنة، وكيف عملت بعض تلك الجماعات على استغلال آيات الجهاد تنفيذاً لمصالحها، وهذا ما لم يجده الباحث في أي من الدراسات السابقة.

ومن الدراسات السابقة:

— ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم، لتهاني جبر شعث، 2011 م¹، حيث وقفت المؤلفة على تحديد أسباب الجهاد، وتناولت تلك الأسباب المذكورة في القرآن الكريم، دون التركيز على الأسباب التي ظهرت في العصر الحديث، بحيث تذكر الآية وتذكر معها ما قاله المفسرون دون ربطها بواقع المسلمين، واقتصرت على توضيح جهاد المشركين دون التعرض لأنواعه وحدوده، والجماعات الجهادية اليوم، وفي هذا الخروج عن منهجية البحث وقواعده.

¹ تهاني جبر شعث، ألفاظ الجهاد في القرآن، دراسة تحليلية، (غزة، جامعة الأزهر 2011م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم اللغوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

وفي المقدمة ذكرت الباحثة أهمية الإعجاز في القرآن الكريم وأسلوبه وتراكيبه ومفرداته، ثم عرجت على توضيح أن القرآن الكريم مصدر لتقوية اللغة والمعرفة، وفي موضوع البحث، ذكرت الباحثة كلمات الجهاد والألفاظ الدالة عليه والمرادفة له، دون الخوض بمفهوم الجهاد وأنواعه وما يتعلق به من مسائل، ثم ختمت الباحثة دراستها بذكر ما توصلت إليه من استنتاجات اعتمدت في غالبها على أعداد كلمات الجهاد وما ورد في معناها في وردت في القرآن الكريم، وبالرغم من أهمية الدراسة وما فيها من نفع وفائدة إلا أنها لم تتطرق إلى مفاهيم الجهاد عند الحركات الجهادية الحديث، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

— العلمانيون والقرآن الكريم، لأحمد إدريس الطعان 2008م²، تحدث فيه عن انتهاك قداسة القرآن الكريم، وطرق العلمانيين في تحريف آيات القرآن، وذكر في بحثه نظرة العلمانيين إلى الجهاد بمبحث مستقل، ولم يتطرق في بحثه إلى شبهات المستشرقين التي أثاروها في حق الجهاد، بالرغم من أن عنوان البحث يشير إلى ذلك، وكذلك لم يتطرق إلى أنواع الجهاد وإلى المفاهيم الجديدة للجهاد التي ظهرت مؤخراً في كتب المعاصرين من المفسرين، إذ جهاد الطلب وهو نوع من أنواع الجهاد هو أكثر المفاهيم التي أثار العلمانيون الشبهات حوله.

وفي الفصل الذي تحدث فيه عن الجهاد ونظرة العلمانيين إليه لم يتطرق الباحث إلى تلك الخطط التي يعمل عليها المستشرقون ليل نهار، وبمباركة من الدول الغربية في سبيل تشويه صورة الجهاد الإسلامي، وإظهاره على أنه من الإرهاب، وبالرغم من أهمية الدراسة وما فيها من نفع وفائدة، إلا أنها لم تتطرق إلى ما ذكرناه آنفاً، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

² أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم، دراسة تاريخية في النص، (دمشق، جامعة دمشق، ط1، 2008م).

__ موقف المنافيين من الجهاد من خلال سورة التوبة، لدورامي ياسينج جيء مه 2012م³، الفصل الأول، فقد عرف الجهاد لغة وشرعاً، ثم عرج على ذكر أنواعه، مكتفياً بتوضيح جهاد الدفع وجهاد الطلب دون الخوض في التفاصيل، وإسقاط هذه الأنواع على واقع المسلمين في الزمن الحاضر، وإنما اكتفى بالطريقة المتبعة في سرد الآيات والأحاديث المتعلقة بالجهاد وما يتصل بها من أقوال المفسرين والعلماء.

ذكر موقف المنافيين من الجهاد بطريقة العموم، معتمداً في دراسته على أسباب النزول في ذكر صفات المنافيين وموقفهم من الجهاد، ولم يتطرق إلى الحركات الجهادية التي تضم البعض منها الكثير من المنافيين والمعرضين.

وبالرغم من أهمية الدراسة وما فيها من نفع وفائدة إلا أن الدراسة لم تتطرق إلى كل ما ذكرناه آنفاً، وبالأخص تلك الخدمات التي يقدمها المنافقون لأسيادهم من المستشرقين في تشويه صورة الجهاد في سبيل الله تعالى، وإظهاره أمام المجتمعات الغربية على أن الإسلام دين القتل والإرهاب، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

__ الجهاد عند سيد قطب تحرير مشروع أم إرهاب مذموم، لمحمد بن عبد القادر المزي⁴، 2008م، ذكر باختصار أحكام الجهاد ومدى توافقها مع ميثاق الأمم المتحدة، مبيناً أن أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية لا تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة باعتراف دول الغرب، وهذا الاعتراف كان قبل عشرات السنين، وأما في الأزمنة المتأخرة فقد اعتبرته الدول الغربية أنه لا يتوافق وميثاق الأمم المتحدة، وقد بين

³ دورامي ياسينج جيء مه، موقف المنافيين من الجهاد من خلال سورة التوبة، دراسة موضوعية، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، 2012م)، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، في كلية العلوم الإسلامي.

الباحث أن هذه الشبهة أثبتت مؤخراً من قبل بعض العلمانيين، حيث يدعون إلى تعطيل الجهاد لأنه يتعارض والعهود الدولية، فكان لا بد من إعادة تقييم تلك القوانين، لأنها تغيرت عند الغربيين في ظل ظهور حركات جهادية غيرت النظرة الكلية تجاه المسلمين.

بالرغم ما لهذه الدراسة القيمة من نفع عميم، فقد عملت على إزالة تهمة الإرهاب عن المسلمين، إلا إن هذه الدراسة لم تتطرق إلى المقارنة بين مفهوم الجهاد بين المفسرين القدامى والمحدثين، والأهم من ذلك أنها لم تتطرق إلى الحركات الجهادية التي ظهرت مؤخراً، والتي كانت سبباً في تغيير نظرة الغرب إلى الجهاد في كثير من الأحيان، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

— الفصل في فقه الجهاد، لعلي بن نايف الشحود⁵، تناول الباحث في دراسته مفهوم الجهاد وأنواعه في سبع وثلاثين باباً، تطرق في هذه الأبواب إلى تعريف الجهاد وأسبابه وأنواعه، ثم عرج على موضوع التكفير، ومن ثم بين طرق تعامل المسلمين مع أهل الذمة والمعاهدين، ووضح بشكل مفصل واجبات الجهاد ومحرماته ومكروهاته وفضائله، وبين أيضاً حكم الانغماس في صفوف العدو والقيام بالعمليات الإستشهادية، وكل ذلك بالرجوع إلى المصادر الفقهية، ثم أنهى دراسته بذكر أسباب النصر والموانع التي تقف حائلاً دون تحقيقه، وأعقب ذلك بتوضيح حكم الغنائم والفيء.

بالرغم ما لهذه الدراسة القيمة من نفع عظيم، فقد أوجزت أحكام الجهاد في سبيل الله تعالى من كل جوانبه من الناحية الفقهية، إلا إن هذه الدراسة لم تتطرق البتة إلى المقارنة بين مفهوم الجهاد بين المفسرين

⁴ محمد بن عبد القادر المزني، الجهاد عند سيد قطب، تحرير مشروع أم إرهاب مذموم، (الكاب، جامعة الكاب الغربي، 2008م)، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغات الأجنبية.

⁵ علي بن نايف الشحود، الفصل في فقه الجهاد، دراسة تحليلية، (2012م)، رسالة فقهية في الجهاد.

القدامى والمحدثين، والأهم من ذلك أنها لم تتطرق إلى الحركات الجهادية التي ظهرت مؤخراً، والتي كانت سبباً في تغيير نظرة الكثير من الفقهاء والمفكرين في مصطلح الجهاد في كثير من الأحيان، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

_حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكاليات الردة والجهاد والجزية، لعبد الرحمن حللي 2001م⁶، حيث سرد المؤلف آيات الجهاد وناقشها بشكل مختصر للغاية، وكذلك ناقش الناسخ والمنسوخ منها دون ذكر آراء المفسرين واختلافهم، ثم عرج على اتجاهات المعاصرين في تحديد أسباب الجهاد، مكثفاً بذكر النصوص، دون التعليق عليها وربطها بواقع المسلمين، ولم يشر إلى المفاهيم الجديدة للجهاد، والتي ظهرت مؤخراً عند المعاصرين من المفسرين، وكذلك لم يتناول أنواع الجهاد المتفق عليها عند القدامى من المفسرين، كالقول بجهاد الدفع وجهاد الطلب.

وبالرغم من أهمية هذه الدراسة وما فيها من نفع وفائدة، إلا أنها لم تتطرق إلى توضيح آلية عملية الحركات والتنظيمات الجهادية التي ظهرت على الساحة مؤخراً، ولم تبين الدراسة الردود على الشبهات التي أثارها الغرب تجاه الجهاد وأحكامه، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى.

_المعلم، التربية الجهادية في ضوء كتابات عبدالله عزام 2008م، محمود خليل أبو دف⁷، بين الباحث في دراسته معنى التربية الجهادية بطريقة العموم أن أن يسقطها على حال المنتسبين إلى الحركات والتنظيمات الجهادية، ثم عرج على توضيح أسس ومرتكزات التربية الجهادية، وبين أنها تلك الأسس من

⁶ عبد الرحمن حللي، حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكاليات الردة والجهاد والجزية، (الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2001م)، دراسة تحليلية.

خصائص الفقهاء المجاهدين دون غيرهم، معللاً ذلك بأن الفقهاء المجاهدين هم وحدهم أدرى بما يدور في ساحات الجهاد،

اقتصرت دراسته بالمجمل على فكر عبدالله عزام، حيث التزم بأفكار عزام وأوجب إسقاطها على واقع الحركات الجهادية، وربط نجاح الحركات الجهادية بمدى التزام تلك الحركات بمبادئ عزام المجاهد الفلسطيني المشهور.

خلت الدراسة بالرغم من أهميتها من التطرق إلى مفاهيم الجهاد عند العلماء والمفسرين، وكذلك لم يتطرق الباحث البتة إلى الأنواع التي تكلم عنها المفكرون المعاصرون بالرغم من أهميتها في الميدان، والأهم من ذلك إغفاله للتنظيمات الجهادية التي ظهرت مؤخراً على الساحة الدولية، ومدى صوابها ومدى خطئها، وهذا ما سأضيفه في بحثي إن شاء الله تعالى.

_المقاصد الشرعية الجزئية في كتاب الجهاد، مروان سيد محمد نصر⁸، وضح الباحث في دراسته مفهوم الجهاد ومقاصده، ثم اتبع الباحث الخطوات المتبعة في كتابة الأبحاث، فعرف الجهاد، وبين أنواعه، والأحكام المتعلقة فيه، ثم ذكر الأهداف من وراء الجهاد، وقد حصر الأهداف على أن الجهاد من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ثم عرج على الشروط التي يجب توافرها في المجاهدين، ثم تناول الباحث في نهاية دراسته عن المقاصد الشرعية في طرق التعامل مع الأسرى والسبايا، وكذلك المقاصد الشرعية للغنائم والفيء، وكل ذلك عن طريق العموم، دون أن يتطرق إلى التفاصيل، ودون ربط تلك الأبحاث بواقع المسلمين.

⁷ محمود خليل أبو دف، المعالم، التربية الجهادية في ضوء كتابات عبدالله عزام، (غزة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، 2008م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير.

ولا شك أن هذا لا ينقص من قيمة الدراسة، وبالرغم من أهميتها ونفعها العميم إلا أنها خلت تماماً من المقارنة بين تفاسير القدامى والمحدثين في موضوع الجهاد، كما أنها خلت أيضاً من الحديث عن المفاهيم الجديدة التي ظهرت في العصر الحديث، والتي تعتبر نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك خلت من الأفكار الجهادية التي جاء بها المفسرون المعاصرون، وهذا ما سأضيفه إلى بحثي بإذن الله تعالى.

_الجهاد في السعودية قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، توماس هيغهافر 2013م⁹، حيث تناول الباحث في دراسته الأسباب التي دعت إلى تشكل الحركات الجهادية في أفغانستان وفي جزيرة العرب، ثم تطرق إلى الحركات الثورية البسيطة التي حصلت في طاجيكستان والشيشان والبوسنة.

وأضاف الباحث في دراسته أن الفكر التي تبنته تلك الحركات ليس خاص بمكان وجودها، وإنما أصبح فكراً عالمياً يتبناه الكثير من المسلمين ممن يتواجد في أوروبا وأمريكا، ويضيف في دراسته أن ذلك الفكر أدى إلى تزايد معاناة المسلمين ليس من حكوماتهم فحسب بل من الدول الغربية أيضاً.

وبالرغم من أن هذه الدراسة أولت أهمية بالغة لتوضيح حال الحركات الجهادية، إلا أنها أغفلت بشكل كبير التنظيمات الجهادية التي ظهرت في بلاد المسلمين الأخرى، كبلاد الشام، واقتصرت على تلك التنظيمات التي تواجدت في جزيرة العرب، والأهم من ذلك أن هذه الرسالة خلت تماماً من تلك التصورات التي جاء بها المفكرون المعاصرون في مفهوم الجهاد، الذين خالفوا فيها ما جاء في تفاسير القدامى، وهذا ما سأضيفه في بحثي بإذن الله تعالى

⁸ مروان سيد محمد نصر، المقاصد الشرعية الجزئية في كتاب الجهاد، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، 2013م)، دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، دراسة فقهية مقارنة.

— الجهاد في الاسلام، مفهومه وضوابطه وأنواعه وأهدافه، عبد السلام بن سالم بن رجاء السيمي¹⁰،
بين الباحث في دراسته مفهوم الجهاد، وأحكامه، وما يتفرع عنه من أنواع، ثم عرج على ذكر أهداف الجهاد
ووسائله، ثم قام الباحث بتوضيح مراحل فرضية الجهاد، مؤكداً أن تلك المراحل ليس فيها نسخ.
إلا أن الرسالة وإن ذكرت بعض الفرق الإسلامية الجهادية، إلا أنه لم يتطرق إلى تلك الحركات
والتنظيمات الجهادية التي أحدثت تغييراً في مفهوم الجهاد واستبدلته بمفهوم جهادي متشدد، أو مفهوم
جهادي متجدد، ينكر القتال والحروب، ويحصر الجهاد بالكلمة والقلم، فبين إفراط وتفريط، وهذا ما سأضيفه
في بحثي إن شاء الله تعالى.

الفجوة البحثية

من خلال الإطلاع على الكثير من الدراسات السابقة، وبالمقارنة بين تفاسير القدامى والمحدثين،
القديمة والحديثة وصل الباحث إلى فكرة تفيد أنه لا توجد دراسات كافية تؤطر مصطلح الجهاد من وجهة نظر
تفسيرية.

ولأجل ذلك فإن الدراسة انحصرت في قسم التفسير، وهذا لا يعني الاستغناء عن الجانب الفقهي
والسياس، لأن موضوع الجهاد تداخلت قضاياها أحياناً بالفقه والسياسة، فضلاً عن الأساس التفسيري.

ومجمل هذه الدراسة يتحرك في أفق فكرة محورية، وهي: إذا كان مفهوم الجهاد قد تم بيانه في القرآن
الكريم بنصوص قطعية، وكذلك في السنة النبوية المطهرة؛ فلماذا تعامل معه العلماء والمفسرون والمفكرون بفهوم

⁹ توماس هيغفار، الجهاد في السعودية قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر 2013م)، ترجمة أمين الأيوبي
ومراجعة سعود السويداء،

مختلفة عبر التاريخ، وخاصة في التاريخ الحديث.

هل الجهاد بمنزلة فكر يخضع لتطورات تتناسب وتطور الحياة، أو أنه من الأحكام الثابتة التي لا يمكن تغييرها بتغير المكان والزمان، هذا ما سيقوم الباحث بالخوض فيه من خلال دراسة التفسير القديم والحديث لآيات الجهاد، مع التحليل والنقد المدعوم بالأدلة والبراهين التي لا تقبل الشك، معتمداً في ذلك على المراجع المعتمدة والتي صدرت من مفسرين ومفكرين إسلاميين موثوق بعلمهم، قاموا بمناقشة مسائل الجهاد في أزمنة متعاقبة منذ زمن النبي عليه الصلاة والسلام وإلى يومنا هذا.

هيكل الدراسة

وقد اشتملت دراسة موضوع الجهاد في القرآن الكريم في ضوء بعض تفاسير القدامى والمحدثين، المفهوم والأنواع والتوظيفات والرد على الشبهات على فصل تمهيدي ومقدمة وثلاثة فصول، بحيث اشتمل كل فصل على مبحثين، وكل مبحث على عدة مطالب، ثم أتبع ذلك بخاتمة وفهارس، ليكون هيكل البحث العام على الشكل التالي:

مقدمة: تناول فيها الباحث الدوافع الشخصية لاختيار الموضوع، وصعوبات الدراسة، وأسئلة الدراسة، وأهداف الدراسة وأهميتها، والمنهج المستخدم في الدراسة، وحدود الدراسة، والفجوة البحثية، والدراسات السابقة، ومخطط البحث.

الملخص: وفيه الفكرة العامة التي تناولها البحث، والتركيز على أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث

إليها.

¹⁰ عبد السلام بن سالم بن رجاء السيمي، الجهاد في الاسلام، مفهومه وضوابطه وأنواعه وأهدافه، (السعودية، دار المدينة المنورة، 2008م)، دراسة تحليلية.

الفصل التمهيدي: مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين، مشروعيته والحكمة منه.

أولاً: تعريف الجهاد لغة وشرعاً.

ثانياً: مشروعية الكتاب من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ثالثاً: علة الجهاد وضوابطها، والحكمة من مشروعية الجهاد.

الفصل الأول: مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين.

المبحث الأول: مفهوم الجهاد عند تفاسير القدامى

المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند تفاسير القدامى بالرأي والمأثور.

المطلب الثاني: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين.

المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين.

المطلب الثاني: مفهوم الجهاد في التفسير الإشاري.

الفصل الثاني: أنواع الجهاد في القرآن الكريم، والتوظيفات المعاصرة له.

المبحث الأول: أنواع الجهاد، جهاد الدفع، وجهاد الطلب.

المطلب الأول: مفهوم جهاد الدفع والطلب عند المفسرين القدامى والمحدثين، وأقسام كل منهما.

المطلب الثاني: حكم جهاد الدفع والطلب عند الفقهاء.

المطلب الثالث: التقاتل بين المسلمين وأسبابه.

المطلب الرابع: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى والمحدثين.

المبحث الثاني: التوظيفات المعاصرة للجهاد.

المطلب الأول: التوظيف السياسي للجهاد.

المطلب الثاني: التوظيف المذهبي للجهاد.

المطلب الثالث: التوظيف الإقتصادي للجهاد.

الفصل الثالث: الشبهات التي أثرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، والردود عليها.

المبحث الأول: بعض الشبهات القديمة حول الجهاد والرد عليها،

المطلب الأول: شبهة النسخ في الجهاد.

المطلب الثاني: شبهة الجزية.

المبحث الثاني: بعض الشبهات الحديثة حول الجهاد والرد عليها.

المطلب الأول: شبهة دعوى أن الإسلام إنما انتشر بالسيف.

المطلب الثاني: شبهة دعوى أن جهاد المسلمين من الإرهاب.

المطلب الثالث: شبهة دعوى بعض علماء المسلمين أن العلم أفضل ومقدم على الجهاد.

المطلب الرابع: شبهة الإفراط والغلو في الدعوة إلى الجهاد من بعض العلماء.

الفصل التمهيدي مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين مشروعيته و علة الجهاد وضوابطها

والحكمة منه

منذ بداية الدعوة الإسلامية كانت مفاهيم الجهاد متفاوتة، وذلك تبعاً لحال المسلمين ومكان تواجدهم، وتتبعاً لمفاهيم الجهاد منذ ذلك الوقت نجد أن الجهاد كان محفوفاً بعدة عوامل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى قوة المسلمين وضعفهم، والحوادث التاريخية التي أشارت إلى مصطلح الجهاد لم ينتج عنها مفهوم علمي واضح للجهاد، وهذا ما يسمى بواجب الوقت.

والحقيقة لا يمكن اعتبار مفهوم الجهاد مفهوماً ثابتاً، وذلك لأنه يخضع لمتغيرات متتابعة تتبع بصورة مباشرة لحال المسلمين ومكانهم كما ذكرنا آنفاً، وهذا الأمر هو الذي يستدعي إلى تحييص في التاريخ الإسلامي لمعرفة أسباب وأساليب الجهاد في تاريخ الأمة الإسلامية، وهذا ما لم يتم إنجازَه بطريقة علمية واضحة.

لا شك أن ما جاء في حق الجهاد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة برهان مهم ودليل يمكن الاعتماد عليه في بيان جهاد الأمة الإسلامية مع أعدائها، لكن تبقى هناك نقطة مفرغة جعلت المسلمين أنفسهم يختلفون في تحديد مفهوم الجهاد الحقيقي، ما أدى إلى نشوء النزاعات والحروب باسم الجهاد فيما بين المسلمين أنفسهم.

وقبل الدخول في الإطار المفاهيمي لدراسة مصطلح الجهاد، لا بد من التعرف على مفهوم الجهاد لغة وشرعاً، وبيان مشروعيته والحكمة منه، حيث يبقى مصطلح الجهاد من أكثر المصطلحات الدينية التي أثير حولها الكثير من الجدل.

فما هو مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين ومشروعيته وماهي الحكمة التشريعية منه

مفهوم الجهاد، ومشروعيته من الكتاب والسنة، والحكمة منه

تعريف الجهاد لغةً وشرعاً

ورد في كتب اللغة تعاريف كثيرة للجهاد، نذكر في هذا الموضوع أهمها، ولكن قبل ذكر التعاريف لا بد من التنويه إلى أن جلّ اللغويين أطلقوا مفهوم الجهاد على محاربة الأعداء، في اشارة منهم إلى توافقهم مع المعنى الشرعي للجهاد.

الجهاد لغةً: يطلق الجهاد بالمعنى اللغوي على عدة معانٍ، منها: ما عرفه ابن منظور بقوله: " محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل " ¹¹.

وجاء مفهوم الجهد في المعجم الوسيط بمعنى: "المشقة والنهائية والغاية والوسع والطاقة" ¹².

وقال المطرزي في تعريفه للجهاد: " مصدر جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد، أو بذل كل منكما جهده، أي طاقته في دفع صاحبه، ثم غلب في الإسلام على قتال الكفار ونحوه " ¹³.

وجاء عند الفيومي في المصباح المنير عن الجهاد: " وجاهد في سبيل الله (جهاداً) و (اجتهد) في الأمر بذلٌ وُسْعَه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته " ¹⁴، وإن كان التعريف يتضمن الجهاد والاجتهاد في الأحكام الفقهية، فإنه ما يهمنا في هذا المقام المعنى المتعلق بالجهاد.

¹¹ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، (بيروت : دار صابر ، ط 3 ، 1404 هـ) ، 135/3 .

¹² إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، (دار الدعوة) ، 142/1 .

¹³ أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي ، المغرب في ترتيب المغرب ، تحقيق محمود فاخوري ، عبد الحميد مختار ، (حلب : مكتبة أسامة بن زيد ، ط 1 ، 1979م) ، 171/1 .

وبعد أن أوردنا تعريف الجهاد لغة وشرعاً، نورد نظرة الغرب إلى مفهوم الجهاد، إذ الدراسة في أجزاء ليست بالقليلة منها تتعلق بالإتهامات الغربية التي يطلقونها نحو الجهاد.

فبالمتابعة الدقيقة لنظرة الغرب إلى مفهوم الجهاد تجد أنهم يربطون مبدأ الجهاد الإسلامي بالإرهاب وخاصة في الآونة الأخيرة، ولو أردنا التعرف على نظرتهم الحقيقية للجهاد علينا أن نتصفح العناوين الكثيرة التي ملأت كتبهم وصحفهم، والتي ما فتأت تنعت جهاد المسلمين وقتالهم بالإرهاب، مما يعبر عن التشويه المنظم لأحد أعظم مصطلحات الدين الإسلامي الحنيف.

رأي الباحث

يرى الباحث أن بعض تعاريف الجهاد بالمعنى اللغوي قد اقتضرت على بذل الجهد للوصول إلى مراد معين، ويرى الباحث أن الأولى والأظهر أن يكون تعريف الجهاد محاربة الأعداء من الكفار والمشركين كما ذكره ابن منظور آنفاً.

الجهاد شرعاً: من خلال الإطلاع على غالب التفاسير القديمة والحديثة، نجد أن جل المفسرين أطلقوا على مفهوم الجهاد أنه القتال في سبيل الله تعالى من أجل الدعوة إلى الإسلام، مع وجود فوارق بسيطة ظهرت في تعريفهم للجهاد، لكنها لا تؤثر بالمعنى العام على مفهوم الجهاد.

عرف الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى الجهاد بأنه: " بذل الجهد في قتال الكفار " ¹⁵، وهذا التعريف

¹⁴ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، (بيروت ، المكتبة العلمية) ، 112/1 .
¹⁵ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى ، (بيروت : دار المعرفة ، 1379هـ) ، 3/6 .

يتوافق إلى حد بعيد مع بعض التعاريف اللغوية للجهاد، حيث أن ابن حجر رحمه الله تعالى قد أضاف على التعريف قتال الكفار، وهذا ما لم يكن موجوداً في تعاريف اللغويين.

وجاء في بدائع الصنائع للكاساني في تعريف الجهاد قوله: " بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله تعالى بالنفس والمال واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك والله تعالى أعلم " ¹⁶، وإن كان التعريف قد أغفل ذكر الأعداء من الكفار والمشركين إلا أن الجملة التي تضمنت في سبيل الله تعالى دلت على أن المقصود بالجهاد هنا هم الأعداء من المشركين والكفار، وهذا ما يسمى في أصول الفقه بدلالة النص، وإن لم يتم ذكره إلا أن النص دل عليه.

وعرفه ابن عابدين في رد المختار بقوله: " الدعاء إلى الدين الحق، وقاتل من لم يقبله " ¹⁷، حيث اعتبر ابن عابدين الدعوة إلى الدين من الجهاد، وهذا المعنى الذي كان متعارفاً عليه في بداية الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة.

وتوسع الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه المقدمات الممهديات في تعريف الجهاد في سبيل الله تعالى، حيث اعتبر أن كل مجهود يبذله المسلم من أجل الله تعالى فهو جهاد في سبيله، فقال: " وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقيم بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية

¹⁶ علاء الدين ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1406 هـ ، 1986م) ، 97/7 .

¹⁷ ابن عابدين الدمشقي الحنفي ، رد المختار على الدر المختار ، (بيروت ، دار الفكر ، ط 2 ، 1992م) ، 121/4 .

عن يد وهم صاغرون " 18 .

وعرفه الإمام البهوتي رحمه الله تعالى في كتابه دقائق أولي النهي بقوله: " قتال الكفار خاصة، بخلاف المسلمين من البغاة وقطاع الطرق وغيرهم " 19 ، وهنا يوضح الإمام البهوتي رحمه الله تعالى أن قتال الكفار والمشركين يعتبر من الجهاد في سبيل الله تعالى، أما محاربة البغاة وقطاع الطرق من المسلمين العصاة فهو تحت مسمى آخر ليس من الجهاد، وهذا ما سيتم مناقشته مفصلاً في مبحث الحراية في مطلب محاربة البغاة بإذن الله تعالى.

وجاء تعريف الجهاد في المختصر الفقهي لابن عرفة رحمه الله تعالى، بقوله: " قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله أو حضوره له، أو دخول أرضه له " 20 ، وربما كان هذا التعريف الذي جاء به ابن عرفة هو الأقرب للصواب، وهو الجامع لكل مقاصد الشريعة الإسلامية من الجهاد في سبيل الله تعالى لاشتماله على جميع شروط الجهاد الصحيح.

من خلال التعاريف السابقة لمفهوم الجهاد يتضح أن الجهاد بمفهومه العام يطلق على تلك الجهود التي يبذلها المسلمون في سبيل إيصال الدعوة الإسلامية إلى كل بقاع الأرض، وقتال من يقف في طريقها من أهل الكتاب والمشركين.

¹⁸ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، المقدمات الممهديات ، تحقيق محمد حجي ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، 1988م) ، 342/1 .

¹⁹ منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي ، دقائق أولي النهي لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات ، (دار عالم الكتب ، ط 1 ، 1993م) ، 617/1 .

²⁰ محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي ، المختصر الفقهي ، تحقيق حافظ عبدالرحمن محمد خير ، (مؤسسة خلف أحمد الخبتور ، ط 1 ، 2014 م) ، 5/3 .

رأي الباحث

يرى الباحث أن مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى ينبغي أن ينحصر في مجاهدة ومحاربة الكفار والمشركين وأعداء الأمة، ويرى الباحث أن تعريف ابن عرفة رحمه الله تعالى للجهاد هو أقرب التعاريف التي تعبر عن مراد الشارع الحكيم، ويؤكد الباحث أن قتال الظالمين سواء أكانوا من المسلمين أم من الكفار والمشركين لا يقل شأنًا عن جهاد الكفار والمشركين، فالجهاد في الإسلام ليس لقتال الكافر فحسب وإنما لقتال الظالم أيضاً، وهذا لا شك موقف أخلاقي يحقق الحرية والعدالة، ويحارب الظلم والقهر.

مشروعية الجهاد من الكتاب والسنة

مشروعية الجهاد من القرآن الكريم

وفي هذا المقام يتم ذكر الآيات الدالة على مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى، لكن وبسبب تعذر ذكر كل الآيات المتعلقة بالجهاد لكثرة عددها، سنكتفي بذكر البعض منها، وذلك بما يتناسب والموضوعات الواردة في هذا البحث، حيث يمكن تقسيم تلك الآيات إلى عدة مجموعات، كل مجموعة تتحدث عن جزئية من جزئيات الجهاد في سبيل الله تعالى.

أولاً: الآيات الدالة على فرضية الجهاد

فقد جاءت آيات تدل على فرضية الجهاد بصيغ متعددة، منها ما كان بصيغة الماضي، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 216]، يقول الإمام القنوجي في تفسيره

للآية: " أي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به " ²¹، ومعلوم أن المفسرين قالوا أن كُتِبَ عليكم القتال، أي: فُرض عليكم القتال.

ومن الصيغ الدالة على فرضية الجهاد في سبيل الله تعالى ما جاء على صيغة الأمر، أي بصيغة افعلوا، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 244]، وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: 39]، وقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29]، قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى قاتلوا في الآيات الثلاث: " قال قتادة: يعني أمره بالقتال " ²²، فالآيتان بمجملهما تدلان على الأمر الصادر من الله تعالى بضرورة قتال المشركين الذين يقفون في وجه تبليغ الدعوة الإسلامية، ومن المعلوم أن الأمر الصادر من الله تعالى في الآيتين هو للوجوب.

أما الأحكام المتعلقة بفرضية الجهاد فسيتم الحديث عنها عن حكم الجهاد بإذن الله تعالى.

ثانياً: الآيات التي أمرت بالجهاد وحذرت من الاعتداء

وردت في القرآن الكريم آيات تأمر بالجهاد في سبيل الله تعالى، وفي نفس الوقت تحذر من الاعتداء، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

²¹ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، نيل المرام في تفسير آيات الأحكام ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل ، أحمد فريد المرزدي ، (دار الكتب العلمية ، 2003 م) ، ص 64.

²² أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، التفسير البسيط، (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط 1 ، 1430 هـ) ، 243/3.

[البقرة: 190]، يقول الإمام النحاس في هذه الآية: " أي ولا تقاتلوا من عاهدتم وعاهدتم وقيل، لا تقاتلوا من لم يقاتلكم " ²³، حيث أن الله تعالى فرض عليهم الجهاد لمن قاتلهم وحاربهم ووقف في وجه دعوتهم، وأمرهم أن لا يعتدوا على المعاهدين من الكفار والمشركين، ولا يظلموا المستضعفين من الشيوخ والأطفال والنساء.

ثالثاً: الآيات التي تنفر وتحذر من ترك الجهاد

فقد وردت في القرآن الكريم آيات تحذر من ترك الجهاد في سبيل الله تعالى، وتبين أن التقاعس عنه يعرض المسلم لغضب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24]، فقد تواعد الله تعالى في هذه الآية الذين يتخلفون ويتقاعسون عن الجهاد بأنه سيصيهم عقابه بسبب ارتكابهم الإثم والخطيئة، وذلك بتقديم المصالح والمنافع الدنيوية على الحياة الآخرة، ولا يخفى أن هذا من الفسق الذي حذر الله تعالى منه بقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين، فالفسق صفة ملازمة لكل متقاعس عن الجهاد، مفضلاً شهوات الدنيا وملذاتها على الحياة الأخروية ونعيمها.

ومن الآيات الدالة على تحذير الله تعالى من ترك الجهاد قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ [التوبة: 39]، يقول الإمام ابن العربي المعافري رحمه الله

²³ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، (مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ط 1 ، 1409) ، 105/1 .

تعالى في تفسيره للآية: " هذا تهديد شديد، ووعيد مؤكد، في ترك النفير " ²⁴، ومعلوم أن ترك الجهاد في الوقت الذي يحتاج المسلمون إليه من أكبر الكبائر.

ومن الآيات الدالة على التحذير من ترك الجهاد أيضاً، قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 95]، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في هذه الآية: " فوعد -الله- المتخلفين عن الجهاد الحسنى على الإيمان، وأبان فضيلة المجاهدين على القاعدین، ولو كانوا آمنين بالتخلف إذا غزا غيرهم كانت العقوبة بالإثم " ²⁵، فالآية توضح جزيل الأجر للمجاهدين، وكبير الذنب والإثم للمتخلفين والمتقاعسين عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

رابعاً: الآيات التي ترغب في الجهاد

وأما الآيات التي رغبت في الجهاد في سبيل الله فكثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218]، فالآية تشتمل على الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك تشتمل على ضرورة الصبر وتحمل مشقة الهجرة في سبيل الله تعالى، والذي يعيننا في هذه الآية الترغيب في الجهاد في سبيل الله تعالى، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى في هذه الآية: " والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد ... أولئك يرجون

²⁴ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1424 هـ، 2003 م)، 511/2.

²⁵ محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1400 هـ)، 32/2.

رحمت الله ثوابه، أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبارة بالخواتيم. والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط، رحيم بإجزال الأجر والثواب²⁶، يبين الله تعالى أن الرجاء الذي يبتغيه المجاهد من الثواب والأجر الجزيل حاصل، حتى لو شاب جهاده بعض الأخطاء فإن الله تعالى يغفر ما صدر منه ويرحمه بإعطائه مبتغاه من الجهاد.

ومن الآيات التي ترغب في الجهاد في سبيل الله تعالى وتدعوا إليه، فقد أورد الإمام الأصبهاني رحمه الله تعالى ثلاث آيات متتالية تتحدث عن الجهد المبذول في الجهاد وثوابه، وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: 72]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 16]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 142]، فقد قال الإمام الأصبهاني في درة التنزيل وغرة التأويل في معاني هذه الآيات: " أم حسبتم أن تنالوا الجنة ولما تجاهدوا الأعداء من الكفار فيعلم الله ذلك منكم، ولما تصبروا صبرا زائدا على صبرهم فيرى ذلك من فضلهم عليهم " ²⁷، فهذه الآيات بمجملها تدل على أن ثواب الله تعالى يحتاج إلى عمل وسعي ومصابرة في ساحات الجهاد، حتى يتميز المؤمن الصابر من العاجز المتقاعس عن فرضية الجهاد.

خامساً: الآيات التي تحدثت عن أحكام الجهاد

²⁶ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 137/1.
²⁷ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، (السعودية، 1422 هـ، 2001 م)، ص 130.

وهنا الحديث في مشروعية الجهاد عن الآيات التي وضحت أحكام الجهاد، وما يتعلق بهذه الآيات من اختلافات بين المفسرين والفقهاء، ومن هذه الآيات: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 5]، هذه الآية هي أكثر الآيات التي بحث فيها العلماء من المفسرين والفقهاء، واختلفوا في مضمونها، وهي أكثر آية أثرت حولها الشبهات والاختلافات، ولذلك سيتم الحديث عنها في مبحث الشبهات والردود عليها بإذن الله تعالى.

ومن الآيات التي تحدثت عن أحكام الجهاد قوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: 41]، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى: "انفروا خفافاً لنشاطكم له، وثقلاً عنه لمشقتة عليكم، أو لقلّة عيالكم ولكثرتها، أو ركبانا ومشاة " 28، وفي هذه الآية توضيح لأحوال وأحكام الجهاد فيما يخص المجاهد والحالة التي هو عليها.

ومن الآيات التي تحدثت عن أحكام الجهاد في سبيل الله، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: 65]، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى في هذه الآية: "بالغ في حثهم عليه ... إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا " 29، فالآية مجملها تظهر بوضوح الأمر الصادر من الله تعالى لنبيه الكريم بتحريض المؤمنين على القتال وعدم ترك الجهاد، وأن الإلتزام بأوامر الله تعالى ورسوله الكريم طريقاً ميسراً للوصول إلى تأييد الله تعالى

28 ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 147/3.

ومرضاته.

وأما يتعلق بهذه الآيات من أحكام سيتم الحديث عنها بشكل مفصل أثناء الحديث عن حكم الجهاد، وما يتبعها من مسائل في النسخ.

مشروعية الجهاد من السنة

وبعد الحديث عن مشروعية الجهاد من القرآن الكريم، فإن الحديث الآن يتناول الأدلة على مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وهنا نكتفي بذكر ثلاثة أحاديث، أما الأول يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم علة الجهاد، وأما الحديث الثاني فقد ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم كل ما يتعلق بالجهاد من مسائل عملية قبل القتال وأثناءه وبعده، وأما الحديث الثالث، فقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام فيه فضائل الجهاد وثوابه.

أما الحديث الأول فعن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَبِّهَا، وَحَسَابُكُمْ عَلَى اللَّهِ " ³⁰، ففي الحديث دلالة على أن الغاية من تشريع القتال إنما هو للدفاع عن البلاد الإسلامية وحماية الدعوة الإسلامية ممن يقف في وجه نشرها والعمل بها، فالجهاد يعصم البلاد من الفتن، ويسد باب اعتداء المعتدين من خلال محاربة الشرك والكفر، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

²⁹ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 120/3.

الحديث الثاني رواه سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاةٍ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اعْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاتْلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اعْزُوا وَلَا تَعْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمَثَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ جَلَالٍ - فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْعَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلُّهُمْ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ " 31.

ففي الحديث وصايا تتعلق بمسائل الجهاد، وهذه الوصايا منها ما قبل البدء بالجهاد، ومنها أثناء الجهاد، ومنها يتعلق بعد الجهاد، وفي الحديث دلالة على أن الخروج إلى الجهاد ينبغي أن يكون في سبيل الله وإعلاء لكلمة الله تعالى ودينه، لا من أجل منصب أو مال أو شهرة، وكذلك يدل الحديث على أنه يجب دعوة الكفار إلى الإسلام رافة بهم، وذلك قبل بدء القتال، وفي الحديث أيضاً تحريم قتل من لم يبلغ الحلم من الصبيان، وتحريم المثلة في أجساد قتلى المشركين، وتحريم الخيانة بالمعاهدين وأهل الذمة، وغيرها من الوصايا التي تضمنها الحديث الشريف.

³⁰ أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، 53/1 ، حديث رقم : 36 .

³¹ أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، 1356/3 ، حديث رقم : 3.

وأما الحديث الأخير، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ حَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُذِحَلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَبِي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ " 32.

في الحديث وعد من الله تعالى للمجاهد بأن ثمرة جهاده دخول الجنة، وظاهر الحديث يفيد أن المجاهد المخلص يدخل الجنة بغير حساب، والله تعالى أعلم.

علة الجهاد وضوابطها والحكمة من مشروعية الجهاد

ما من أمر شرعه الله تعالى على عباده المسلمين إلا وكان من ورائه حكمة ربانية، وهذه الحكمة إما أن تكون ظاهرة، وإما تكون خفية لا يعلمها إلا الله تعالى، ولعل الحكمة الظاهرة لمشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى تتلخص في توجه الإنسان بالعبودية إلى الله تعالى، ومنع وقوع الفساد بين الناس في الأرض، ومعالجته بعد حدوثه، بالطرق التي ارتضاها الله تعالى لعباده.

ولا شك أن هناك الكثير من الآيات التي تحدثت عن الحكمة التشريعية للجهاد في سبيل الله تعالى، نذكر بعضاً منها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ

³² أخرجه محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، باب: الجهاد من الإيمان، تحقيق محمد بن زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ)، 40/1، حديث رقم: 36.

الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿ [النساء: 75-76]، ففي الآية استشارة مروءة المسلم تجاه أولئك المستضعفين من الرجال والنساء والأولاد، فإن الله تعالى يثير تلك المروءة في نفوس المسلمين لبيان لهم علو وسمو الهدف والغاية من هذا الجهاد، وكيف لا يكون كذلك والجهاد في سبيل الله تعالى إنما شرع نصرته لمن يعاني محنة في دينه وعقيدته.

ومن الآيات التي توضح الحكمة التشريعية للجهاد في سبيل الله، قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 244]، ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره للآيتين: "فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض—وهو الفتنة— " وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ "، يقول حتى تكون الطاعة والعبادة لله خالصة دون غيره " 33.

والأمر بالجهاد في الآية لكي لا يكون كفر وشرك بالله، وصد عن دعوة الإسلام، فإن ترك الكفار ما كانوا عليه من الشرك والكفر ومنع الدعوة الإسلامية عندها لا يحاربون.

فهذه الآيات القرآنية تبين أن الجهاد إنما شرع من أجل مبدأ، وهذا المبدأ يتمثل في أن يكون الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله تعالى وفي سبيله، وسبيل الله تعالى وإرادته لا تتوجهان إلا إلى العدالة وإثبات الحق وفعل الخير.

³³ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط 1 2000 م)، 537/13-538.

إن الجهاد الذي أرادَه اللهُ تعالى يكون لأجل أن يُعبد اللهُ وحده، وأن يكون سبباً في منع حدوث الفتن، ولأجل حماية الناس من ظلم الطغاة وأصحاب البغي، يقول سليمان بن مقاتل رحمه الله تعالى في تفسيره: " لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المسلمين وخرّبوا المساجد والبيع والكنائس والصوامع " ³⁴، ودفع الله المشركين بالمسلمين، أي من خلال الجهاد في سبيل الله.

والحديث الذي مر معنا آنفاً يثبت بكل وضوح أن الحكمة المشروعية للجهاد في سبيل الله تعالى إنما هي للدفاع عن البلاد الإسلامية، وحماية الدعوة الإسلامية ممن يقف في وجه نشرها، ويصد عن العمل بها، وتأمين السبل اللازمة لها.

فالجهاد في سبيل الله تعالى يعصم البلاد من الفتن، ويسد باب اعتداء المعتدين من خلال محاربة الشرك والكفر، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحْثَ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " ³⁵.

وأما ما يتعلق بشروط الجهاد فسيتم الحديث عنه أثناء الحديث عن الأحكام الفقهية المتعلقة بالجهاد.

³⁴ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير سليمان بن مقاتل، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة، (بيروت: دار إحياء التراث، ط 1، 1423 هـ)، 211/1.

³⁵ أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، تحقيق مصطفى ديب البغا، (بيروت، دار ابن كثير، ط 3، 1987م)، 17/1، حديث رقم: 25.

الفصل الأول: مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين

إن مفهوم الجهاد هو أحد المواضيع الذي دارت حوله القضايا الفكرية المعاصرة، نتيجة للتغيير المنهجي في فهم المسلمين وغير المسلمين لآيات الجهاد في سبيل الله تعالى، حيث أحدث هذا التغيير المنهجي مفارقات كثيرة في معنى الجهاد بين الماضي والحاضر.

في هذا الفصل سيتم بيان تلك الفوارق التي ظهرت في الآونة الأخيرة بين رؤية كل من المفسرين القدامى والمحدثين للجهاد في سبيل الله تعالى، حيث برزت فروقاً واضحة بينهما، ليس في تعريف الجهاد وحكمه فحسب، بل تعدى ذلك إلى أنواع الجهاد والأحسام المتعلقة بكل نوع.

فما هو مفهوم الجهاد بين تفاسير القدامى والمحدثين؟

المبحث الأول: مفهوم الجهاد عند تفاسير القدامى

لم يختلف المفسرون القدامى في تحديد مفهوم الجهاد، وذلك لأن مصطلح الجهاد بمفهومه السائد في القديم لم يخضع لتحولات جوهرية تغير من ماهيته، وهو ما يعبر عنه بجهاد الكفار بغية دعوتهم إلى الإسلام وتبليغهم الدعوة، ولذا فإنه في بعض الأحيان نطلق على الجهاد بالجهاد الدعوي الذي ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في بداية بعثته في مكة المكرمة.

على أن هناك معنى آخر للجهاد وهو المشهور عند المفسرين القدامى، وهو محاربة الكفار والمشركين ابتداءً بهدف الدخول في الإسلام، والإذعان التام لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك فإن من الأهمية بمكان التعرف على مفهوم الجهاد عند القدامى ومقارنته بما عليه في العصر الحديث، بعيداً عما استغله بعض

الغريبين من الكتاب والباحثين في وصفهم الجهاد بأنه إرهاب وعدوان، إذ إن مصطلح الجهاد بالغ الأهمية والحساسية، لأنه تقوم عليه علاقات دولية مباشرة بين الأمم تتصل اتصالاً وثيقاً بالحريّة الدينية عند الناس، والدليل على ذلك الواقع الذي يعيشه المسلمون بالنسبة للجهاد، والعمل الوثيق والمتتابع من قبل الدول غير الإسلامية على جعل الدين الإسلامي الدين الذي يغذي الإرهاب ويدعوا إلى القتل.

المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند المفسرين القدامى، بالرأي والمأثور

يكاد يتفق جُلّ المفسرين بالمأثور القدامى بأن الجهاد إذا أطلق ولم يقيد بقريضة فإن المقصود به عند ذلك: الجهاد القتالي: أي قتال الكفار والمشركين، وأما إذا قيد بقريضة تصرفه إلى معنى آخر، عندها لا يمكن حمله على معنى القتال، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: 78]، قال الإمام السمرقندي رحمه الله تعالى: " يعني اعملوا لله عز وجل حق عمله، ويقال جاهدوا في طاعة الله عز وجل وطلب مرضاته " ³⁶، فالآية جعلت من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى خالقه ومولاه من الجهاد في سبيله.

كذلك أورد الإمام الماوردي رحمه الله تعالى أقوال عدد من المفسرين في تفسيره لهذه الآية، فقال: "

قال السدي: اعملوا لله حق عمله، وقال الضحاك أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر

³⁶ السمرقندي، بحر العلوم، 472/2.

"³⁷، وقال الواحدي: " أكثر المفسرين حملوا الجهاد ههنا على جميع أعمال الطاعة " ³⁸.

إن مراد الله تعالى في هذه الآية المجاهدةُ في طاعة الله تعالى بالتزام أوامره واجتناب مناهيه، وأغلب المفسرين القدامى يحملون هذه الآية على كل عمل يحمل في طياته معاني التقرب إلى الله من العبادات والطاعات، سواء أكانت الطاعات المتعلقة بحقوق الله تعالى كالصلاة والصوم والحج وإزكاة، أو العبادات المتعلقة بحقوق العباد كالصدق في المعاملات، وتقديم الخدمات التعليمية للناس، ونصحهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، وغير ذلك.

من خلال ما مر فإن غالب المفسرين لم يحملوا هذه الآية على الجهاد القتالي، وإنما حملوها على مجاهدة العبد تجاه خالقه ومولاه بالطاعات والعبادات، لأنهم اعتبروا أن سياق الآية بعمومه لا يدل إلا على هذا المعنى.

وبالإنتقال إلى مفهوم الجهاد عند القدامى من المفسرين - بالمأثور وبالرأي - فإنه قبل الشروع في توضيح هذا لابد من من التفريق بين مرحلتين، الأول: معنى الجهاد في مرحلة صدر الإسلام، أي في مكة المكرمة، والجهاد في مرحلة ما بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

المتأمل في الفترة الأولى للإسلام يجد أن الرسالة المحمدية ركزت على جهاد نشر الدعوة الدينية في مجتمع طغت عليه الوثنية الشركية المتمثلة في عبادة الأوثان والأصنام، ولذلك فإن معنى الجهاد في تلك الفترة لم

³⁷ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، النكت والعيون ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، 41/4 .

³⁸ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 : 1994م) ، 281/3 .

يؤخذ على إطلاقه، وإنما انصب كلياً على معنى إقناع المخاطب بالحجة والدليل، والدعوة إلى الإسلام، بعيداً كل البعد عن القتال وحمل السلاح، وهذا المعنى ظهر في مكة المكرمة في بدايات الدعوة إلى دين الله تعالى، متجلياً بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، فقد أورد الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى وجاهدكم به، أي: " بالقرآن " 39.

وأورد الإمام الرازي في هذه الآية أكثر من قول، كلها تنصب تحت معنى الجهاد، إلا أنه رجح أن المراد بها القرآن الكريم والدعاء، معللاً ترجيحه بأن هذا التوجيه من الله تعالى إنما كان في مكة المكرمة، ومعلوم أن الجهاد القتالي تم فرضه في المدينة المنورة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام، فقال: " وجاهدكم به جهاداً كبيراً: فقال بعضهم: المراد بذل الجهد في الأداء، والدعاء وقال بعضهم: المراد القتال، وقال آخرون: كلاهما، والأقرب الأول لأن السورة مكية، والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة " 40.

ويرى الإمام البيضاوي أن المقصود بهذه الآية مجاهدة مشركي مكة، وإقناعهم بالدخول في دين الله تعالى، حيث أن هذا الدين يدعوهم إلى ترك عبادة الأصنام والأوثان، والتوجه إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد، دون التطرق إلى القتال واستعمال السيف، فقال: " فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم.

³⁹ انظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (مؤسسة الرسالة ، ط 1 2000 م) ، ، 281/19 ، وانظر: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ، بحر العلوم ، تحقيق محمود مطرجي ، (بيروت : دار الفكر) ، 541/2 ، وانظر : أحمد بن محمد بن إبراهيم الفعلي ، أبو إسحاق ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط 1 2002 م) ، ، 140/7 .

⁴⁰ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط 3 : 1420 هـ) ، ، 474/24 ، انظر : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فتح القدير ، (دمشق : دار ابن كثير ، ط 1 : 1414 هـ) ، ، 94/4 .

جِهَادًا كَبِيرًا لِأَن مَجَاهِدَةَ السَّفَهَاءِ بِالْحَجَجِ أَكْبَرُ مِنْ مَجَاهِدَةِ الْأَعْدَاءِ بِالسِّيفِ " 41.

ونجد أن ابن عباس رضي الله عنه مع قلة من المفسرين قد فسروا قوله تعالى: **جِهَادًا كَبِيرًا**، باستخدام القوة في دعوته للإسلام إن لم يستجيبوا لنداء القرآن الكريم، فقال: **" وَجَاهِدُهُمْ بِهِ "** بالقرآن "، **" جِهَادًا كَبِيرًا "** بالسيف " 42.

وتابع الإمام الماوردي ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسيره لقوله تعالى: **" وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا "**، فقال: **" فيه وجهان: أحدهما: بالقرآن. الثاني: بالإسلام، جِهَادًا كَبِيرًا: فيه وجهان: أحدهما: بالسيف. الثاني: بالغلظة "** 43، فابن عباس رضي الله عنه من خلال تفسيره لهذه الآية رأى أن الجهاد الكبير هو القتال بالسيف، وأن الكفار والمشركين إن لم يقبلوا الدخول بالإسلام من خلال الحجج والبراهين، عندها يتوجب على المسلمين قتالهم، وهذا المعنى الذي جاء به ابن عباس رضي الله عنه لم يقل به جلّ المفسرين القدامى، سواء من كان في عصره، أو من جاء بعده من المفسرين، كالإمام الطبري، والإمام الرازي، والإمام البيضاوي، الذين مرّ ذكر أقوالهم في هذا الجانب آنفًا، وغيرهم كثير ممن قال بأن دلالة الآية تشير إلى أن الجهاد الكبير هنا جهاد الدعوة إلى الإسلام بالحجج والبراهين.

إن القدامى من المفسرين يرون أن الجهاد الكبير يتمثل في جهاد الحجج والبراهين وإقناع الناس بقبول دين الإسلام دون قتال، أي الجهاد الذي يشتمل على بذل الجهد الدعوي في سبيل نشر الإسلام، فقد أورد

41 ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط 1 : 1418 هـ) ، 4/128 .

42 عبدالله بن عباس رضي الله عنه ، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ، جمع : مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، ص 304 .

43 أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، النكت والعيون ، 4/150 .

الإمام الإيجي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية ما نصه: " جِهَادًا كَبِيرًا: لا يخالطه فتور، بأن تلزمهم بالحجج والآيات أو بما يأمرك القرآن وما علمت منه " 44.

والخلاصة مما سبق من أقوال المفسرين أن الجهاد في بداية الدعوة الإسلامية اقتصر على المعنى الدعوي المصحوب بالأدلة والبراهين لإقناع الناس الدخول بدين الإسلام في تلك الفترة، فلم تكن آنذاك دولة يجب الدفاع عنها، وهذا ما اقتضى أن يكون الجهاد في فترة وجوده صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة متوقفاً على الحوار مع المشركين والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمصابرة على أذى المشركين للمسلمين، ولم نجد في تلك الفترة أي مظهر من مظاهر الجهاد القتالي.

وأما الجهاد بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه أخذ منحىً آخر، بحيث لا يمكن القول إنه تحول إلى معنى ومفهوم آخر، لأن الجهاد بالمعنى الدعوي لم يزل قائماً وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن يمكن القول: إنه أضيف إلى الجهاد تشريعات ومعاني أخرى، منها الجهاد القتالي الذي شرعه الله تعالى كي يدافع المسلمون عن حقوقهم، ورد الظالمين من أعدائهم.

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة واستقر فيها وكوّن هناك دولة إسلامية، باتت هذه الدولة بحاجة إلى حماية حدودها ومؤسساتها وممتلكاتها من خطر أعدائها، ولذلك تمّ هناك تشريع مفهوم جديد للجهاد لا يقل شأناً عن الجهاد الذي شرعه الله تعالى في مكة المكرمة، وهو الجهاد القتالي، حيث عبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ تُبَلِّغُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: 39]،

44 محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الإيجي ، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 2004م) ، 161/3 ، انظر : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، (دمشق : دار القلم ، ط1 : 1415هـ) ، ص 781 .

يقول الإمام عبد الرزاق الصنعاني: " وهي أول آية نزلت في القتال " ⁴⁵، فكانت هذه الآية هي أول ما شرعه الله تعالى من أحكام القتال، فقد شرع الله تعالى قتال المشركين عقب خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة مهاجراً إلى المدينة المنورة، وذلك تهيئاً من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام للدفاع عن الإسلام والعقيدة والنفس والمال.

والشيء الذي ينبغي التنبيه إليه هو أن الجهاد الذي ظهر في المدينة المنورة لم يشرع بسبب اختلاف العقيدة والدين، وإنما شرع لرد كيد الظالمين، وإعلاء كلمة الله تعالى، وحفظ دينه، قال ابن عباس رضي الله عنه: " لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم، فنزلت: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وكان ابن عباس يقرأها أذن قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال " ⁴⁶.

رأي الباحث

يرى الباحث من خلال أقوال المفسرين أن الجهاد في بداية الدعوة إلى الإسلام اقتصر على المفهوم الدعوي للجهاد المصحوب بالحجج والبراهين لإقناع الناس بالدين الإسلامي، بعيداً عن معاني القتال هو التفسير الأصح لمفهوم الجهاد في العصر المكي، وهذا قول الجمهور الذين خالفوا فيه رأي سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، إذ لا يعقل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال في بداية بعثته مع ثلة قليلة من أصحابه في مواجهة قريش التي كانت من أقوى القبائل العربية عدة وعتاداً.

⁴⁵ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري البجلي الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 1419هـ)، 408/2.

المطلب الثاني: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى

وبعد التعرف على مفهوم الجهاد في المرحلتين، الأولى في مكة المكرمة، والثانية في المدينة المنورة، نذكر

المعاني الأخرى للجهاد التي جاء بها المفسرون القدامى.

ما من شيء وإلا ويحتاج إلى جهاد، ويتمثل ذلك الجهاد في أن تبذل النفس الإنسانية طاقتها

وجهدتها، فإن كان هناك حاجة لجهاد اللسان فلا بد من بذله، وإن كان بجهاد الطاعة فبه، وإن كان بجهاد

الدعوة إلى دين الله تعالى فبه، وإن كان بجهاد المصابرة على الحن والإبتلاءات فهو كذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: 6]، يقول

الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى: " أي منفعة جهاده وإنما هي لنفسه، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد، والجهاد

هنا يحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس" ⁴⁷، فالجهاد في هذه الآية يعني مجاهدة العبد لنفسه وهواه،

يأتمر بما أمر الله تعالى به وينتهي عما نهى الله تعالى عنه، والتزام الصبر على مصاعب الحياة وابتلائها، فإن أجز

جهاده يعود عليه، ومنفعة أعماله تكون له لا لأحد غيره، لأن الله تعالى لا ينتفع بطاعة العبد وإنما العبد ينتفع

بطاعته.

وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: " والجهاد ... مجاهدة النفس والشيطان

والفساق، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها وأما مجاهدة الشيطان

فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان

⁴⁶ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3: 1419هـ)، 2496/8.

والقلب وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب " 48.

فابن حجر يعدد أقسام الجهاد في سبيل الله تعالى، ونجده قد حصرها في أربع معانٍ، أولها جهاد النفس، وثانيها جهاد الشيطان، وثالثها الجهاد ضد المثبتين من الفسقة، ورابعها جهاد الأعداء من الكفار والمشركين.

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: " فأكمل النَّاس هداية أعظمهم جهاداً وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشَّيطان وجهاد الدُّنيا فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبيل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فاتته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد " 49، فيتضح أمامنا من أقوال المفسرين معان أخرى للجهاد لا تختص بفترة زمنية ولا بمكان معين، وإنما هي معان مطلوب من المسلم العمل عليها والأخذ بها.

على أن هناك مفاهيماً أخرى للجهاد سيتم ذكرها أثناء الحديث عن مفهوم الجهاد عند المفسرين المحدثين، وما يهمنا هنا هو ذكر المعاني الأخرى التي ذكرها القدامى من المفسرين، وماذا قالوا في حقها.

أولاً: جهاد النفس

لا شك أن المسلم إذا استطاع أن يتغلب على شهوات نفسه، وألا ينصاع إلى أمانيتها فهذا من أنواع الجهاد التي يخوضها ويسعى للفوز بها في حياته العملية، خصوصاً أن النفس غالباً ما تدعو صاحبها إلى

47 أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط: 1، 1416هـ، 1995م)، 122/2-123.

48 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 3/6.

49 محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2 1973)، ص 59.

ارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر الشرع، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: 53]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " إن النفوس نفوس العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله" ⁵⁰، ومن المعلوم أن جهاد الانسان لنفسه يتمحور حول الوصول إلى غاية عظيمة تتمثل في مرضاة الله تعالى، فاستبدال زخارف الدنيا وشهواتها بما عند الله تعالى من الثواب والأجر العظيم لأكثر برهان على علو مكانة هذا المعنى من الجهاد، ولا يخفى أن هذا النوع من الجهاد ربما يفتقده كثير من أبناء الأمة، مما كان سبباً في إحداث تقاعس كبير في مجالات الجهاد الأخرى، إذ لا يمكن لمن لم يجاهد نفسه أن يكون مجاهداً في ساحات القتال.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24]، فقد تواعد الله تعالى الذين يتقاعسون ويتخلفون عن الجهاد في سبيله بأنه سيحل عليهم عقابه وغضبه، وذلك بسبب عصيانهم وارتكابهم الإثم، من خلال تقديم مصالحهم ومنافعهم الدنيوية على الآخرة، ولا يخفى أن هذا من الفسق الذي حذر الله تعالى منه، فقال تعالى: **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ، ولهذا يمكن اعتبار أن كل من تخلف وتقاعس عن الجهاد في سبيل الله تعالى من الفسقة، فالفسق صفة ملازمة لكل متقاعس عن الجهاد، مفضلاً شهوات الدنيا وملذاتها على الحياة الأخرية ونعيمها.

إن المؤمن الذي يستجيب لدعوة الله تعالى لجهاد المشركين، وقد ترك الدنيا وما فيها، من غير أن يعلم

⁵⁰ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، 142/16.

أنه هل سيلتقي مع أفراد أسرته مجدداً أم لا، وأنه هل سيعود إلى البيت الذي كان يقطنه وإلى المال الذي كان يملكه، لا شك أن مثل هذا الرجل قد استطاع أن يجاهد تلك النفس حق الجهاد، تلك النفس التي لا تألو جهداً في دعوته إلى الشرور وترك المأمور، فما أعظم هذا النوع من الجهاد، وما أعظم نتائجه، وهذا المعنى يؤكد قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 69]، يقول الإمام المنتصر الكتاني في تفسيره للقرآن الكريم: " إن الجهاد يكون بالسيف، ويكون بالقلم، ويكون بالعبادة، ويكون بكسب الحلال، ويكون بطلب العلم " 51، وهنا يتضح أنه ما ينبغي أن تكون للنفس أي حظ في أي عمل يقوم به المسلم مبتغياً به وجهه الكريم، لأن ديدن النفس الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وزيادة على ذلك أنها توقع صاحبها في النفاق والرياء والسمعة الزائفة.

وفي الحديث أن النبي ﷺ أخبر أن جهاد النفس من الجهاد الأكبر، وأن نتيجة هذا النوع من الجهاد الهداية إلى سبيل الله تعالى، فعن جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم غزاة، فقال صلى الله عليه وسلم " قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه " 52. وقد نظر العلماء إلى هذا الحديث من منظورين مختلفين تماماً، ما أدى إلى تشكل رأيين مختلفين، الأول لم يأخذ بهذا الحديث وقال برده، والثاني اعتمده وأخذ به، وبرر معانيه وأسنده بأدلة توافق مذهبه، سنذكرها أثناء الحديث عن هذا الفريق.

51 الكتاني، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنتصر للقرآن الكريم) ، محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسيني المتوفى 1419هـ ، تفسير سورة العنكبوت موقع الشبكة الإسلامية ، (www.islamweb.net) ، 10/170 .

52 أخرجه أحمد بن الحسين الحُسْرُوْجْردي الحراساني، أبو بكر البيهقي، كتاب الزهد الكبير، باب ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى، تحقيق : أحمد حيدر، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط3 ، 1996م) ، ص 165 ، حديث رقم : 373 ، إسناده ضعيف . وانظر : أخرجه عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، تحقيق : يوسف النبهاني ، (بيروت ، دار الفكر ، ط1 ، 1423هـ ، 2003م) 280/2 ، حديث رقم : 8430 .

أما الفريق الأول: أنكر معنى هذا الحديث وضعفه، مدعياً أن الحديث يتعارض مع الكثير من الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الجهاد، معتبراً أن أفضل الأعمال عند الله تعالى الجهاد في سبيل الله تعالى، مستندلاً بعدة أدلة، منها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله" ⁵³، أي لا يمكن أن يتساوى الذين تخلفوا عن الجهاد في سبيل الله عن المجاهدين لا بالفضل ولا بالفضيلة.

واستدلوا أيضاً بحديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما سأل رسول الله ﷺ عن عمل يدخله الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: " ... ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ... " ⁵⁴.

فالفريق الأول يرى في الآية السابقة وفي الحديث الشريف دلالة واضحة على أن أفضل الأعمال عند الله تعالى الجهاد في سبيله، ولا يمكن اعتبار جهاد النفس مقدم على الجهاد أمام أعداء الأمة.

أما الفريق الثاني من العلماء، فيرى أن الآية والحديث لا يتعارضان مع المعنى العام الذي قالوا به واعتمده، وذلك لأن حديث الجهاد الأكبر ليس فيه إلا دعوة إلى أن يعتني المسلم بتزكية نفسه وتربيتها ومقاومة ملذاتها.

⁵³ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، 85/9 .
⁵⁴ أخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998م) ، 308/4 ، حديث رقم : 2616 ، حديث حسن صحيح .

ولا شك أن نتيجة تلك المجاهدة ستكون طريق رشد هداية إلى مرضاة الله تعالى وإلى سبيله، ومن ثم اللحاق بركب المجاهدين في سبيل الله تعالى في أرض المعارك والحروب، وهذا يتوافق ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، يقول الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: " المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجن، ومرة مع أعدائه من الإنس، ومرة مع هوى النفس، ومرة في أمر الدنيا، كل ذلك مجاهدة في الله " 55، فلا يمكن للمسلم أن يجاهد في سبيل الله تعالى حق جهاده إلا إذا تهيأت نفسه الداخلية من خلال ترويضها على أوامر الله تعالى والابتعاد عما نهى عنه، وهذا لا يتأتى بحال مالم يعمل على كبح جماح نفسه ومتطلباتها.

وأما النفس الأمارة بالسوء فأني تستجيب لنداء الجهاد في سبيل الله تعالى ومحاربة الأعداء، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، إذن ينبغي مجاهدة النفس بحيث تصل بصاحبها إلى مرحلة يصبح الجهاد في سبيل الله تعالى مقدم عنده على الدنيا وما فيها من محبة الزوجة والعشيرة والأموال والتجارة وغيرها من الأشياء التي ذكرها الله تعالى في الآية.

رأي الباحث

من خلال ما مر يرى الباحث أن مجاهدة النفس تأتي بالدرجة الأولى، أي قبل الجهاد في ساحات القتال، وليس القصد أن جهاد النفس أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى، وإنما القصد يتجه إلى أن من آثار

⁵⁵ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، 209/8.

جهاد النفس الثبات في أرض المعركة، فإذا كانت المقدمات صحيحة فلا يمكن إلا أن تكون النتائج صحيحة،
والعكس صحيح.

على أن هذا المعنى سيتم ذكره مفصلاً أثناء الحديث عن مفهوم الجهاد عند المفسرين الذين اعتمدوا
التفسير الإشاري.

ثانياً: جهاد الشيطان

وبعد الكلام عن جهاد المسلم لنفسه، وأن جهاد النفس إنما هو بوابة تمهد للمسلم الطريق لأن يدخل
من خلاله إلى الجهاد القتالي في سبيل الله تعالى.

فلا بد من ذكر عدو ذكره الله تعالى في القرآن في العديد من الآيات، وربما هو أشد خطراً على
المسلم، ألا وهو الشيطان ووساوسه، قال الله تعالى في حقه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6]، يقول الإمام السلمي رحمه الله تعالى في تفسيره
للآية: "بما نصركم عليه واحذروا أن يغلبكم فإنه إنما يدعو حزبه، وحزبه هم الراكنون إلى الدنيا والحبون لها
والمفتخرون بها" 56.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: 39]،
وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: 20]، وإن المسلم
اليوم أمام حروب كثيرة، وعلى جميع الأصعدة، ولعل من أشدها خطورة كما مر هي تلك الحرب التي تدور
بينه وشيطانه، فمن انقاد لشيطانه فقد خسر دنياه قبل آخرته.

ولا يخفى على أحد أن الشيطان وأتباعه يسعون جاهدين لغواية المسلم، وبأي وسيلة كانت، هذا ما أخبر الله تعالى به عباده، وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها من كان صاحب بصيرة، فأحوال غالب المسلمين في تعاملاتهم وفي بيعهم وشرائهم، وفي أسواقهم ومنتدياتهم، وفي مجالسهم وسهراتهم، وحتى في بيوتهم منقادون لشياطين الجن وأعوانهم من شياطين الأنس، وأما القلة القليلة التي انصاعت بأقوالها وأفعالها وأحوالها لأوامر الله تعالى، هي الفئة التي تسعى جاهدة وبكل السبل أن تندرج تحت قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المائدة: 56]، وهذه الفئة تعلم يقيناً أن الخسران والهزيمة لأولئك الذين حادوا عن الصراط المستقيم، واتبعوا سبيل الشيطان.

قال الله تبارك تعالى في حقهم: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: 19] ، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه" ⁵⁷.

ولاشك أن أفضل طريق لمعاداة الشيطان والابتعاد عنه هو أن يلجأ المسلم إلى خالقه ومولاه بتذلل وانكسار، وأن يطلب المعونة من الله أن يبعده عن الشيطان ووساوسه وأهله، وأن يقربه من أصحاب الدين الخفيف وأهله.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطأ هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله عز وجل وخطين عن يمينه وخطين عن شماله، قال هذه سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأسود ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

⁵⁶ السلمي، عبدالرحمن السلمي، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، 158/2.

⁵⁷ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 440/20.

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [الأنعام: 153] " 58.

فإذا ما التزم المسلم جانب العبودية لله تعالى، وسعى في مجابهة شيطانه الذي لا يتوانى ولو للحظة واحدة في منعه وبكل الطرق من القيام بالعبادات والطاعات والخروج في سبيل الله، فإنه بذلك حقق انتصاراً عظيماً على شيطانه ونال بهذا رضا الله وجنته، فإذا ما دعا داعي الجهاد وحن وقت الجهاد في سبيل الله تعالى تجده أول من يلتحق بركب المجاهدين، ولم يكن ليصل إلى هذه المرتبة لولا تلك المجاهدة التي صبر عليها تجاه وساوس الشيطان وحزبه.

وفي الحديث الطويل الذي رواه سيرة بن أبي فاكه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ ... فَعَدَّ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: مُجَاهِدٌ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ، فَتُقَاتِلُ، فَتُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ وَيُقَسِّمُ الْمَالَ، فَعَصَاهُ فَجَاهِدْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ... " 59، ومن هذا الحديث نعلم أن جهاد الشيطان من السبل التي تهيء المسلم لأن يكون مجاهداً في سبيل الله تعالى.

ثالثاً: الجهاد ضد المثبطين

هذا المعنى الجديد من معاني الجهاد مهم جداً لمسيرة الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو ألا يلتفت المسلم المجاهد للمتقاعسين والمثبطين الذين ينشرون اليأس بين الناس، وقد كثر من مثل هؤلاء في الزمن الحالي، حيث إنهم يتفقهون بتأويل النصوص على الشكل الذي يخدم تثبيطهم للأمة الإسلامية عن الجهاد وعن السير في

⁵⁸ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: مسند جابر بن عبد الله، تحقيق شعيب الأناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط 2، 1420 هـ، م 1999، 417/23، حديث رقم: 15277، حديث حسن لغيره.

طريقه، والله تعالى بين خطرهم ونفاقهم وكذبهم بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47]، يقول ابن عطية الأندلسي في تفسيره لهذه الآية: "خبر بأنهم لو خرجوا لكان خروجهم مضرة " 60، في الآية دلالة على أن خروج هؤلاء مع المجاهدين لا يزيدهم قوة ولا شدة، بل يزيدهم شراً وفساداً يؤدي إلى ضعفهم وذهاب النصر من أيديهم.

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء المتخلفين أظهروا أنفسهم أنهم يريدون الخروج مع المسلمين جهاداً في سبيل الله، إلا أن بعض الأعدار منعهم من الخروج وكانت سبباً في بقائهم في المدينة المنورة، فبين الله تعالى كذبهم، وبين أن تلك الأعدار التي اعتذروا بها ما هي إلا أعدار واهية وباطلة، وأنهم بالأصل لم يستعدوا ولم يسعوا في أسباب الخروج لكذبهم ونفاقهم، وقد وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: 46]، والمعنى: "ولو أراد هؤلاء الذين استأذنونك في التخلف الخروج معك " 61، لكنهم ما قاموا بأي شيء من هذا، فعلم أنهم ما أرادوا الخروج أبداً.

ثم ذكر الله تعالى الحكمة من ذلك، وهي أن خروج مثل هؤلاء المتبطلين لا يجلب للمسلمين إلا الضعف والنقص، لأن هدفهم الرئيس هو نشر الفتن والشرك والقطيعة فيما بين المسلمين، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47]، يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: " فيعلم عباده كيف يحذرونهم

⁵⁹ أخرجه محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1414هـ 1993م) ، 453/10 ، حديث رقم 4593 ، حديث صحيح .

⁶⁰ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ، 1993م)، 45/3.

ويبين لهم من المفسد الناشئة من مخالطتهم " 62.

فقلوب مثل هؤلاء لا يمكن إلا أن تبت الضعف والهوان في صفوف المسلمين، ومثل هؤلاء يشكلون خطراً جسيماً على الأمة وعلى جيشها، لأنها غالباً ماتعمل لصالح أعداء الأمة، ولو خرج هؤلاء المنافقون مازادوا المسلمين إلا اضطراباً وفوضى، ولأسرعوا بينهم بالوقعة والفتنة والتفرقة والخذلان، ولذلك كله وجب مجاهدتهم ومنعهم من نشر فسادهم وشهرهم فيما بين المسلمين بالوسائل التي أمر الله تعالى بها.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى 63: " ولكن الله الذي يرمى دعوته ويكأ رجالاتها المخلصين، كفى المؤمنين الفتنة، فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ 64، فالذين يؤثرون الراحة على الجهد ويتخلفون عن ركب المسلمين لا يمكن أن يصمدوا أمام الأعداء، ولا يمكن أن يقدموا أي نتيجة إيجابية لإخوانهم، لأن حقيقتهم النفاق، وهؤلاء يجب أن يحاسبوا ويعاقبوا في الدنيا قبل أن يجدوا جزاء عملهم عند الله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [التوبة: 83]، فمثل هؤلاء لم ولن تكن لهم فرحة الجهاد وشرفه، على العكس تماماً، يجب مجاهدتهم، لأنهم في الحقيقة عبارة عن كتلة من الفساد،

61 أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ، الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره ، تحقيق مجموعة رسائل جامعية ، (ط 1429 هـ 2008 م) ، 3015/4 .

62 عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تفسير السعدي تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحي ، (مؤسسة الرسالة ط 1420 هـ 2000 م) ، 339/1 .

63 سيد قطب: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي كاتب وشاعر وأديب وداعية ومنظر إسلامي مصري ، مؤلف كتاب في ظلال القرآن ، شغل منصب رئيس قسم نشر الدعوة في جماعة الإخوان المسلمين ، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمون وعضو في مكتب إرشاد الجماعة ، ولد في مصر عام 1906 م وتوفي عام 1966 م .

يعود ضررها على البلاد والعباد بأضعاف ما تعود به الأسلحة التقليدية الفتاكة.

ولذلك فإن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى رجال تجابه الفتن بجلد وصبر وعزة، مستعينة بذلك على توفيق الله تعالى، لترفع من مستوى الأمة فكرياً وثقافياً وعلمياً، وبكل مناحي الحياة، وهؤلاء وبدون أدنى شك وقاية للأمة الإسلامية من الخلل والهزيمة والضعف والذل والهوان، وأما المثبطون فهم يعملون بكل ما أوتوا من قوة لمنع الأمة من التقدم والسير في طريق الجهاد والنصر والتمكين، ويرى الباحث أن المسلمين إذا أرادوا الخير لدينهم ودعوتهم ولأمتهم فلا بد من مجابهة هؤلاء مجابهة قوية حازمة، لا تقل شأنًا عن مجابهة العدو في أرض المعركة.

رابعاً: جهاد الأعداء من الكفار والمشركين

مر معنا فيما سبق في تعريف الجهاد شرعاً أنه قتال المشركين والكفار من أجل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، وتبين أنه إذا أطلقت كلمة الجهاد دون تقييد فإن المراد بها محاربة الكفار بالسلاح ليدخلوا في دين الله تعالى أو يدفعوا الجزية، وهذا ما عبر عنه الله تعالى بقوله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29]، وقد وردت الكثير من أقوال المفسرين بأن مضمون هذه الآية الأمر في قتال أهل الكتاب الذين بلغتهم دعوة الإسلام ولم يسلموا، فإما قتلهم، وإما أن يقبلوا دفع الجزية.

وهنا نورد هذه الأقوال لتتعرف على ماهيتها، ومن يقصدون بها.

يقول الإمام يحيى بن سلام رضي الله عنه أن الله تعالى: " أمر بقتالهم حتى يسلموا أو يقرؤا بالجزية "

⁶⁴ سيد قطب إبراهيم ، في ظلال القرآن ، (القاهرة : دار الشروق) ، 1663/3 .

⁶⁵، ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: " وهذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً واستقامت جزيرة العرب، أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى " ⁶⁶.

ويقول الإمام الخازن رحمه الله تعالى: " نزلت الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك، وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين " ⁶⁷.

فالآية تدل على أن الله تعالى تحدث عن قتال الذين وصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وقاموا بتحريف وتبديل دينهم، فأمر بقتالهم حتى يسلموا ويؤمنوا بالله تعالى، أو يدفعوا ما يفرض عليهم من الجزية من أموال لقاء ما يحصلون عليه من الحماية والأمان في بلاد المسلمين، ولا شك أن المسلمين عندما يفتحون البلاد يتكون لأهل الأديان حرية الاختيار، والأحداث التاريخية الكثيرة تدل على أن المسلمين أقروا أهل الديانات الأخرى على دينهم، وحموا حرية اختيارهم، بل في كثير من الأحيان قاتل المسلمون من يقف أمام حرية الناس في دينهم واختيارهم.

يتبين من خلال ما مر من أقوال جمهور المفسرين أن هذه الآية إنما تخص قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذهب بعض آخ من المفسرين إلى أن هذه الآية تشمل كل الكفار والمشركين ممن لا يؤمن

⁶⁵ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، تفسير يحيى بن سلام ، تحقيق : هند شبلي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 : 2004م) ، 633/2 ، انظر :

الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، 134/10 .

⁶⁶ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، (دار طيبة ، ط2 ، 1420هـ ، 1999م) ، 132/4 .

ولا يصدق بدين الإسلام، يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى: " أمر سبحانه وتعالى بمقاتلة جميع الكفار لإصفاقتهم⁶⁸، على هذا الوصف، وخص أهل الكتاب بالذكر إكراماً لكتابتهم، ولكونهم عاملين بالتوحيد والرسول " ⁶⁹.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 190-191]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " هذه أول آية نزلت في القتال في المدينة، فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله، ويكف عن من كف عنه، حتى نزلت براءة " ⁷⁰.

إن المتأمل في هذه الآيات وبأقوال المفسرين فيها يجد أن غالب الآيات التي تحدثت عن الجهاد في سبيل الله تعالى وردت في ظروف تستوجب الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وفي أحوال تُظهر اعتداء الكفار على المسلمين وممتلكاتهم، وفي شدة قايسها المسلمون وعانوا منها الكثير، ولم ترد تلك الآيات في أوقات الرخاء ودون اعتداء من قبل الكفار والمشركين.

ومن ذلك نستنتج أن الجهاد في سبيل الله تعالى لم يُفرض إلا في حال وجود الأطراف المعتدية، وأما

⁶⁷ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ، 1979م)، 78/3 .

⁶⁸ أصفق القوم على أمر واحد: أجمعوا عليه.

⁶⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2: 1384هـ، 1964م)، 109/8 .

⁷⁰ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 561/3، bkz. M. Sait Şimşek, *Hayat Kaynağı Kur'an Tefsiri*, Beyan Yayınları, İstanbul, 2012, I/215.

مسألة الدعوة إلى الدين الإسلامي وترغيب الناس فيه، فذلك يرجع إلى الإعتماد على إقامة الحجج والبراهين والأدلة على صحة هذا الدين، والعمل على إقناع الناس بالدخول فيه كما مر آنفاً.

وما كان الأمر من الله تعالى لعباده أن يسلكوا في دعوتهم الحكمة والموعظة الحسنة إلا لأجل ذلك، قال تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِالنَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125].

إن الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن معاني الجهاد الحقيقية ليست ببعيدة عن هذا المضمون، فقد كانت الأوامر التي يتوجه بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المجاهدين مليئة بضرورة التعامل مع غير المسلمين بكل أطيافهم بالعدل والقسط ما لم يكن من بينهم معتدياً.

وبذلك يتضح للناس قاطبة أن الهدف الحقيقي من الجهاد إنما هو رد كيد المعتدين، وليس إكراه الناس وإرغامهم على الدخول بالإسلام، ولذلك فإن الأحاديث التي وردت في الجهاد تأمر المجاهدين أن لا يعتدوا على غير المسلمين ولو أثناء القتال، كالإعتداء على الأطفال والشيوخ والنساء⁷¹، " فعن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف

⁷¹ Saffet Köse, "Cihat Kavramı Şiddete Referans Olabilir mi?", *Din ve Dünya Barışı: Uluslararası Sempozyum*, 26-28 Nisan 2007, İstanbul, 2008, s. 197; İbrahim Hakkı İmamoğlu, "Vahyin Nüzûl Sürecinde Hitabın "Ötekisi" (Tanım- TutumHukuk)", *İnsan ve Toplum Bilimleri Araştırmaları Dergisi*, 2020, cilt: IX, sayı: 3, s. 2719.

عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم " 72.

فليس ثمة هناك دليل أوضح من هذا الدليل على أن الإسلام ينظر إلى الناس قاطبة نظرة الرحمة والعطف، لأن الغاية المنشودة من الجهاد في سبيل الله تعالى هي بالدرجة الأولى جعل الناس يتوجهون بعبادتهم إلى الله تعالى وحده، وإزالة ظلم الظالمين ومحاربة الفساد، ومجابهتهم بالطرق التي أمر بها الله تعالى ورسوله الكريم.

ولا شك أن سلف هذه الأمة قد عرفوا هذه الحقيقة والتزموا بها، حيث كانت نتيجة جهادهم الصادق دخول الكثير من الناس أفواجاً في دين الله تعالى، لينتشر الوعي والعلم بتلك الوصايا التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم بين جميع الناس، وذلك لأن الرسالة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتصر على فئة من الناس، وإنما كانت دعوته صلى الله عليه وسلم عامة تشمل كل الفئات أينما وجدوا.

ولأجل إيصال هذه الدعوة إلى جميع الناس، كان عليه الصلاة والسلام يخرج من المدينة إلى البلاد القريبة والبعيدة بهدف هداية الناس وحميتهم من ظلم الظالمين، واعتداء المعتدين، فكان نتيجة ذلك أن الله تعالى شرع له الجهاد في سبيله لتحقيق الأهداف العالية للدين الإسلامي.

⁷² أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 1356/3، حديث رقم: 1731.

وبالتأمل في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أن الهدف لا يتمثل في نشر تعاليم الإسلام فحسب، بل يتخطى ذلك كله، وذلك من أجل أن ينعم كل من يقطن البلاد الإسلامية بالعدل والأمان، سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

وليس خافياً على أحد أن المعنى الذي تضمنته الآيات والأحاديث التي ذكرت الجهاد وما يتعلق به من أحكام قد أثارت الكثير من الشبهات عند المشرقين والمشككين، وعند بعض المفسرين المحدثين، حيث أن الكثير من الجماعات الجهادية اليوم اعتمدت على آرائهم وتفاسيرهم، ما أدى إلى طرح عدة أسئلة وبشكل متكرر من قبل المستشرقين تتعلق بمفاهيم الجهاد في الإسلام، وحتى من قبل بعض المسلمين الذين تاهوا في غياهب الآراء الفلسفة الدينية، هل الإسلام دين يحرص على القتل، وهل الإسلام انتشر بالسيف، وهل الإسلام دين الإرهاب كما يدعون، ولماذا كثر القتل في الآونة الأخيرة بسبب وبغير سبب، وخاصة في بلاد المسلمين.

هذا ما سيبينه الباحث أثناء الحديث عن الشبهات التي أثاروها عن الجهاد والردود عليها بإذن الله تعالى.

رأي الباحث

ونتيجة لما سبق يرى الباحث أنه لا يمكن حصر مفهوم الجهاد بالقتال، بل يتعد ذلك إلى عدة

مفاهيم، متمثلة بجهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد المشبطين من الفسقة، إضافة إلى المعنى المتعارف عليه بين جمهور المفسرين، وهو الجهاد القتالي.

ولعل من حصر الجهاد فقط في ساحات القتال ضد الكفار والمشركين فقد جانب الصواب، ومن حصر الجهاد بالدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، ومجاهدة النفس والشيطان في سبيل ذلك فقد ابتعد عن الحقيقة.

ويرى الباحث أن الجهاد إنما شرعه الله تعالى رحمة بالناس على كافة أديانهم، لتخليصهم من ظلم الظالمين، وليس من أجل إجبارهم على الإسلام أو قتلهم، وكما يقال إن المسلم لا يكره الكافر، وإنما يكره كفر الكافر.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين

بعد أن اتضح مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين القدامى، لا بد من الانتقال إلى مفهوم الجهاد عند المفسرين المحدثين، والتعرف على آرائهم ونظرتهم إلى مفهوم الجهاد بغية المقارنة بين ما جاء به القدامى وما جاء به المحدثين، فمع وجود التفاسير المعاصرة ظهرت تعاريف جديدة ذات توجه عصري لمفهوم الجهاد، منها ما هو مقبول ولا يتعارض مع روح التشريع وتلقته الأمة بالقبول، ومنها ما تعارض جملة وتفصيلاً مع مراد الشارع الحكيم وأهدافه.

فكان لا بد من النظر إلى كل تلك المفاهيم الجديدة ووضعها في ميزان الشريعة وتوضيح صحتها من عدمها، وفق نصوص القرآن الكريم الصريحة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك إجلالاً لحقائق إسلامية ثابتة عمل أعداء الأمة الإسلامية على تشويهها، ومن جملتها الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الأول: مفهوم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين

يمتد هذا المفهوم لدى المفسرين المحدثين إلى ما قبل مئة وخمسن سنة تقريباً، أي إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث وقعت في تلك الفترة تطورات جديدة ومفاهيم مستحدثة لمعنى الجهاد، منها ما هو منطقي ولا يخالف صريح النصوص الشرعية من القرآن والسنة، ومنها ما هو مردود لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال.

وإننا في هذه الدراسة نعكف على دراسة مفاهيم الجهاد عند بعض المفسرين المحدثين الذين كان لهم الدور الأكبر في ظهور ذلك التغيير على أرض الواقع.

لكن وقبل التعرف على أفكارهم وتوجهاتهم، كان لا بد من التنبيه على أمر هو من الأهمية بمكان، يتعلق بالفكر الإسلامي على وصف من ادعاه، هذا التعبير هو في الحقيقة استبدال لما يطلق عليه العلوم الإسلامية.

فالفكر الإسلامي بقدر ما ينتج عنه من عمل واجتهاد وتنشيط للعقل لاستنتاج نظريات فكرية معاصرة تغني علوم الدين الإسلامي، بقدر ما لهذا التوصيف من مساوئ قد ينتج عنه تغييرات جذرية في بعض الأحكام في الدين الإسلامي، يقول د. محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى⁷³، في لقاء جمعه مع جودت سعيد، وهو مفكر إسلامي في العصر الحديث وهما يتحدثان عن مفهوم الجهاد، حيث قال

⁷³ محمد سعيد رمضان البوطي : عالم سوري ، متخصص في العلوم الإسلامية ، ومن المرجعيات الدينية المهمة على مستوى العالم الإسلامي ، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي ، ولد عام 1929 م وتوفي في دمشق 2013 م .

جودت سعيد⁷⁴: " إنني مقتنع فكرياً بما أقول، ولكن مفتقر إلى دعم قناعاتي بالمؤيدات الفقهية التي يجب الاعتماد عليها، إن هذا الكلام، بالإضافة إلى مايشع فيه من روح التواضع والصدق مع الله، يلفت النظر إلى مشكلة واسعة كبرى في حياتنا الإسلامية اليوم، هي باختصار مشكلة إحلال الفكر الإسلامي محل العلم بحقائق الإسلام"⁷⁵.

لا شك أن الفكر الإسلامي الحديث بمن يمثله إذا نتجت عنه نظريات جديدة توافق قواعد الدين الإسلامي، ولا تتعارض مع أساسياته، وتحمل في طياتها النفع للإسلام والمسلمين، عند ذلك لا بد من قبول هذه النظريات والأخذ بها، وإلا وجب إنكارها ومحاربتها، وتنبه الناس على خطورتها، بل لا بد من مجابهة بطلان تلك النظريات بالأدلة والبراهين.

في الفترة الأخيرة عمد بعض المفكرين الإسلاميين على أن يأتوا بنظريات جديدة تتعلق بمفهوم جديد للجهاد، مخالفين بذلك صريح الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة وما عليه جمهور المفسرين، نتج عن ذلك تطور جديد لمفهوم الجهاد لم يتطرق إليه المفسرون والفقهاء في العصر القديم.

فالجهاد في هذه الفترة من أكثر القضايا التي أثرت حولها الخلافات والشبهات، فمنذ تأسيس الفكر الإسلامي سادت من رواد هذا الفكر طروحات جديدة، كان المقصود منها إبعاد تلك الإتهامات التي يوجهها الأعداء للإسلام، وعلى رأسها الدول الغربية التي ادعت أن الإسلام دين القتل والحرب والإرهاب.

⁷⁴ جودت بن سعيد بن محمد ، مفكر اسلامي معاصر سوري ، يعتبر امتداداً لأفكار مالك بن نبي ومحمد اقبال ، يعرف بأنه داعية اللاعنفي في العالم الإسلامي ، له مواقف سلبية من كل الحركات الجهادية ، ويدعو إلى التركيز على العمل السياسي ، تلقى تعليمه في الأزهر الشريف ، ولد في سورية في مدينة القنيطرة عام 1931 م ، وتوفي في اسطنبول 2022 م .

⁷⁵ محمد سعيد رمضان البوطي ، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه ، (دمشق : دار الفكر ، ط 1 ، 1414 هـ ، 1993 م) ، ص 13 .

فما كان من هؤلاء المفكرين إلا أن يؤولوا - من وجهة نظرهم - آيات الجهاد إلى معانٍ تجانب الصواب في أكثر الأحيان، ليزجوا تلك التهم عن الإسلام والمسلمين، وليبيّنوا للغرب أن الإسلام بقوانينه وأفكاره لا يتعارض مع الحضارة الغربية في كثير من مجالات الحياة، وخاصة في مسائل الجهاد دون أن يدري هؤلاء أنهم وقعوا في مشكلة تفوق ذلك الإتهام، وأنها تعود بالضرر على المسلمين أكثر من تلك الإتهامات نفسها، فقد حرفوا مراد الله تعالى بقصد أو بدون قصد لإرضاء جهة معينة، سواء أكانت جهة سياسية، أو حتى جهة دينية.

وبذلك نجد أن هؤلاء المفكرون يتقربون إلى الفكر الغربي بشكل أكثر توسعاً وأكثر مرونة، وربما يعود ذلك - إن لم نسئ الظن بهم - إلى عدة أسباب، تتمثل في رغبتهم في نشر الإسلام في تلك البلاد بطريقة عصرية قريبة إلى القلوب، وبعيدة كل البعد عن الحروب والقتال والدماء، والاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تقدم به الغرب على المسلمين.

لكن من خلال التأمل نجد أن النتائج المرجوة جاءت عكسية لذلك التوجه، والأمر مقروء ومسموع وواضح أمام أعين المسلمين، فبدلاً من أن يحصلوا نتائج أفكارهم هذه، حصلوا انحرافات الغرب وسيئاته وأصبحت منتشرة في البلاد الإسلامية انتشار النار بالهشيم، حصلوا انتشار ذلك الفهم السقيم بأن الإسلام دين التخلف عند الكثير من الغربيين، وأنه لا يواكب تطور المجتمعات العصرية.

فما يزال الغرب وإلى يومنا هذا ينظر إلى الإسلام بعين ضيقة، متهمين إياه بالإرهاب وأنه دين الحرب والقتال والدماء، إن الذي يقال لمثل هؤلاء المفكرين حتى لو كانت غاياتكم ونياتكم سليمة إلا أن النتائج لم تأت بحسب المخطط له، وأن هذه الأفكار لم تؤت أكلها، وأنها في الحقيقة لم تخدم إلا مصالح الغرب وقوّت

نفوذه، والواقع الذي يعيشه المسلمون أكبر دليل على ذلك.

لم تكن تلك التنازلات التي قدموها إلا على حساب الدين الإسلامي، فقد جاء في كتاب أعلام وأقزام في ميزان الإسلام أن أحد المفكرين المتأثرين بأفكار المستشرقين " يدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود ويعطل مفهوم الجهاد ... يقول عبد اللطيف غزالي مقارناً تخلف علوم المسلمين، بتقدم علوم الإغريق، ويدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود: أما علوم السلف اليوم، فهي شيء متخلف غاية التخلف بالنسبة لما لدينا " 76.

بهذا التفكير وبهذا المنطق يخاطب هؤلاء العصريون المسلمين اليوم، بحجة التقدم والتطور العصري، وقد خفي على هؤلاء أن الإسلام منذ ظهوره وإلى زماننا هذا يصلح لأن يكون مرجعية لكافة العلاقات بين الدول، لأنه من تشريع الله سبحانه وتعالى، وأما علوم الأمم الأخرى فهي لا شك قوانين وضعية تخضع لتأثير المشرع الذي لا يمكن مهما بلغ من العلم أن يصل إلى درجة الكمال، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين - المهزومين - ذلك التصور الغربي لطبيعة الدين، وأنه مجرد عقيدة في الضمير لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة، ومن ثم يكون الجهاد للدين جهاداً لفرض العقيدة على الضمير ! ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام " 77.

ونحن في هذا الصدد لا بد أن نميز بين فئتين من هؤلاء المفكرين، الفئة الأولى جاءت بمفاهيم جديدة لآيات الجهاد ضمن الإطار العام، ودون الخروج عن مراد الله تعالى، والأهداف التي سنّها الشرع الحنيف،

⁷⁶ أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، (جدة : دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ، 1424 هـ ، 2004 م) ، 169/2 .

⁷⁷ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 1443/3 .

والفئة الثانية اختزلت الجهاد بمفاهيم جديدة، وجردته عن معناه الحقيقي، وصرفته إلى معان بعيدة كل البعد عن مراد الشارع الحكيم، وذلك من خلال الاعتماد على تطور الأحداث وتتابعها.

وربما اعتمد أصحاب هذا الرأي على أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه توقفوا عن قتال المشركين في فترات محددة في مكة المكرمة، وأن جهادهم في المدينة المنورة اقتصر على الدفاع فقط، دون أن يدري أصحاب هذا الرأي أن تلك التصرفات التي انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم تكن إلا لظروف وتداعيات تقتضي بل وتحتم عليه صلى الله عليه وسلم فعلها، وأن تلك التصرفات لم تكن إلا سبيلاً يهدف إلى غاية منشودة يستطيع أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم من خلالها إلى تحرر الناس من الظلم وإزالة كل العقبات التي تقف أمامهم للدخول في دين الإسلام أفواجاً وفرداً.

ومن هنا نعلم أنه لم يكن لهذا الفكر الجديد نظريات ثابتة، لها قواعدها وقوامها، وإنما هي نظريات متغيرة، كان أكثر اعتمادها على جلب المصالح والمنافع، وهذه الفئة هي بلا ريب أشد خطراً على الأمة من العدو ذاته، لأنها بأفكارها تسعى لأن تلغي حقيقة الجهاد من أذهان المسلمين، وأن تبقى هذه الأمة تابعة لقرارات غيرها من الأمم، بحجج واهية لا أصل لها، تتمثل بالدعوة إلى السلام الدائم بين الدول، والأخذ بمبدأ التسامح قانوناً أصلياً في تعامل الناس فيما بينهم.

وهنا تتلاقى تلك المفاهيم المبتكرة من قبل هؤلاء المفكرين مع آراء كثير من المستشرقين الذين يدعون أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، متناسين قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [المتحنة: 1] ، يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى: " والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين، لأن ذلك هو الأمر الذي به يتقرب إلى الله تعالى، ويتوسل به إلى طلب السعادة في الآخرة" ⁷⁸.

أما الفئة الأولى والتي جاءت بمفاهيم جديدة للجهاد تتوافق والأهداف التي شرعها الإسلام، فإن من روادها المفكر الإسلامي سيد قطب، وحسن البناء، ويوسف القرضاوي، ومحمد سعيد رمضان البوطي، وأبو الأعلى المودودي وغيرهم كثر رحمهم الله تعالى جميعاً، وقد أخذ بأرائهم كثير من العلماء والفقهاء، وتلقته الأمة بالقبول، وأما المفكرين المخالفين من الفئة الثانية: جمال الدين الأفغاني، وأحمد خان الهندي، محمد عابد الجابري، وجمال البناء، وعبد اللطيف غزالي، وجودت سعيد، ومحمد عبده الذي كثرت حوله الآراء، وغيرهم كثر، وستتناول مفاهيم كل فئة بشيء من التبسيط والتفصيل.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 76] ، يقول الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية: " هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} الذي هو الشيطان" ⁷⁹.

تتحدث هذه الآية بمعناها الإجمالي عن فئتين من الناس، فئة تقاتل في سبيل الله تعالى، والفئة الأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت، وهذا يعني أن هناك من يجاهد في سبيل الله تعالى للدفاع عن الإسلام وشريعته،

⁷⁸ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، 170/10.

⁷⁹ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 187/1.

ويقابلها فئة تحاول جاهدة من أجل نقض الإسلام وتشويه تعاليمه.

وما شرع الله تعالى الجهاد إلا من أجل إعلاء كلمته، وما يتحمل المجاهد من الصعاب والأذى إلا لذلك، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "إنه الجهاد للعقيدة، لحمايتها من الحصار وحمايتها من الفتنة وحماية منهجها وشريعتها في الحياة وإقرار رايها في الأرض... وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه، وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام" ⁸⁰.

ويقول أبو الأعلى المودودي: "إن عاطفة الجهاد التي تدعو الحاجة إلى إحيائها في نفوس المسلمين، لا يمكن أن تنبعث في نفوسهم حتى يترسخ فيهم الإيمان ويتقوى لدرجة أن يستعدوا لبذل كل نفوسهم ونفائسهم لاستئصال شأفة المنكرات من أرض الله وإعلاء كلمة الله فيها" ⁸¹.

ومن هنا كان لا بد أن نتعرف على توجه رواد الفكر الإسلامي المعاصر بشقيه الإيجابي والسلبي، من أجل أن نصل إلى تصور صحيح لفهم آيات الجهاد في القرآن الكريم.

ولعل الصعوبة في جمع كل الآراء التي تحدثت عن الأفكار المثارة حول الجهاد كانت السبب في أن تقتصر على ذكر البعض منهم، والذين كان لهم الدور الأبرز في تلك التغيرات التي طرأت على مفهوم الجهاد.

ادعت طائفة من المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق أن الجهاد يحتاج إلى تجديد في فهمه، وأنه يمكن اختزاله في حالة واحدة لا يمكن تجاوزها، وهي أن يعتدي الكفار على المسلمين وإجبارهم في أن يغيروا

⁸⁰ سيد قطب، في ظلال القرآن، 187/1 .

⁸¹ أبو الأعلى المودودي، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، (الكويت: دار القلم، ط 4، 1400هـ، 1980م)، ص 273.

دينهم ويرتدوا عن الإسلام، وهو ما يسمى بجهاد الدفع، وفي غير هذه الحالة لا يشرع الجهاد وليس له مبرر.

ومن الذين دعوا إلى هذا الاختزال للجهاد سيد خان الهندي حيث يقول: " الجهاد مشروع فقط للدفاع عن النفس وفي حالة واحدة فقط هي اعتداء الكافرين على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر مثل احتلال الأراضي وليس هدفه الدين فالجهاد غير مشروع " ⁸²، ويتبع سيد خان الهندي في هذا التوجه الكثير من المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق، كجمال الدين الأفغاني، ومحمد عابد الجابري، وجمال البنا وغيرهم، وبذلك نجد أن أصحاب هذا الفكر يسعون لتجديد الخطاب الجهادي، وحصره بالدفاع عن الدين فقط، وترك الضوابط الشرعية التي لا يجوز تركها وتجاوزها.

والمتأمل في هذه الدعوة التي جاؤوا بها يجد أنها ليست إلا تلبية لدعوات الدول الغربية لتأصيل معنى جديد للجهاد يُسعد الأعداء ويُغضب المسلمين، وهذه الدعوات وما شابهها، والتي صدرت من المفكرين المعاصرين توجه رسالة صريحة لأعداء الدين الإسلامي، رسالة تحمل في طياتها التنازل عن المفاهيم الأساسية للإسلام، بغية إرضاء جهة معينة من السياسيين ورجال الدين من الأديان الأخرى.

وقد لخص أبو الأعلى المودودي ⁸³ توجهاتهم وأفكارهم في معرض السخرية من أفكارهم، فقال إن هؤلاء المفكرين كأنهم يقولون لنا: " أما السيف والقتال به فمعاذ الله أن نمتّ إليه بصله، اللهم إلا أن يقال إننا ربما دافعنا عن أنفسنا حيثما اعتدى علينا أحد ... ومن أجل ذلك نسخنا الجهاد رسمياً، ذلك الجهاد الممقوت الذي يعمل فيه السيف عمله، حتى لا يقلق بالكم فما الجهاد اليوم إلا مواصلة الجهود باللسان

⁸² بسطامي محمد سعيد خير ، مفهوم تجديد الدين ، (جدة : مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، ط 1 ، 1433 هـ ، 2012 م) ، ص 130-131 .

⁸³ أبو الأعلى المودودي: مفكر وفيلسوف وعالم إسلامي، (1903م-1979م)، سعى إلى جعل الإسلام كمرجع شامل في الحياة، له عدة مؤلفات من أهمها: الجهاد في الإسلام، دين الحق، الحضارة الإسلامية.

وربما نسي هؤلاء المفكرين أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 16]، يقول الإمام الجوزي رحمه الله تعالى: "في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج معه إلى الجهاد تعذيراً" 85 .

ففي كلا المخاطبين تقاعس وتخاذل عن فرضية الجهاد في سبيل الله تعالى التي أمر الله تعالى بها في سبيل نشر دعوته، ومنع الظلم على المسلمين وغير المسلمين، بغض النظر عن الحجج التي يأتون بها في سبيل دعم رأيهم.

والملاحظ أن فكرة التجديد عند هؤلاء المفكرين إنما تستهدف بالدرجة الأولى بعض التشريعات المتصلة بمعاملة غير المسلمين، وبالأخص أحكام الجهاد، لأنهم بتوجههم هذا استطاعوا أن يحصدوا الكثير من المصالح والمنافع الدنيوية، زيادة على ذلك اكتسبوا الشهرة التي يسعون لتحصيلها ليل نهار، ولأجل ذلك يقول سيد قطب في رده على مثل هذه الأفكار: "فالإسلام لا يعرف قتالاً إلا في هذا السبيل، لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة. ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي! إنه لا يقاتل للاستيلاء

84 أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، بدون طبعة وتاريخ، ص 2.

85 جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 406/3.

على الأرض ولا للاستيلاء على السكان " 86.

إن من أوائل من اتصف بهذه الصفات التي ذكرها قطب رحمه الله تعالى جمال الدين الأفغاني، الذي كان يعتبر الجهاد مصطلحاً قرآنياً يجب تفسيره بما يوافق العصر الحديث، وأنه ينبغي تفسيره بأن يبذل المسلمون جهدهم في المقاومة دون إراقة الدماء، وأن الجهاد لأجل إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه يمكن تحقيقه من غير قتال وإراقة الدم.

ولا شك أن جمال الدين الأفغاني بهذا المعنى قد نسف الجهاد القتالي بجميع معانيه، واستبدله بجهاد أكثر مرونة وأكثر تهاوناً بمراد الله تعالى، وأكثر تقبلاً له من أعداء الأمة الإسلامية، الجهاد الجديد الذي يعبر عنه بالإصلاح السياسي والديني والاجتماعي، يقول محمد يوسف الكافي في كتابه المسائل الكافية: "إن الذين تخرجوا على الشيخ جمال الدين الأفغاني، والذين تخرجوا عن تخرج عنه يفسرون القراءة برأيهم، وينكرون بعض ما ثبت في الشرع، ويعتمدون على أقوال الكفار، ويهجون قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وقول الراسخين في العلم " 87.

ولا ريب في أن المستشرقين قد اهتموا بمثل هذا الطرح، محاولين إثارة الشبه حول معنى الجهاد الحقيقي ليشوهوا مقاصده وفحواه، واهتموا بمن جاء بهذا الطرح ودعموه، يقول محمد سعيد رمضان البوطي: " جمال الدين الأفغاني ... فقد لفت نشاطه السريع في تحركاته والواسع في آفاقه أنظار كل من العالمين الإسلامي والغربي، إلى درجة أن كثيراً من الطامعين في الكيد للإسلام والمسلمين ... رأوا فيه ما يمكن أن يكون أداة -

⁸⁶ سيد قطب، في ظلال القرآن، 707/2.

⁸⁷ محمد بن يوسف الكافي، المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خير رب البرية، (القاهرة: مطبعة حجازي، 1353 هـ، 1934 م)، ص 120.

بشكل ما - لتحقيق أطماعهم ... فواصلوه وواصلهم " 88.

وقد كان جمال الدين الأفغاني⁸⁹، من خلال ارتباطه بالدول الغربية، وبدعوى الإصلاح السياسي سعى جاهداً لإسقاط الخلافة العثمانية، التي اشتهرت آنذاك بحماسها للجهاد والاعتزاز به، ولعل السبب في ارتباط الأفغاني بالدول الغربية هو أنهم وجدوا فيه الرجل الأنسب لتنفيذ مخططاتهم، خصوصاً في تقديم الدعم للماسونية العالمية التي يديرها اليهود، في زمن سيطرت فيه الخلافة العثمانية على مقاليد الأمور، وقد ورد عن السلطان عبد الحميد قوله: " وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وإنجليزي يدعى بلنت، قالاً فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك، واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين كان رجلاً خطيراً " 90.

ومن المفكرين المعاصرين الذين تحدثوا عن الجهاد محمد عبده⁹¹، فهو يرى أن الجهاد ينحصر معناه في الدين الإسلامي بالجهاد الدفاعي، أي الدفاع عن الدين فقط، وهو ما يتوافق مع فكر جمال الدين الأفغاني وأحمد خان تماماً، يقول بسطامي محمد سعيد خير في كتابه مفهوم تجديد الدين: " إنما نهتم هنا بالاتجاهات العصرية عند محمد عبده، والتي تظهر في كتاباته، وبالأخص في تفسيره لبعض الآيات، وفي فتاواه، مما يجعل

88 محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، (دمشق: دار الفكر، ط 7، 2008 م)، ص 179.

89 جمال الدين الأفغاني: السيد جمال الدين، ويُقال محمد جمال الدين بن السيد صفت الحسني الأسد آبادي الأفغاني، أيديولوجي ومفكر إسلامي وناشط سياسي، يُعتبر من مؤسسي حركة الحداثة الإسلامية، وأحد دعاة الوحدة الإسلامية في القرن التاسع عشر، جاب دول العالم الإسلامي ومدن أوروبا لندن وباريس، واستقر أخيراً في الآستانة إسطنبول حالياً، وتوفي فيها، ولد في أفغانستان 1838 م، وتوفي في إسطنبول 1897 م.

90 حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، 1426 هـ، 2005 م، ص 163.

91 محمد عبده: محمد عبده، مفكر وعالم دين وفقه وقاضي وكاتب ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، ورموز التجديد في الفقه الإسلامي، ساهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري، ولد في مصر عام 1849 م، وتوفي عام 1905 م.

مدرسته الفكرية تضاهي وتشابه في بعض نواحيها مدرسة سيد أحمد خان في الهند " 92، على أن محمد عبده قد أثبت حوله الكثير من الشكوك والشبهات لا مجال لسردها في هذا المقام.

من خلال استقراء توجهات محمد عبده الفكرية نجده قد وضع نفسه في مصاف أولئك الذين ينادون بتجديد الخطاب الديني، وأن ذلك التجديد لا بد منه، - وكما أسلفنا - إرضاءً لجهات معينة تكن للإسلام والمسلمين كل العداة بقصد أو بغير قصد، ويجدر في هذا المقام أن نستعرض آراء وأفكار محمد عبده حول الجهاد، ومدى توافقها مع أقوال الجمهور من المفسرين.

يقول محمد عبده في تفسير المنار في معرض حديثه عن الجهاد في سبيل الله تعالى: " وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان " 93.

ويقول أيضاً مبرهنًا على صحة توجهه وتفكيره: " القتال الواجب في الإسلام إنما شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها " 94، ويضيف أثناء تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190]، " فخصّ الأمر بالقتال بمن يقاتلنا دون من لم يقاتلنا " 95، ويتابع محمد عبده في تفسيره للآية بقوله: " أي: أنه يوجب الجهاد ما دام الناس يفتنون في الدين - أي لا تكون لهم حرية فيه ولا في الدعوة إليه - أو يعتدى عليهم وعلى بلادهم " 96.

92 بسطامي محمد سعيد خير ، مفهوم تجديد الدين ، ص 142 .

93 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م) ، 98/1 .

94 محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، 248/10 .

95 محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، 269/5 .

96 محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، 84/2 .

فهذه التصورات التي جاء بها محمد عبده، وهذه النصوص التي وردت في تفسيره ليست إلا تنويجاً لأفكار شيخه جمال الدين الأفغاني، وبذلك فهو يخالف بهذه الأفكار جمهور المفسرين القدامى وبعض تفاسير المحدثين.

يتضح من أقوال محمد عبده أنه يحصر الجهاد في سبيل الله تعالى بالجهاد الدفاعي فقط، أي الدفاع عن الإسلام والمسلمين في حال تم الإعتداء عليهم من قبل الكفار والمشركين، متوافقاً مع كلام شيخه جمال الدين الأفغاني.

وقد سئل محمد رشيد رضا⁹⁷ ذات مرة عن شيخه محمد عبده وعن شيخه جمال الدين الأفغاني في معرض الحديث عن صلته بالماسونية العالمية، -هذا ما ذكره حسن موسى العقبي في كتابه مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة- فكان السؤال على الشكل التالي:

" ومما لا يختلف فيه أحد أنه كان محمد عبده وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغاني داخلين في الجمعية الماسونية، وهي لا تجتمع مع الدين بوجه من الوجوه، بل هي ترفض الأديان كلها وهي ضد السلطات كلها، الدينية وغيرها، فكيف يمكن أن يكون قدوة في دين الإسلام مع كونه ماسونياً وكذلك شيخه " ⁹⁸.

فما كان جواب محمد رشيد رضا إلا أن قال نعم، كلاهما كانا متعاملين مع الماسونية العالمية وأنا لم أتعامل معهما قط.

⁹⁷ محمد رشيد رضا : مفكر إسلامي ، من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، وبالإضافة إلى ذلك ، كان صحفياً وكاتباً وأديباً لغوياً ، هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده ، أسس مجلة المنار ، كتب رشيد مئات المقالات والدراسات التي تهدف إلى إعداد الوسائل للنهوض بالأمة وتقويتها ، وخص العلماء والحكام بتوجيهاته، ولد في لبنان عام 1865 م وتوفي في القاهرة عام 1935 م .

⁹⁸ حسن موسى محمد العقبي ، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة ، (1426 هـ ، 2005 م) ، ص 166 .

ويبين سيد قطب رحمه الله تعالى فكر محمد عبده، فيقول: " أحد الإفرازات لمدرسته الفكرية ألا وهي: أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط، وليس في الإسلام ما يسمى جهاد طلب " ⁹⁹، وبهذا يتضح ما ذهب إليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في إغائهما لمبدأ الجهاد القتالي وحصره في جهاد من غير قتال.

وقد حذا حذوهما وتابعهما بأفكاره جمال البنا ¹⁰⁰، الذي يرى أن جهاد القتال لم يعد موجوداً على أرض الواقع، وأن الجهاد الذي عناه القرآن الكريم إنما هو الجهاد الذي يمارسه المسلمون بغير قتال، مخالفاً بذلك صريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث قال في كتابه الجهاد أضغاث أحلام: " أما جهاد اليوم بلفظه، فهو جهاد بلا قتال، وإنَّ جهاد القتال أُلغي " ¹⁰¹.

وفي نفس الكتاب يقول جمال البنا إن الأحكام الشرعية تختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر، ثم يوضح أن العلاقة مع أميركا التي تسيطر على الكثير من البلاد الإسلامية وتنهب خيراتها علاقة جهاد من غير حرب ولا قتال، وأن جهاد القتال ليس من حقنا، فقد ألغيت أحكامه، وإن الجهاد المطلوب اليوم هو جهاد في استقرار الحياة والدعوة إليها، مدعياً أن هذا المفهوم غائب تماماً عن أذهان الناس، مما أوقعهم في خلط المفاهيم.

وكأن جمال البنا برأيه هذا يدعو الأمة الإسلامية إلى أن تستكين أمام ملّة الكفر، ليأتي أعداؤها ويسيطروا على حدودها ويسلبوا خيراتها ومقدراتها بدون أدنى مشقة.

⁹⁹ نادر عمر عبد الحفيظ القوطي، الجهاد في فكر سيد قطب، (رسالة لنيل الماجستير، 2017 م)، ص 90-91.

¹⁰⁰ جمال البنا: جمال البنا هو مفكر مصري، وهو الشقيق الأصغر لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، إلا أنه يختلف مع فكر الجماعة، صدر أول كتاب له بعنوان ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد سنة 1945 م، وفي العام التالي 1946 م أصدر كتابه الثاني ديمقراطية جديدة، ثم توالى مؤلفاته في الصدور حتى تجاوزت مؤلفاته ومترجماته الـ 150 كتاباً، ولد في مصر 1920 م وتوفي فيها 2013 م.

¹⁰¹ جمال البنا، الجهاد أضغاث أحلام، ص 121.

ولا شك أن دول الكفر تسعى جاهدة للنيل من وحدة الأمة والنيل من كرامتها، فهم يعملون بالليل والنهار في سبيل الوصول إلى تمزيق الأمة وتجزئتها إلى قطع متناثرة ليسهل السيطرة عليها وعلى خيراتها فيما بعد، والأحداث التي تعصف بالأمة من كل حذب وصوب أكبر دليل على ذلك.

إن العالم الإسلامي اليوم يعاني من اختلافات كثيرة وعلى جميع الأصعدة، مما أدى إلى نشوء عدة مواقف وأفكار يعارض بعضها بعضاً ويعود بالفائدة على بلاد الكفر، ناهيك عن تلك الاختلافات التي خلقت جواً من الاقتتال بين المسلمين أنفسهم، والأمة في زماننا لم تع ذلك التحذير الذي بينه الله تعالى لها، ولم تبالٍ بالتبعات المترتبة على اختلافهم وتنازعهم، فقد بين الله تعالى للأمة أن التنازع والاختلاف سبب حتمي للفشل والضعف والهوان، وأنه لا يمكن أن تقوم للأمة قائمة ما لم يتوصوا بأمره.

لعل جمال البنا ومن على نهجه قد غفلوا عن ذلك التحذير، ونذروا أنفسهم خدماً للدول الغربية وأميركا من خلال أفكارهم التي تتعارض مع جمهرة المفسرين، عداك عن مخالفتهم للكثير من الآيات القرآنية التي وردت بشأن الجهاد، أولى هذه الآيات وأوضحها قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193]، يقول الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسيره للآية: " لمقاتلة في سبيل الله: هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين " ¹⁰².

يخالفون قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 244]، وقوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

¹⁰² أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)،

﴿ [التوبة: 41]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 39]، فأين فهمهم لهذه الآيات، ولو أنهم رجعوا عن فهمهم السقيم هذا لكان خيراً لهم، إلا أنهم بقو مستكبرين ومصرين على ذلك إلى آخر حياتهم، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " الجهاد فريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم ... ذلك أنهم يملكون قوة أخرى غير القوى المادية الظاهرة " 103.

لا يمكن أن تتغير الأحكام بتغير الأحوال، فمهما كانت الأمة في حال ضعف وهوان، فإن ذلك لا يكون مبرراً لتغيير ما ثبت بالضرورة في الشريعة الإسلامية، يضيف سيد قطب رحمه الله تعالى: " هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام، وتُصان فيه حرمان كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أياً كانت عقيدته " 104.

زيادة على ما تقدم، فهو بأرائه هذه - جمال البنا - يريد أن يبطل مفهوم الجهاد وينسخه من عقول المسلمين، بدعوى أن الجهاد إنما كان في الفترة الأولى للإسلام، وأن الجهاد في هذا الزمن لا حاجة لذلك المفهوم الذي يدعوا إلى الحرب والقتال، ويضيف قوله نعم إن المسلمين اليوم بحاجة إلى الجهاد، لكن الجهاد الذي لا قتال فيه، ولا يدري بعد مخالفته لصريح الآيات أنه يخالف بفكره المقيت أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، والتي وصلت لأكثر من خمسين حديثاً تتحدث كلها في فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، طبعاً الجهاد الذي يرتضيه الله تعالى.

¹⁰³ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 1538/3 .

من هذه الأحاديث ما ورد عن سلمة بن نفيل أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " فقال: إني أمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام، فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك ... " ¹⁰⁵، وكذلك الحديث الذي يرويه " جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لن يبرح هذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصاة من المسلمين، حتى تقوم الساعة " ¹⁰⁶، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، لا مجال لسردها في هذا المقام.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "إن جدية النصوص القرآنية الواردة في الجهاد وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام، وعلى مدى طويل من تاريخه ... إن هذه الجدية الواضحة تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي " ¹⁰⁷، هذا هو الحال دائماً، أن يكون الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، ولا يمكن أن يتفقا أو يلتقيا تحت رأي واحد، فالخير والحق منوبان من قبل الله تعالى لإزالة الشر والباطل، هذه هي سنة الله تعالى في الأرض ولا تبديل لسنته.

وهذا ما أوضحه القرآن الكريم من أن الأصل في الحياة الدنيا أن يدفع أهل الحق أهل الباطل، حتى لا ينتصر الباطل، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

¹⁰⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، 295/1 .

¹⁰⁵ أخرجه أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، السيد أبو المعاطي النوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، 1998 م)، 104/4، حديث رقم 16964، حديث صحيح .

¹⁰⁶ أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة، 1524/3، حديث رقم: 172 .

¹⁰⁷ سيد قطب، في ظلال القرآن، 1437/3 .

النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبَيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: 40]، يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى: " فالدفع هو الرد عن المراد، فإذا كان المراد للناس أن يوجد شر، فإن الله يدفعه. إذن فالله يدفع ولكن بأيدي خلقه ... إنه دفع الله المؤمنين ليقاتلوا الكافرين، ويعذب الحق الكافرين بأيدي المؤمنين ... لقد أخرجوا من ديارهم وأبنائهم ، فكان هذا هو مبرر القتال " 108.

ثم إن من المفكرين الذين حادوا عن الصواب واتبعوا مسار نفس المنهج محمد عابد الجابري¹⁰⁹ الذي لم يذهب بفكره بعيداً عن تلك الأفكار، فقد سار على نهج من سبقه من المفكرين أمثال أحمد خان، والأفغاني، وجمال البنا، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وغيرهم الكثير من المعاصرين، يقول محمد أحمد ناصر في كتابه العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: " وأما العصرانيون الجدد فقد ساروا على خطا من سبقهم من أصحاب المدرسة الإصلاحية ... وقد مر معنا تشكيكهم بحركة الجهاد الأولى وأصحاب الفتوحات الإسلامية، عند الجابري وعمارة وأمثالهما، وطبيعي ألا يرى هؤلاء إلا جهاد الدفع، لأنه يتماشى مع الدعوة إلى العالمية ووحدة الأديان " 110.

إن هؤلاء المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإشتراق قد عملوا كثيراً على طمس مفهوم الجهاد في عقول الأمة الإسلامية، وخاصة في عقول شبابها، بدعوى التسامح الديني والتعايش مع الأديان الأخرى بعيداً عن

¹⁰⁸ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخطوط، (مطبعة أخبار اليوم)، 1060/2.

¹⁰⁹ محمد عابد الجابري: محمد عابد الجابري، مفكر وفيلسوف مغربي، له 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها نقد العقل العربي الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية، كزمته اليونسكو لكونه أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميزه بطريقة خاصة في الحوار، ولد في المغرب عام 1935 م وتوفي عام 2010 م.

¹¹⁰ محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، (الرياض: مكتبة الكوثر، ط2، 1422 هـ، 2001 م)، ص 319.

القتال والحروب والصراعات، ويدعوى أن الجهاد لا يتوافق مع العهود والإتفاقات المبرمة بين الدول، ولا يتناسب في العصر الحديث مع التقدم الذي حصل في السنوات الأخيرة في البلاد الغربية، لذا لا بد من إبطاله حتى يواكب المسلمون ذلك التطور الحاصل في تلك الدول، من خلال مواكبة الأفكار المعاصرة والأخذ بها حتى وإن لم تكن صحيحة.

ولا شك أن هؤلاء المعاصرين يشجعون المسلمين وخاصة الشباب منهم على فكرة أن الجهاد لم نعد بحاجة إليه في هذا الزمن، بل الحاجة تقتصر على جهاد الكلمة التي يقوم بها أهل الاختصاص من المفكرين والفقهاء، وكما مر سابقاً أن أكثر اعتمادهم في هذا الفهم على تلك القاعدة الأصولية التي تقول: " لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان " ¹¹¹، يدعون ذلك دون أن يعلموا أن هذه القاعدة إنما تخصّ تلك الأحكام التي لم ينصّ الشارع الحكيم عليها، أو أنها تحمل أكثر في معناها من وجه، أو أنها خاضعة لظروف معينة قد فسح الشرع الحنيف أمامها الاجتهاد.

وأما الجهاد فليس من قبيل ذلك البتة، إنه حكم الله تعالى الثابت بالنصوص القطعية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالجهاد يهدف إلى تبليغ الدعوة المحمدية إلى الناس قاطبة، ليحمي عقيدة الإنسان الدينية أيّاً كانت وفي أي مكان وجدت، فهل في هذا المفهوم ما يتعارض مع العهود والمواثيق الدولية أو قرارات الأمم المتحدة، أم إنه منهج التضليل الغربي الذي جعل من بعض المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق بوقاً ينفث من خلاله سمومه على الإسلام والمسلمين.

¹¹¹ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا، (دمشق: دار القلم، ط 2، 1409 هـ، 1989 م)، 149/1،

ويرد الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى¹¹² على هؤلاء العصريين الذين نذروا أنفسهم للغرب بأفكارهم الباطلة، التي تدعوا إلى تعطيل الجهاد، فيقول: " أما في هذه الأيام فقد تفرق المسلمون في فهم مهمتهم، واتخذوا من التأويل والتعطيل سنداً للعودة والكسل، فمن قائل يقول لك: مضى وقت الجهاد والعمل، وآخر يشبط همتك يقول لك بأن الوسائل معدومة والأمم الإسلامية مقيدة، وثالث رضي من دينه كلمات يلوكها لسانه صباح مساء " 113 .

ويضيف الإمام حسن البنا في معرض رده عليهم أيضاً: " وأنتم تقرؤون في كتب الفقه ما ألف منها قديماً أو حديثاً متى يكون الجهاد فرض كفاية و متى يكون فرض عين، وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم، فما هذا الخمول الذي ضرب بجدرانته ؟ وما هذا اليأس الذي قبض على القلوب فلا تعي ولا تفيق " 114 .

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: 77]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد، وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة، وكانوا يسألون

¹¹² حسن البنا : حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا ، داعية إسلامي مصري وسياسي ومعلم للغة العربية ، ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين عام 1928 م ، والمرشد العام الأول لها ورئيس تحرير أول جريدة أصدرتها الجماعة عام 1933 ، وصاحب الفكر الرئيسي المؤثر في أفرادها من خلال العديد من الرسائل التي ألفها ، ويلقب بين أنصاره بالإمام الشهيد ولد في مصر عام 1906 م ، وتم اغتياله فيها عام 1949 م .

¹¹³ حسن البنا ، رسائل الشهيد حسن البنا ، ص 35 .

¹¹⁴ حسن البنا ، رسائل الشهيد حسن البنا ، ص 35 .

الله أن يُفرض عليهم القتال، فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم ذلك، وقالوا ما أخبر الله عنهم في كتابه"¹¹⁵، وحال أولئك الذين الذين يدعون إلى تعطيل الجهاد واستبداله بجهاد يرضي أعداء الأمة الإسلامية من الغرب وغيرهم لا قتال فيه ولا حرب.

ولعل السبب الرئيس في توجّه هؤلاء لهذا المفهوم هو فهمهم الخاطئ لثلاث آيات قرآنية، حيث إنهم خلطوا بين الدعوة إلى الله تعالى وبين الجهاد في سبيل الله تعالى، والآيات الثلاثة هي قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20].

ففي هذه الآيات دعوة لا لبس فيها - بحسب ادعائهم - بالابتعاد عن القتال والعنف وإكراه الناس على الدخول في الإسلام، بل وزادوا على هذا أن الوسيلة التي أمر الله تعالى ورسوله الكريم بما تبليغ الناس دعوة الإسلام ليست بالقتال والحروب وإراقة الدماء، لأن الدعوة إلى الله لا يمكن أن يكسبوا قلوب الناس بالسيف والإكراه.

ولك أن تتصور بعض الأقوال من مفكرين معاصرين أيدوا هذا الاتجاه ودافعوا عنه إلى درجة أنهم في كثير من مقالاتهم وكتبهم ينعنون المجاهدين في سبيل الله تعالى بالإرهابيين، وليس في الزمن الحاضر بل تعدى

¹¹⁵ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 547/8.

ذلك إلى أزمنة الخلافة، وخاصة في زمن الخلافة العثمانية، ومن هؤلاء فهمي هويدي¹¹⁶، الذي يقول في كتابه مواطنون لا ذميون: "ومن هنا فإن السلام يظل ضرورة لازمة لكي يؤدي المسلمون رسالة التبليغ، ويظل القتال عنصراً معطلاً لأداء هذا التكليف الإلهي، وتظل حماقة ما بعدها حماقة، أن يتطوع قوم إلى تعطيل مسيرتهم بسيوفهم" ¹¹⁷، ويضيف في معرض تهجمه على فرضية الجهاد: "إن سيف الإسلام ينبغي أن يحجب عن هذا كله، وقاتل المسلمين ينبغي أن يترفع عن ذلك كله، إن المسلمين ينبغي أن يظلوا -أولاً وأخيراً- دعاة لا بغاة" ¹¹⁸.

فهذه الأقوال وما سبقها من أقوال المفكرين أمثاله فيها خلط عجيب بين الدعوة إلى الله وبين الجهاد، فالدعوة شيء والجهاد شيء آخر، وما شرع الله تعالى الجهاد إلا لحماية الدعوة الإسلامية، وليس كما يدعي هؤلاء أن الجهاد فرض من أجل نشر الإسلام بقوة السلاح.

ومن المعلوم أن للجهاد أقساماً كثيرة، والجهاد بمعنى القتال واحد منها، وربما تجاهل هؤلاء دعوات آيات القرآن الكريم للجهاد، وربما حملوها على غير ظاهرها، فهم يريدون جهاداً بعيداً عن المشاق والمصاعب والابتلاءات، متناسين أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعثته مليئة بالابتلاء والشدائد والحزن، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد... لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة... فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي

¹¹⁶ محمود فهمي عبد الرزاق هويدي : مفكر إسلامي مصري ، ومن أبرز المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق ، يدور حوله الجدل بسبب كتاباته التي تميل إلى العلمانية أكثر منها إلى الإسلامية ، يعرف بدعوته إلى تجديد الخطاب الديني بشكل يواكب تطورات العصر ، ولد في مصر في محافظة الجيزة عام 1937 م ، وتوفي سنة 2006 م .

¹¹⁷ فهمي هويدي ، مواطنون لا ذميون ، (القاهرة : دار الشروق ، ط2 ، 1410 هـ ، 1990 م) ، ص 236 .

¹¹⁸ فهمي هويدي ، مواطنون لا ذميون ، ص 237 .

الذي تعزّ به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعزّ في نفوس الآخرين ... وكلما بذلوا من أجلها.. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها " 119، ويقول أيضاً: " ومن الإيمان أخذ العدة وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله وتحت هذه الراية وحدها، مجردة من كل إضافة ومن كل شائبة - ويقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ثم يعود النصر للمؤمنين - حين يوجدون " 120.

وما الأجر العظيم الذي جعله الله تعالى للمجاهد في سبيله إلا دلالة واضحة على أهمية الجهاد، وأنه لا يقتصر على زمان معين دون غيره من الأزمنة، يدل على ذلك أن الجهاد قد ذكره الله تعالى جميع الكتب التي أنزلها على أنبيائه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 111].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: لا تستطيعونه، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، وقال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " 121، فهل يصدق على أصحاب هذا الفكر من المعاصرين قول الله عز وجل: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: 20]؟.

119 سيد قطب، في ظلال القرآن، 142/1 .

120 سيد قطب، في ظلال القرآن، 782/2 .

121 أخرجه الإمام مسلم، المسند الصحيح الجامع، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، 1498/3، حديث رقم: 110 .

رأي الباحث

في الحقيقة يرى الباحث أن الأفكار التي جاء بها هؤلاء المعاصرون تحتاج إلى شيء من التوسع والتفصيل وبيان ردود العلماء والمفسرين عليها، ومن ثم الحكم عليها، ولا شك أن هذا العمل يتطلب الكثير من العمل وتوحيد الجهود، والعمل على عقد المؤتمرات الدولية، تجمع أقطاب الفقهاء والمفسرين، ليس فقط من أجل الرد على الأفكار المنحرفة حول الجهاد، وإنما لتوحيد الأحكام المتعلقة بالجهاد، بحيث يقطعوا الطريق أمام كل الإجتهاادات الخاطئة التي يقوم بها الكثير من المعاصرين إرضاء لجهات معينة بقصد أو بغير قصد، والله تبارك وتعالى أعلم.

المطلب الثاني: مفهوم الجهاد في التفسير الإشاري

لم يختلف المفسرون في تحديد معنى الجهاد القتالي، سواء منهم من أخذ التفسير بالمأثور أو بالرأي أو من أخذ بالتفسير الإشاري، فكلهم متفقون تماماً على أن الجهاد إذا أطلق دون تقييد بقريضة تصرفه إلى معنى آخر، فإن المقصود حينئذ جهاد الكفار والمشركين في ساحات المعركة لنصرة الدين الإسلامي ولإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، إلا أنهم اختلفوا في حيثية بسيطة تتمثل في توصيفهم لمراتب الجهاد، وهي النقطة التي اعتمدها أصحاب التفسير الإشاري للجهاد.

إن أصحاب التفسير الإشاري ركزوا في تفاسيرهم على جهاد النفس، وقدموه على الجهاد القتالي، واعتبروه في المرتبة الأولى من بين مفاهيم الجهاد وأنواعه، وأنه هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر، في الحديث الذي تم ذكره سابقاً.

ولظروف تعلقت بمنهج كل مفسر ظهر اتجاهين مختلفين، اتجاه ينكر توصيف الجهاد بالأكبر والأصغر، واتجاه آخر اعتبر أن هذا التوصيف حقيقي، وأن الجهاد الأكبر هو الوسيلة التي يستطيع أن يخوض من خلالها الجهاد الأصغر، ولولا ذلك سيبقى المسلم رهين نفسه الأمانة بالسوء، ولا يمكن أن ينتقل إلى المفاهيم الأخرى كجهاد الشيطان وجهاد الكفار والمشركين إلا إذا أنهى الجهاد الحقيقي وروض نفسه عليه، وهو مجاهدة النفس.

ومدار الاختلاف بين هذين الإتجاهين هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من إحدى الغزوات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال: جهاد النفس " ¹²².

فالإتجاه الأول يرى أن هذا الحديث لا يصح، وأنه يتعارض مع الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الجهاد، والإتجاه الثاني يرى أن جهاد المسلم لنفسه هو الجهاد المطلوب، وأن من اعتنى بتربية نفسه، وهذبها ومنعها من ملذات الدنيا فقد قطع شوطاً كبيراً في طريق الجهاد.

أما من يمثل الإتجاه الأول من المفسرين فقد تم التعرف على منهجهم وتفسيرهم للجهاد فيما مر عند الحديث عن معنى الجهاد عند المفسرين القدامى، لأن أصحاب هذا الإتجاه لم يتطرقوا إلى هذه التفاصيل، وذلك لأنهم ضعفوا هذا الحديث وردوه، ومنهم من وضعه ولم يقبله جملة وتفصيلاً.

¹²² أخرجه جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، باب: سورة الحج، (الرياض، دار ابن خزيمة، ط 1، 1414 هـ)، 395/2، حديث رقم: 825، وذكره التعليه هكذا من غير سند، وانظر: العراقي، ابن السبكي، الزبيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، باب: الإنسان عيناه هاد، (الرياض، دار العاصمة للنشر، ط 1، 1408 هـ، 1987 م)، 1537/4، حديث رقم: 2359، يقول الإمام العراقي: رواه البيهقي من حديث جابر.

وأما الاتجاه الآخر الذي أخذ بالحديث واعتبره واعتمد عليه في تفسيره للجهاد، فإن من يمثله هم غالب المفسرين القدامى، سواء من اقتص بتفاسير الرأي أو المأثور، وقد مر معنا تصورهم لهذا المفهوم أثناء الحديث عن جهاد النفس، وما يهم في هذا المقام هو التعرف على مفهوم الجهاد عند المفسرين الذين اعتمدوا التفسير الإشاري.

إن المعنى العام للجهاد يشمل جميع مناحي الحياة المختلفة، بدءاً من الصعيد الاجتماعي والفكري والأسري والاقتصادي، وانتهاءً بالصعيد السياسي، وهذه الأصعدة كلها تحتوي في داخلها صراعات جمّة، كل منها يلائم نوع خاص من أنواع الجهاد، وفي مقدمة تلك الصراعات مجاهدة النفس وهواها، عداك عن مجاهدة وساوس الشياطين من الإنس والجن.

لا شك أن معالجة مثل هذه الصراعات تحتاج إلى تقوية الصلة بالله تعالى من خلال العلم والتحلي بالأخلاق الحميدة، وربما هذا المفهوم يحتاج إلى عمل وجهد أكثر من الجهاد القتالي نصره لدين الله تبارك وتعالى عند هذا الصنف من المفسرين، ولذلك عبر أصحاب هذا الاتجاه عن هذا المفهوم من الجهاد بالجهاد الأكبر، وقالوا أنه ليس من الخطأ تسمية هذا النوع من الجهاد بالجهاد الأكبر، معتبرين حصر الجهاد بالقتال فقط من الأخطاء التي وقع فيها بعض المفسرين في فهمهم لآيات الجهاد.

وبالانتقال إلى الأدلة التي اعتمدها أصحاب هذا الرأي، نجد أن أكثر اعتمادهم كان في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، وقبل أن نسرد أقوال المفسرين في هذه الآية، نذكر ما قاله الغلاة من الحركات الجهادية - تنظيم داعش مثلاً - بأن هذه الآية إنما ذكرت تأييد الله تعالى وهدايته للمجاهدين في سبيله، فمن جاهد في سبيل الله تعالى فقد

تعرض لرعاية الله تعالى وهدايته، وبنوا على هذا التصور أن المجاهدين لا يمكن أن يكونوا على الباطل، وأن كل ما يروونه حقاً فهو الحق، وكل من خالفهم في جهادهم فهو الباطل، وفي هذا التصور ما فيه من الفساد، لأسباب عدة: أهمها أن هذه الآية مكية كما مر ذكره، وأن الجهاد لم يشرع بعد، وأن المقصود من الآية الجهاد بالمعنى العام، من خلال بذل المسلم جهده نصرته لدين الله تعالى على أي شكل كان.

وبالعودة إلى أقوال المفسرين في هذه الآية، فقد وردت نصوص كثيرة عند أصحاب التفسير الإشاري تفيد بأن المقصود هنا إنما هو جهاد النفس وتهيتها للشرع في أي طاعة من الطاعات، يقول الإمام القشيري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: " أي الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبل الصبر على الاستقامة، حتى تتبين لهم حقائق المواصلة " ¹²³، ويقول الإمام ابن عجيبة رحمه الله تعالى: " ولا يكون جهاد النفس إلا بمخالفتها، وقتلها بترك حظوظها وهواها " ¹²⁴، ويقول الإمام الألوسي رحمه الله تعالى: " وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر " ¹²⁵.

يتضح من خلال ما مر من النصوص أن التركيز إنما ينصب على جهاد النفس وتربيتها، وأن المسلم لا يمكن أن يجاهد عدوه ما لم يتمكن من مجاهدة نفسه، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن المراد منها هنا مجاهدة النفس، ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت في مكة المكرمة، ولم يكن قد شرع القتال آنذاك، لأن الجهاد إنما تم فرضه في المدينة المنورة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كُنْتُمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 177/2 ،

¹²³ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 3 ، 177/2 .

¹²⁴ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، البحر المديد ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 2 : 1423 هـ ، 2002 م) ، 251/2 .

[216]، يقول الإمام النيسابوري رحمه الله تعالى: " كان النبي صلى الله عليه وسلم غير مأذون له بالقتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن في قتال من يقاتله من المشركين " ¹²⁶، دل ذلك على أن الجهاد في مكة المكرمة مقصوراً على الدعوة إلى الإسلام، فلا يمكن حمل قوله تعالى في الآية السابقة " **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** " ، على القتال، لأنه لم يكن مشروعاً من الأصل.

وبذلك يظهر أن الآيات التي تحدثت عن الجهاد قبل الهجرة تحمل في طياتها مفاهيم إصلاح النفس وترويضها على اتباع أوامر الشريعة الإسلامية، ومن ثم الدعوة إلى دين الله تعالى ومحاوله إقناع المخاطب بدين الإسلام من خلال الحجج والأدلة والبراهين، بعيدة عن مفاهيم الجهاد بمعنى القتال.

إن مجالات جهاد النفس تشتمل على الكثير من الأخلاق الفاضلة، منها: المصابرة على العلم والتعلم، واتخاذ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهجاً في كل وقت يستوجب ذلك، بتقديم النصح للمسلمين، والوقوف بجانب المظلوم ونصرته تجاه الظالم، وقد نُقِلَ عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: " أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " ¹²⁷.

وقد مر فيما سبق أن أصحاب هذا التفسير يرون أن من أهم نتائج مجاهدة النفس أن يتهيأ المسلم لكل أمر من أوامر الشرع الحنيف بدءاً من أداء الفرائض والسنن، وانتهاءً بجهاد الكفار والمشركين في ساحات القتال، إذ لا يمكن أن يصل الإنسان إلى ذلك المقام إلا إذا تعلق قلبه بالله تعالى، طالباً المعونة منه سبحانه ليحفظه من الانزلاق في غياهب المعاصي والآثام، يقول كامل الدقس في كتابه الجهاد في سبيل الله: " ولا

¹²⁵ الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 17/11 ، وانظر : ابن عجيبة ، البحر المديد ، 459/2 .

¹²⁶ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ووعائب الفرقان ، تحقيق : زكريا عميرات ، (ـ) بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 : 1416 هـ) ، 593/1 .

يتمكن الإنسان من جهاد العدو الظاهر قبل مجاهدة العدو الباطن، النفس والشيطان " 128.

إن القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم أوليا أهمية خاصة لمجاهدة النفس وتربيتها، باعتبار أن إصلاح النفس مقدم على الجهاد بمفهومه العام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15]، يقول الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: " إنما المؤمنون الذين اعتقدوا في إيمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية، والتقصير عن القيام بما عليه، وما يرتكب المؤمن من المعاصي إنما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب " 129.

فالإمام الماتريدي رحمه الله تعالى يشير إلى ضرورة وجود الإيمان الذي لا تدخل إليه شائبة الشك، ومن ثم يكون المؤمن قد تمهياً للجهاد بالنفس والمال.

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عجيبة رحمه الله تعالى، حيث يقول في تفسيره: " فيكون العبد المجتبي سيفاً من سيوف الله، ينتصر الله به لنفسه؛ كما نبه على ذلك في لطائف المنن، وذلك من أسرار عدم مشروعية الجهاد من أول الإسلام " 130، فقد اعتبر أن من لطف الله تعالى بالمسلمين أنه لم يفرض عليهم الجهاد في بداية الدعوة إلى الإسلام، وذلك ليفسح أمامهم المجال، ويهيئوا أنفسهم بالمجاهدة.

والإمام النيسابوري والإمام السلمي والإمام الخلوئي وغيرهم كثير لم يخرجوا عن هذا المعنى، يقول الإمام

¹²⁷ النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، 2/ 228 .

¹²⁸ كامل سلامة القدس ، الجهاد في سبيل الله ، (بيروت : مؤسسة علوم القرآن ، ط 2 ، 1409 هـ ، 1988 م) ، ص 10 .

¹²⁹ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، تحقيق : مجدي باسلوم ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1426 هـ ، 2005 م) ، 5/ 153 .

النيسابوري رحمه الله تعالى: " المجاهد في الجهاد الأكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس إلا إذا رجع إلى ربه مستعيناً به مستغنياً عن غيره " 131 .

و إلى هذا المعنى ذهب الإمام السلمي رحمه الله تعالى، حيث قال: " قال بعضهم: الذين اتبعوا مخالفة أنفسهم في حرمتنا لنكرمنهم بحلاوة الخدمة وأنسها " 132 ، ويزيد الإمام النيسابوري رحمه الله تعالى قوله: " فمن افترى على الله الكذب بأن يريد أن يهتدي إلى الحق من غير جهاد النفس " 133 ، ويقول الإمام رحمه الله تعالى الخلوتي: " من جاهد في إقامة الدين في مقام الشريعة والطبيعة يهديه الله إلى إقامته في مقام الطريقة والنفس " 134 .

ثم إن الآيات التي تتحدث عن هذا المفهوم كثيرة، أهمها:

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ ﴾ [التوبة: 73]. وهذه الآية أيضاً إنما نزلت قبل أن يفرض الجهاد في سبيل الله تعالى على المسلمين، أي في مكة المكرمة، يقول الإمام الألوسي رحمه الله تعالى: " وأنت تعلم أن السورة مكية ولم يشرع في مكة الجهاد بالسيف " 135 ، ويقول الإمام النيسابوري رحمه الله تعالى: " قال سهل: النفس كافرة فجاهدها بسيف

130 ابن عجيبة ، البحر المديد ، 415/2 .

131 النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، 675/1 .

132 السلمي ، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، 120/2 .

133 النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، 222/2 .

134 إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، تفسير روح البيان ، (دار إحياء التراث العربي) ، 228/8 .

135 شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1415 هـ) ، 33/10 .

المخالفة، وحملها حملات الندم وسيرها في مفاوز الخوف، لعلك تردّها إلى طريق التوبة والإنابة " 136.

مما سبق نعلم بأنّ جلّ المفسرين اعتبروا أنّ المقصود من هذه الآية ليس الجهاد القتالي وإنما جهاد الدعوة إلى الله بالأدلة والبراهين، ومجاهدة النفس على تنفيذ أوامر الله تعالى.

هناك معانٍ أخرى للجهاد حتّى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرها العلماء بالتفصيل، وعدّها نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى، وهذه المعاني التي ذكرها العلماء ليس لها أي صلة بالقتال، من هذه المعاني ما ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ... فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " 137.

وفي الحديث أيضاً: " عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أجاهد؟ قال: لك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد " 138، فهذه الأحاديث بمجملها تحدّثت عن مفاهيم جديدة للجهاد، تخلّوا كلها عن الجهاد بمعنى القتال، ويؤيد هذا المفهوم ما ذكره الإمام السلمي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: 74]، حيث قال: " قال بعضهم: المجاهدة على ضروب، مجاهدة مع

136 محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ، 2001 م)، 280/1.

137 أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب: بيان كون النهي عن المنكر، 69/1، حديث رقم 50.

138 أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، 3/8، حديث رقم 5972.

أعداء الله، ومجاهدة مع الشيطان، وأشد المجاهدة مع النفس والهوى، وهو الجهاد في الله " 139.

بعد هذه النقول من التفاسير المعتمدة نجد أن عدداً غير قليل من الباحثين العلميين المعاصرين ينكرون هذا المعنى جملةً وتفصيلاً، مدّعين أن جهاد النفس لا يمكن أن يعبر عنه بالجهاد الأكبر كما يقول به أصحاب التفسير الإشاري، حيث يستدل هؤلاء الباحثون على بطلان هذا المعنى بتضعفيهم لحديث: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر "، وأن هذا الحديث يتناقض تماماً على حد قولهم مع الآيات القرآنية، وأن في هذا الحديث صرف للمسلمين عن جهاد الكفار والمشركين، وربما الذي قادهم إلى هذا التفكير ظنهم أن الذي قال بالجهاد الأصغر والجهاد الأكبر، ذكر هذين النوعين على سبيل الأفضلية، أي أن جهاد النفس أفضل من جهاد الكفار والمشركين، وهذا ما لم يقله أحد من المفسرين، وذلك لأن المعنى الحقيقي عند هؤلاء المفسرين لا يترتب على هذا الوصف ولا يمكن حمله عليه، وإنما مرادهم أن جهاد النفس مقدم على جهاد القتال، لا من حيث الأفضلية، وإنما من حيث أن جهاد النفس يحتاج إلى جهد أكبر من الجهاد القتالي، بينما الجهاد الأصغر يحتاج إلى إيمان وصبر وثبات، وهذا ما لا يتوفر إلا بعد مجاهدة النفس.

إن المطلع على جميع التفاسير القديمة والحديثة لا يجد القول بأن جهاد النفس أفضل من الجهاد في ساحات القتال، بحيث يقبع المسلم في بيته أو في المسجد بدعوى مجاهدة النفس، وإذا ما دعا داعي الجهاد للقتال في سبيل الله تعالى تعلق ذلك المسلم بأنه يقوم بالعمل الأفضل، ولا يحتاج إلى الغزو وقاتل الكفار والمشركين، هذا ما لا يقره أحد من العلماء لا في القديم ولا في الزمن الحالي، ولم يقل به أحد منهم، وإنما كما مر آنفاً الأمر متعلق بأيهما مقدم على الآخر.

¹³⁹ السلمي ، تفسير السلمي ، 28/2 .

رأي الباحث

ويرى الباحث أولوية مجاهدة النفس قبل الجهاد في ساحات القتال، فإذا كانت المقدمات صحيحة فلا يمكن أن تكون النهايات غير ذلك، والعكس صحيح، فالكثير من الحركات الجهادية بدأت جهادها ثم فشلت فشلاً ذريعاً، والبعض منها اندثرت ولم يبق لها أي أثر، والسبب يعود إلى أنهم ضعفوا أمام شهوات الدنيا واستكانوا، فأذاقهم الله لباس الذل بما صنعوا، ولو أنهم حصنوا أنفسهم وحفظوها لبقوا صامدين أمام عدوهم ولما مسهم السوء.

الفصل الثاني أنواع الجهاد والتوظيفات المعاصرة له

بعد الحديث عن مفهوم الجهاد عند المفسرين القدامى والمحدثين، فإن الحديث في الفصل يتجه إلى الحديث عن أنواع الجهاد، والتوظيفات المعاصرة له.

إن الجهاد في سبيل الله تعالى إما أن يكون لدفع الإعتداء من قبل العدو، وحماية المسلمين وبلادهم من الفتنة والإيذاء، وإما أن يكون لتحطيم كل قوة تقف صداً مانعاً في طريق الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى الناس كافة.

وفي كلا الحالتين فإن الباعث على الجهاد أن يكون من أجل الله وحماية للدعوة الإسلامية التي يعتنقها المسلمون، ولا يمكن أن يكون الجهاد صحيحاً إذا كان الباعث عليه مصالح ومنافع شخصية، أو حتى جماعية لكنها تشمل فئات محدودة من الناس.

فما هي أنواع الجهاد وماهي التوظيفات المعاصرة له؟.

المبحث الأول أنواع الجهاد

جهاد الدفع و جهاد الطلب

من الممكن اعتبار جهاد الدفع و جهاد الطلب لبَّ الموضوع وأساسه، وقد نشأ هذا التقسيم بين المفسرين والفقهاء بسبب دعوة بعضهم إلى التقارب بين المسلمين وغيرهم، ونشر التراحم والأخوة بين الناس أياً كانت دياناتهم، ولعل السبب في هذا التوجه نفي التهمة التي وجهها المستشرقون للإسلام، بأنه دين انتشر بالسيف والقوة والإكراه، والأعجب من ذلك أن ثلة من العلماء والمفكرين المعاصرين حُددوا بذلك، واستسلموا لهذه التهمة، سواء أكان بطيب نية أو بغيرها، وتكونت لديهم هذه الفكرة لتصبح مصدر جدال

ونقاش بين القديم والحديث.

وبذلك نرى غزواً فكرياً على المسلمين يهدف بالدرجة الأولى إلى تشكيك المسلمين بتعاليم دينهم، ثم العمل على توسيع نطاق التفرقة ليسهل على أعداء الأمة السيطرة عليها ونهب خيراتها.

وقبل البدء بتوضيح هذين النوعين من الجهاد كان لا بد من التنبيه على أن هذين النوعين من الجهاد تداخلت قضاياهما في كثير من الأحيان بالجانب الفقهي، فكان لا بد من الرجوع إلى المصادر الفقهية، حتى يتسنى التعرف على حكم كلا النوعين من جميع الجوانب.

المطلب الأول: مفهوم جهاد الدفع والطلب عند المفسرين القدامى والمحدثين وأقسام كل منهما

قبل الدخول في توضيح مفهوم جهاد الدفع وجهاد الطلب عند كل من المفسرين القدامى والمحدثين لا بد من التعرف على كل من الجهادين بشكل مختصر.

أولاً: تعريف وجيز بجهاد الدفع

يعرف جهاد الدفع عند العلماء بأنه رد الاعتداء من العدو، وقتاله إذا أراد الاعتداء على الأمة الإسلامية أو على إحدى مجتمعاتها - بمن فيهم غير المسلمين - أو على أحد أفرادها، ورد الاعتداء في هذه الحالة يكون فرضاً.

ولا شك أن فرضية هذا النوع من الجهاد تزول عندما ينتهي الاعتداء وتزول مخاطره، يقول علي بن نايف الشحود: " وهو الذي يدفع به عدوان الكفار على أرض الإسلام، أو على دماء المسلمين أو أعراضهم

أو حرمتهم " 140، وجاءت هذه الفرضية من قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: 190-191]، يقول أبو زهرة: " وإن الباعث على القتال كما تصرح آيات القتال هو دفع الاعتداء " 141، من خلال الآية يتضح أن جهاد الدفع يتلخص في دفع اعتداء الكفار والمشركين عن المسلمين وبلدانهم ومن هم تحت حمايتهم من أهل الذمة.

ثانياً: تعريف وجيز بجهاد الطلب

ويعني جهاد الطلب أن تكون اليد العليا للدولة الإسلامية، بحيث تسعى هذه الدولة لنشر الدين الإسلامي، وتزيل الحواجز التي تقف مانعاً في تبليغ الدعوة، وبعبارة أخرى قتال أعداء الدين في بلادهم لأجل الدخول في دين الإسلام، أو دفع الجزية ويكونوا من أهل الذمة، يقول علي بن نايف الشحود: " وبتعبير عصري: يكون النظام الدولي خاضعاً لشريعة الله تعالى، بمعنى أن يكون لدين الإسلام اليد العليا على العالم أجمع ... هذا هو مقصد جهاد الطلب " 142.

يتضح معنى جهاد الطلب من قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ دِينٍ أَحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: 9]، ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا

140 علي بن نايف الشحود، المفصل في فقه الجهاد، (ط 4، 1433 هـ، 2012 م)، ص 1567.

141 محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي)، 949/2.

142 علي بن نايف الشحود، المفصل في فقه الجهاد، ص 1560.

ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " 143 .

ولا غرابة إذا قيل إن المسلمين تاهوا اليوم في غياهب الآراء والأفكار المختلفة في حق الجهاد، حتى أصبح الكثير منهم ينظرون إلى الجهاد بنظرات سوداوية مليئة بالرؤية والشك، فما يكون عند حركة جهادية صحيحاً يكون خطأً في نظر الأخرى، وهكذا تطورت الخلافات فيما بين المسلمين، وتعددت الحركات الجهادية إلى حد جعلت كثيراً من المسلمين بين مؤيد للجهاد ومعارض له.

وفي خضم هذه الاختلافات ظهرت للعلن أفكار تفسيرية لمعاني الجهاد توافق إلى حد بعيد المنطق الفكري، وفي نفس الوقت لا تتعارض مع النصوص الشرعية، وبالمقابل ظهرت أفكار أخرى تجرد الجهاد عن مضمونه الحقيقي، وتطلق عليه معانٍ تنافي المعاني الحقيقية له، والمشكلة الخطيرة هنا تقع في انقسام طبقات المجتمع الإسلامي إلى طوائف تخدم كل منها أجندات داخلية أو خارجية تحت مسميات كثيرة وتوظيفات متعددة.

المسلمون اليوم بأمس الحاجة إلى فهم دقيق لأحكام الجهاد كما يريد الله تعالى، لذا يجب عدم تركه بيد مؤسسات دينية أو مدنية تجهل تأويله ومقاصده والحكمة من مشروعيته، لأن هذه الأحكام في النهاية ليست نظريات معرفية أو حقوق إنسانية تخضع لأفكار أهل الرأي الذين يبدلون ويغيرون حسب مستجدات الأحوال، وفي غالب أحوالهم حسب مصالحهم ومصالح الدول التي يخضعون لها، وإنما هي أحكام إلهية بنصوص شرعية ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، غير قابلة للتغيير والتبديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

¹⁴³ أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الجامع الصحيح المختصر ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، 17/1 ، حديث رقم : 25 .

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴿﴾ [الكهف: 29].

وأما عن أقسام الجهاد فإنه كما مر سابقاً أثناء الحديث عن مفهوم الجهاد في بعض تفاسير القدامى والمحدثين أن هناك مفاهيم تتوافق تماماً مع ما ذهب إليه جمهور المفسرين وتلقنتها الأمة بالقبول، ولا تتناقى مع روح التشريع الإسلامي، وهناك مفاهيم أخرى تتعارض كلياً مع التفاسير القديمة، ومع من يسير على خطاهم من المفسرين المحدثين، وكل تلك المفاهيم الجديدة والقديمة تندرج تحت نوعين من الجهاد فقط كما مر آنفاً، هما جهاد الدفع وجهاد الطلب، وعليهما مدار الحديث في هذا المبحث، حيث سيتناول الباحث هذين النوعين وما يتصل بهما من أقوال المفسرين القدامى والمحدثين وأفكارهم، سواء أكان من الفكر الإيجابي أو السلبي لكلا النوعين، مع توضيح ردود العلماء والفقهاء على تلك الأفكار.

جهاد الدفع

من المعلوم أن العلاقة التي تربط المسلمين بغيرهم هي علاقة السلام وتبادل المعاملات التي تجلب النفع لكلا الطرفين، ولا يمكن أن يكون الإسلام من دعاة الحروب إلا إذا أكره على ذلك وأصبح مضطراً لأن يدخل في القتال مع غير المسلمين: قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 106]، يقول الإمام القنوجي رحمه الله تعالى: " بين سبحانه، أن هذا أي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به، والمراد بالقتال قتال الكفار " 144.

144 أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ، 1992م)، 433/1.

والقتال الذي عناه الله تعالى هنا هو من أجل ردّ المعتدين عن البلاد الإسلامية، ولا شك أن هذا المفهوم لجهاد الدفع يتوافق مع الأحوال التي تعيشها البلاد الإسلامية، كما هو الواقع اليوم في فلسطين وسوريا والعراق وكثير من بلاد المسلمين التي سيطرت عليها كيانات الأعداء من الكفار والمشركين.

لذا يمكن القول إن جهاد الأعداء الذين اعتدوا على البلاد الإسلامية أصبح فرضاً على كل من يستطيع حمل السلاح من المسلمين، وخاصة جهاد الدفع، وأصبح إعداد العدة لمواجهة تلك التحديات من أهم الضروريات أمام المسلمين، وجهاد الدفع: "هو الذي يدفع به عدوان الكفار على أرض الإسلام، أو على دماء المسلمين أو أعراضهم أو حرمتهم، وهو فرضٌ عينٍ على كلِّ قادرٍ محتاجٍ إليه لردِّ العدوان " 145، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَّمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، يقول الإمام الثعلبي رحمه الله تعالى: " أي من الآلات يكون قوة له عليهم من الخيل والسلاح والكراع " 146، مع التركيز على أن جميع القائمين على هذا النوع من الجهاد وإن تعددت توجهاتهم فلهم أجر الشهيد، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون جاره فهو شهيد، ومن قتل في جنب الله تعالى فهو شهيد " 147.

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: " ولما علم الاحتياج إلى الجهاد شرع جهاد الدفع وجهاد

145 علي بن نايف الشحود ، الخلاصة في أهداف القتال في الإسلام ، (بمانج ، دار المعمور ، 1430 هـ ، 2009 م) ، ص 92 .

146 أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، 369/4 .

147 أخرجه أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، (دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998 م) ، 200/9 ، حديث رقم 1914 .

الطلب، وجهاد الدفع أفضل من جهاد الطلب " 148، وبذلك نرى أن جهاد الدفع لا يختص بقتال المشركين فحسب بل يتخطى ذلك ليشمل كل دفاع يخص المسلمين، كحماية الدين والوطن والنفس والعرض، فمن اعتدى على أحدها أصبح لزاماً على كل من يحمل السلاح من المسلمين أن يجاهد في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: 72].

يتضح من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي ذكرت الجهاد أن جهاد الدفع له عدة حالات، إذا وقعت إحداها وجب القتال، وهي كالتالي:

الحالة الأولى: إذا هجم المشركون واعتدوا على بلد من البلاد الإسلامية

الحالة الثانية: إذا التقى الجيشان في ساحات القتال

الحالة الثالثة: إذا أمر حاكم المسلمين مجموعة من الأفراد بالنفير العام

الحالة الأولى: إذا هجم المشركون واعتدوا على بلد من البلاد الإسلامية

هي إذا هجم المشركون واعتدوا على البلاد الإسلامية، سواء أكان الاعتداء على الدين أو الوطن أو النفس، أو على من هو في ذمة المسلمين، وبذلك تنحصر مبررات جهاد الدفع في الإسلام بتلك الأمور،

¹⁴⁸ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد، تحقيق: إياد خالد الطباع، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط1، 1416 هـ)، ص 122.

فالدفاع عن الدين والنفس وحقوق المسلمين من المسلمات التي سنّها الله تعالى في الحياة الدنيا، وبه تتحقق العدالة وتحفظ البلاد الإسلامية من الظلم الفساد الديني والدينيوي.

لا يمكن للظالم أو الفاسد أن يتخلى عن ظلمه ما لم يقيم المجاهدون المظلومون بانتزاع حقوقهم، والمتأمل في التاريخ القديم والحديث يرى أنه لم يكن هناك أثر أشد على المعتدين من فعل أولئك المجاهدين الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن الدين والحق، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: 84].

إن من صور هذا النوع من الجهاد أن يسعى المسلم لنصرة الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال الذين يعجزون عن الدفاع عن أنفسهم، ليضمن المجاهدون لهؤلاء إقامة دينهم من غير إيذاء من المشركين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: 75]، فمن نذر نفسه للدفاع عن المسلمين وردّ العدو عنهم فلا يبعد أن يثاب على ذلك كما يثاب المجاهد في سبيل الله تعالى، وذلك لعظم العمل الذي يقوم به في حفظ أرواح الناس وأموالهم، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "... المرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وغدي عليه وريح برزقه ويزوج سبعين حوراء وقيل له قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب " 149.

إن هذا الترغيب من المصطفى صلى الله عليه وسلم إن كان يدل على شيء فإنما يدل على أنه ينبغي

¹⁴⁹ أخرجه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، تحقيق يوسف النبهاني ، (بيروت : دار الفكر ، ط 1 ، 1423 هـ ، 2003 م) ، 175/2 ، حديث رقم : 7173 .

على المسلمين أن يحافظوا على حدود بلادهم وأوطانهم من أن ينزل بهم العدو، وأن يبذلوا في سبيل ذلك الغالي والرخيص، وذلك إعلاءً لكلمة الله تعالى، وجعل بلاد المسلمين آمنة مطمئنة.

وفي الحديث: "عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى" ¹⁵⁰، ولعل مقصود الشريعة الإسلامية إيجاد دوافع مشتركة فيما بين الناس ينبغي الدفاع عنها إذا تعرضت لإعتداء المعتدين، وكلما قويت تلك الدوافع كلما تحصنت بلاد المسلمين وقويت شوكتها، ولذا يمكن اعتبار هذا النوع من التآلف والتكاتف فيما بين المسلمين من العدة التي أمر الله تعالى بها لإخافة أعداء الأمة من الإعتداء عليها.

الحالة الثانية: إذا التقى الجيشان في ساحات القتال

وهي إذا التقى الجيشان في ساحات القتال، وهذا نوع واضح في جهاد الدفع، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15]، فهذه الآية تحرم على المجاهدين التولي والفرار عن جيش المسلمين في ساحات القتال، فإذا ما احتدم القتال وقوي وطيسه وجب عليهم الصبر والمصابرة وإظهار قوتهم أمام أعدائهم، فإما النصر والظفر وإما الشهادة في سبيل الله تعالى، لا ثالث لهما، اللهم إلا إذا كانت هناك خطة مع قائد الجيش، أو من أجل الالتحاق بصنوف جيش المسلمين، عندها يحق للمجاهدين أن يتراجعوا عن ساحة القتال تنفيذاً لتلك المصلحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَلُهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾

¹⁵⁰ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 330/30، حديث رقم: 18380، حديث صحيح.

[الأَنْفَال: 16].

ولا شك أن دعوة الله تعالى المسلمين للثبات والمصابرة في أرض القتال غايتها تحصيل سعادتي الدنيا والآخرة، سواء للمجاهد أو لمن يدافع عنهم، أما المجاهد فإنه إما أن يسعد بلذة النصر ويؤجر على جهاده، وإما أن يستشهد في سبيل الله ويفرح بما آتاه الله تعالى في الجنة، وله الأجر العظيم، وأما باقي الناس فهم بلا ريب يسعدون بنصر الله تعالى لهم، ويطعمون عباداتهم دون إيذاء من أحد، وهذه العبادة لا تقل أهميتها عن العبادات الأخرى، بل ربما يتضاعف ثوابها وتعظم مكائنها ويكبر شأنها عندما يعتدي الكفار والمشركون على الإسلام والمسلمين ومن يعيش في كنفهم، قال تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 95].

الحالة الثالثة: إذا أمر حاكم المسلمين مجموعة من الأفراد بالنفير العام

وهي إذا أمر حاكم المسلمين بالنفير العام، وهذه الحالة توجب على الأمة أن تلي دعوة الحاكم لمواجهة المعتدين وحماية الدين والنفس والعرض، قال تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: 41]، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: 39]، حيث نزلت هذه الآيات عندما أراد الروم الاعتداء على بلاد المسلمين في الجزيرة العربية وفي مقدمتها المدينة المنورة، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: " أمر الله تعالى بالنفير العام مع الرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحثَّ على المؤمنين في الخروج معه

على كل حال في المنشط والمكروه والعسر واليسر " 151 .

فالأمر الصادر من الله تعالى إلى الإمام بالنفير العام هي دعوة إلى قتال المعتدين بالسلاح وبكل ما أوتي المسلمون من قوة، ولهذا النوع من الجهاد حالات عدة وجب الوقوف عليها وتوضيحها

الأولى: أن يحارب المسلمون عند حدود البلد الإسلامي لمنع العدو من الدخول إلى الأراضي الإسلامية وإثارة الفساد فيها، من خلال تقوية الثغور والعمل على حراستها.

ثانيها: أن يحارب المسلمون أولئك الذين يقفون صداً مانعاً في وجه تبليغ الدعوة الإسلامية، بحيث يمنعون المسلمين من إيصال دعوتهم للناس، وبالمقابل يمنعون الناس من وصول دعوة المسلمين إليهم، أي أنهم يعملون على منع نشر الإسلام بأي طريقة كانت.

ثالثها: أن يحارب المسلمون خارج حدود الدولة الإسلامية، لمواجهة مخططات عدائية تهدف إلى تخريب بلاد المسلمين من الداخل، كما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وغزوة أحد، يقول الدكتور البوطي: " فيجب على المسلمين أن يهبوا هبة رجل واحد، بدءاً من إمام المسلمين إلى عامة أفرادهم، لدرء العدوان وردع المعتدين " 152 ، ثم يوضح الدكتور البوطي أنه بعد وقوع الاعتداء على بلاد المسلمين، ويصبح النفير العام واجباً على كل من يحمل السلاح عندها لا يحتاج المجاهد إلى إذن الإمام، وذلك لأن " الإمام لا يسعه والحالة هذه سوى أن يأمر الناس جميعاً بالعمل ما بوسعهم على درء العدوان " 153 .

151 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 4/155 .

152 محمد سعيد رمضان البوطي ، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه ، ص 113 .

153 محمد سعيد رمضان البوطي ، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه ، ص 113 .

جهاد الطلب

وهذا النوع من الجهاد هو الذي عليه مدار الخلاف بين العلماء، وقد علمنا سابقاً أن جهاد الطلب هو أن تكون اليد العليا للدولة الإسلامية، بحيث تسعى هذه الدولة لنشر الدين الإسلامي، وتزيل الحواجز التي تقف مانعاً في تبليغ الدعوة، وبعبارة أخرى قتال أعداء الدين في البلاد التي يقيمون فيها لأجل قبول الإسلام أو دفع الجزية، ولا غرابة إذا قلنا إن جهاد الطلب من أكثر التشريعات الإسلامية التي تعرضت للطعن والأخذ والردّ، ومع الأسف من المسلمين أنفسهم، وبمساندة غير متناهية من المستشرقين الذين يعملون بشكل متواصل من أجل إضعاف أسس الدين الإسلامي وجعله كباقي الأديان الوضعية التي قام بتشريعاتها أناس يختلفون ويتوافقون ويغيّرون كيفما أردوا ومتى شاؤوا.

ونتيجة لذلك انقسم علماء المسلمين بين مؤيد لهذا المفهوم، وبين معطل له بحجج واهية لا أساس لها في الدين، بل إنها تخالف تعاليم الدين جملة وتفصيلاً، وظهرت فئة تنادي ببطلان هذا المفهوم من الأساس، وتدعو إلى رفضه ومحاربه بدعوى التقارب بين الأديان، وفئة أخرى تدّعي أن هذا المفهوم من الجهاد من الشرائع التي افترضها الله تعالى على المسلمين، إلا أن فرضيته كانت في القرون الأولى للدعوة الإسلامية، وأما الآن فيقتصر على الدفاع فقط، وأن جهاد الطلب لا يتوافق مع القوانين والنظم الحديثة، ولذلك وجب تعطيله.

في هذه الدعوة فيها ما فيها من الخطر الجسيم، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المفكرين، فلا بد من تضافر الجهود لمواجهة أولئك الذين يشوهون تعاليم الدين الإسلامي، ويضعون العوائق أمام تقدم المسلمين في دعوتهم، ويُخضعون الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة لاعتبارات الأزمنة والأمكنة، بحجة مجازاة التطور

والتقدم.

من خلال التأمل نجد أن غالب الذين تبنا هذا الفكر إنما فرض عليهم من جهات تكن للإسلام والمسلمين الحقد والطمعنة، أو أنهم ما قالوا ذلك إلا لقصورهم الفكري وجهلهم بحقيقة النظر بالأدلة اليقينية ومعرفة مقاصدها، وفي كلا الحالين هو أمر مقيت يحمل الضرر الجسيم على المسلمين ودعوتهم، لأن أعداء الأمة الإسلامية أخفقوا في السيطرة على بلاد المسلمين من خلال الحروب العسكرية، فلجؤوا إلى بثّ الشكوك والشبهات حول الجهاد، مستخدمين أولئك الذين ينادون بتجديد الخطاب الديني تجديداً يمشي العصر، لا جهاد فيه ولا قتال.

ولعل هؤلاء المفكرين غفلوا عن فكرة معلومة للقاصي والداني، وهي أن دول العدو والكفر قد عاثوا فساداً في الدول الإسلامية من خلال الحروب واستخدام الأسلحة الفتاكة، وأن القتل هو اللغة الوحيدة التي يتعاملون بها مع المسلمين، والواقع الذي عاشه المسلمون في الزمن الماضي وحتى الحاضر أكبر دليل على ذلك، كالقتل الذي قاموا به في الجزائر وليبيا ومصر وسوريا، وفي العصر الحديث في فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال وسوريا، وغيرها الكثير من الدول الإسلامية.

يقول محمد حامد الناصر في كتابه العصرانيون: " بالسيف اقتحم الغرب بلاد المسلمين، وبالسيف أخضع ثورات شعوبها، والعنف العسكري كان وما يزال السمة الغالبة في اجتياح بلاد المسلمين، وشرط إخضاع الشعوب الإسلامية والسيطرة على ديارها " 154 .

ومن المعلوم أن الهجوم الفكري الذي شنته أولئك المفكرون الذين جانبوا الصواب بتوجهاتهم احتد

وطيسه في نهايات الخلافة العثمانية، حيث إنهم لم يتوانوا عن الهجوم عليها والنيل من سمعتها، مرددين بذلك أفكار معلمهم وداعميهم من أهل الاشتراق، والمنصف من الناس يرى أن العثمانيين كان لهم الفضل الأكبر في حفظ بلاد المسلمين وفي الفتوحات الإسلامية التي حصلت في ذلك العهد ونشر الإسلام، وفتح إسطنبول على يد السلطان محمد الفاتح.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في حق العثمانيين: " ويكفيهم في ميزان الله أنهم توغلوا في أوروبا الصليبية ما توغلوا، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب، فدخل الناس في الإسلام بعشرات الملايين " ¹⁵⁵، ويزيد سيد قطب أن الحيوية للإسلام قد بعثت من جديد بفضل الخلافة العثمانية، وأنها قد خدمت الدين وبذلت في سبيل ذلك الأموال والدماء، ومنعت تسلط الدول الصليبية على البلاد الإسلامية، فيقول: " حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، فلم يجرؤوا أن يتجهوا مرة أخرى نحو الشرق للاستيلاء على بيت المقدس كما فعلوا أول مرة حتى زالت الدولة العثمانية " ¹⁵⁶.

وبالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 5]، تسمى هذه الآية بآية السيف، وذهب بعض المفسرين إلى أن آية السيف هي قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة: 36]، وذهب آخرون إلى أن كلتا الآيتين تسمى بآية السيف، ثم إن الذين ذهبوا إلى القول بكثرة النسخ في القرآن الكريم قالوا إن الآيات التي

¹⁵⁴ محمد حامد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التنوير ، ص 326 .

¹⁵⁵ محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، (القاهرة : دار الشروق ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1997 م) ، ص 141 .

¹⁵⁶ محمد قطب ، الواقع المعاصر ، ص 141 .

تتكلم عن الإعراض عن الجاهلين والمشركين وكذلك آيات الصفح والعفو وحسن التعامل مع المشركين كلها آيات نُسخت بآية السيف، إلا بعض المفسرين المعاصرين كمحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم كثر، قالوا إن آية السيف ليست ناسخة لآيات الإعراض عن المشركين وحسن المعاملة وآيات الصفح والعفو كما قيل، وأورد في ذلك أقوالاً له ولبعض المفسرين، فقد ورد في تفسير المنار: " والصواب أن ما ذكره من هذا القبيل ليس من النسخ الأصولي في شيء ... ما أمرَ به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح، ثم نسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً، بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى: أو نُسيها " ¹⁵⁷، ويضيف رشيد رضا قوله: " فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك " ¹⁵⁸.

ولعل الشيء الجامع لما ما سبق، أن الفقهاء والمفسرين قد طرحوا رأيين معتبرين، يعبران بشكل مختصر ومنطقي عن الجدل الحاصل بآية السيف، ومحدث النبي عليه الصلاة والسلام: " أمرت أن أقاتل ..."، وذلك كالآتي:

الرأي الأول: وهذا الرأي أضعف الآراء، وهو أن الدعوة إلى دين الإسلام في بداية ظهوره إنما تمثلت بدعوة الناس من غير إجبار أو إكراه، وكل من دخل الإسلام في ذلك الوقت إنما دخله عن قناعة وطوعية من نفسه، ثم جاءت آية السيف ونسخت هذا الأمر، وجعلت الحال العام يؤول إلى قتال المشركين وإجبارهم على الإسلام، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس ... " فيه دلالة ظاهرة على ذلك.

¹⁵⁷ محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 150/10 .

وأما الرأي الآخر: وهو قول أكثر المفسرين وبه قال الفقهاء، أن حكم الدعوة كما كان في صدر الإسلام لم يتغير، وأن كل الآيات التي دلت على أن الدعوة إلى الإسلام من الآيات المحكمات، وليس فيها شيء من النسخ، وزادوا على قولهم هذا أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس ... " ليس فيه تعارضاً مع الآيات التي تحدثت عن الدعوة إلى الإسلام من غير إكراه.

ثم إن أصحاب الرأي الثاني قد انقسموا إلى قسمين: الأول منهما يقول: إن المقصود بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس ... " الوثنيون الذين لا يؤمنون بوجود الله تعالى، ومن على شاكلتهم في الزمن الحالي كالملاحد الذي ينكر وجود الله تعالى كما مر، وأما باقي فئات الناس من غير المسلمين فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: 256]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: 8]، عداك عن آيات كثيرة ذكرها الله تعالى، تدل على أن الدعوة إلى الإسلام تكون من دون اجبار وإكراه.

وثاني القسمين يقول: إن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس ... " بغض النظر عن الفهم الخطأ الذي وقع فيه كثير من الناس لهذا الحديث، فإن الدعوة إلى الإسلام دعوة واحدة لا تفرق بين أهل الكتاب والوثنيين والملاحدة، فالدعوة إلى جميعهم تكون من غير إكراه، ومع هذا القول لهذا القسم فإنهم يقولون لا تعارض بين هذا المعنى وبين الآيات التي تأمر المسلمين أن يقاتلوا من لم يؤمن بالله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: 5]، فالأمر بالقتال هنا ليس من أجل

¹⁵⁸ محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 150/10.

كفرهم وعدم إيمانهم، وإنما لأنهم اعتدوا على المسلمين وحاربوهم، فكان الأمر رداً للمثل.

وإلى هذا القول ذهب الكثير من المفسرين والفقهاء كالإمام الأوزاعي، والإمام مالك وغيرهم.¹⁵⁹

رأي الباحث

ومما سبق يتضح للباحث صحة ما ذهب إليه الجمهور، وأن ما ذهب إليه المعاصرون يحتاج إلى إعادة

النظر، وأنه في الغالب قد جانب الصواب.

وسوف نتطرق إلى آية السيف بالتفصيل في أثناء الحديث عن الشبهات التي أثارها بعض المعاصرين

والمستشرقين حول الجهاد بإذن الله تعالى.

توضيح في جهاد الطلب

قال تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ [البقرة: 191]، إن

الذين ينكرون على المسلمين جهاد الطلب اقتصروا في نظرهم على الشق الأول من هذه الآية " وَأَقْتُلُوهُمْ

حَيْثُ ثَفَّفْتُمُوهُمْ "، دون التمعن في قوله تعالى: ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾، فكانت دلالة على

أن الكفار والمشركين هم الذين بدؤوا القتال وليس المسلمين.

كذلك كانت نظرهم إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 36]، فقد قصرنا نظرهم على الجزء الأول من هذه الآية، وتناسوا قوله تعالى كما

يقاتلونكم، والأمر ذاته في قوله تعالى: ﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا ﴿ [النساء: 89]، دون النظر إلى الآية التي تليها تماماً، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمَّ يُقْتَلُوكُمْ وَالْقَوْمَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 90]، فكانت دلالة واضحة على أن الإسلام يدعوا إلى السلام في اعتزال الكفار والمشركين القتال.

والمأمل في نظر هؤلاء الذين اتهموا الإسلام باتهامات تجانب الصواب، يجد أنهم يُخرجون آيات الجهاد عن سياقها ويقطعون منها ما شاؤوا لإثبات نظرياتهم كيفما شاؤوا، وخاصة الآية الخامسة من سورة التوبة، وهي ما تسمى آية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 5]، فهم يدعون أن هذه الآية تدعو إلى قتل المشركين والكفار وإرغامهم على الدخول في الإسلام، ولو أنهم نظروا بتمعن إلى الآيات التي تلي هذه الآية لعلموا هُتان رأبهم وفساده، إذ الآيات التي جاءت بعد هذه الآية لم تكن إلا لتحديد السبب في قتال المشركين، وتوضيح الهدف الرئيس لذلك القتال، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَبْنَاءَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة: 12]، وقال أيضاً: ﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 13]، فهاتان الآيتان توضحان أن الغاية من قتالهم تتمثل في رد كيد المشركين ومنع ظلمهم، عسى أن يكون قتالهم سبباً لإنهاء ظلمهم وإبدائهم، فكان قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾، دليلاً صريحاً على أن محاربتهم ليست لإرغامهم على الإسلام، ولا لأنهم مشركون، وإنما لمنعهم من ممارسة الظلم والاعتداء على حقوق

159 محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، (دمشق: دار الفكر، ط 1، 1993 م)، ص 53-55 بتصرف.

المسلمين.

ولو كان الأمر كما يقول ويدعي هؤلاء فلماذا قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾، ولم يقل لعلمهم يؤمنون، ولو أن المقصود من آية السيف قتال المشركين مجرد كفرهم بالله تعالى لكانت الآية التي تحدثت عن المشركين ونكثهم ونقضهم للعهود وبدئهم لقتال الرسول وإيذائه لا معنى لها، ولذلك يفهم من آية السيف قتال المشركين الذين نكثوا العهود وآذوا المسلمين ووقفوا في وجه تبليغ الدعوة الإسلامية.

ولو أردنا أن ننظر في قوله تعالى في نفس السورة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، نجدها في السياق ذاته، إذ إن أسباب القتال ودواعيه ذكرها الله تعالى في الآيات التي قبلها، وهي أن المشركين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم وبادروا المسلمين بالإيذاء، فكان لابد ونتيجةً لتصرفاتهم تلك أن يؤمنوا بالله تعالى ويدخلوا دين الإسلام، أو أن يدفع الجزية كل من قدر على دفعها من المشركين.

والجزية التي أمر الله تعالى بها ليست إلا حمايته من الظلم في ظل حكم الدين الإسلامي، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6]، دلالةً على أن المشرك إذا أراد الأمان في البلاد الإسلامية وجب عليهم أن يؤمنوه، ومن ثم يدعوه إلى الإسلام، لأنه لا يعلم عن الإسلام شيئاً، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم بعد ذلك يجب إطلاق سراحه، فهل ذكر القرآن أنه لا يجب تركه، أو أنه يجب قتله إن لم يؤمن؟، بالطبع لم يذكر القرآن شيئاً من ذلك، بل طلب تركه سواء آمن أم لم يؤمن.

لو كان الهدف من القتال هو إجبار المشركين على الدخول في الإسلام، لكان من المفروض عدم تركه حتى يسلم، إلا أن القرآن الكريم أمر بغير ذلك تماماً، أمر بأن تسمعه كلام الله تعالى ثم تبلغه مأمناً حتى وإن لم يسلم، فالمرجعية في فهم المراد من هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190].

وفي العموم فإن العلاقات التي تكون بين المسلمين وغيرهم منوطة بأن لا يقوم الطرف الآخر من غير المسلمين بمجاوزة الحدود، وممارسة الظلم والاعتداء على المسلمين وممتلكاتهم وما يعود إليهم، وهذا ما بينه الله تعالى في قوله: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: 8]، فلم ينة الله تعالى عن التعامل مع المشركين الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يقاتلوهم، من تقديم الأطعمة والألبسة، والتعامل معهم بالإحسان، وإنما النهي الذي أراده الله تعالى مع من قاتل المسلمين وحاربهم، ووقف في وجه تبليغ الدعوة الإسلامية، وقدم العون لأعداء المسلمين ولو بالرأي.

وبناءً عليه فإنه لا يمكن حصر غايات الجهاد بردّ المعتدين، والدفاع عن الأراضي الإسلامية، بل يتجاوز ذلك إلى تبليغ الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى كافة أنحاء الأرض، ولو كان الأمر كما يدعي بعضهم، لقلنا إذن كيف توسعت رقعة الإسلام في بداياته وقد بدأ في مساحة ضيقة لا تتجاوز عدة كيلو مترات، ثم انتشر إلى بقاع شاسعة من الأرض، فلو كان الجهاد مقصوراً على الدفع لما حصل ذلك الانتشار، ولما وصل إلينا هذا الدين الحنيف.

إن الأحكام الشرعية كما مر سابقاً لا تتغير بتغير الأزمان، ولذلك فإن قصر الجهاد على الدفاع فقط

سوء فهم لأحكام الجهاد التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، والتي هي عبارة عن أحداث وغزوات كانت السبب في تشكيل أسس العلاقات مع المجتمعات غير الإسلامية.

والخلاصة ومن وجهة نظر تاريخية: يتبين أن الجهاد إنما شرع لتذليل العقبات أمام إيصال الإسلام إلى جميع الناس في مختلف البلدان، فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما يدعي المغرضون، وإنما كان السيف في وجه أولئك الذين منعوا وصول ذلك الخير العميم إلى الناس قاطبة، والحديث عن الجهاد هو حديث عن حماية كيان الدولة الإسلامية من خلال تطبيق الأحكام الشرعية بجميع مجالاتها، وبالأخص في تعاملاتها مع الدول الأخرى، ولا يمكن لهذه الدولة أن تعتمد خيار القتال والسيف في كل الأوقات، وإنما يتم ذلك تحت دراسة معينة تتضح بها الإيجابيات والسلبيات لهذا العمل.

وما جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ببعيد عن هذا المنطق وهذا المعنى، فقد كان عليه الصلاة والسلام وهو على الحق يهادن ويعاهد الكفار والمشركين، ويتعامل معهم في كثير من الأحيان لأسباب يراها مناسبة لحال المسلمين في ذلك الوقت، وتعود عليهم بالنفع العميم، وإن كانت في ظاهرها لا توافق المصلحة، كما حصل في صلح الحديبية، إلا أنها تخفي من ورائها خيراً عميماً ظهر جلياً أمام أعين المسلمين بعد سنة من ذلك الصلح، حيث تم فتح مكة المكرمة من غير قتال ولا عناء ولا إراقة دماء، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك القائد السياسي والعسكري، ولكل وقت حكمه.

رأي الباحث

يرى الباحث: إن الجهاد إما أن يكون لصد اعتداء المعتدين الذين يريدون السيطرة على البلاد الإسلامية ونهب خيراتها، وهذا الجهاد في الحقيقة موجود عند كل الدول، ولم يختلف فيه أحد، وهو جهاد

الدفع، وإما أن يكون الجهاد لمحاربة من يصد الناس عن الإسلام ويمنعهم من التعرف على هذا الدين الحنيف، ويقف في وجه المسلمين في نشر دينهم ومعتقداتهم، وهو جهاد الطلب، ومن أراد أن يفسر الجهاد بغير هذا المعنى فقد جانب الصواب والله أعلم.

المطلب الثاني: حكم جهاد الدفع وجهاد الطلب عند الفقهاء

كَلَّفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقِتَالِ وَأَوْجِبَهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]، فمقتضى هذه الآية أنه يجب مقاتلة المشركين حتى يدخلوا في الإسلام، وهذه دلالة ظاهرة على الوجوب، فهل هذه الآية تتناول جميع أقسام الجهاد أم أنها مقتصرة على البعض؟.

من المعلوم أن الفقهاء أقرروا بأن الجهاد يكون في بعض حالاته فرضاً، ويكون في حالات أخرى فرض كفاية، أي أنه إذا قام به البعض سقط عن الباقي، وبناء على ذلك لا بد من توضيح الحكم الشرعي للجهاد بشقيه جهاد الدفع وجهاد الطلب.

بالرغم من أن جهاد الدفع هو الذي استحوز على اهتمام المفسرين والفقهاء واعتبروه أعم وأكثر مناقشة، إلا أنهم متفقون على وجوبه على كل من يستطيع حمل السلاح، وهذا الاتفاق لم يشذ عنه أحد من المفسرين القدامى منهم والمحدثين، إلا أن الاختلاف إنما وقع في مفهوم جهاد الطلب الذي اعتبره جل العلماء فرضاً كفايياً.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله تعالى: " وإنما الخلاف والنزاع فيما هو فرض كفاية، وهو

(جهاد الطلب) كما يسميه الفقهاء " ¹⁶⁰، ويضيف الدكتور القرضاوي أيضاً: " أما جهاد الدفع والمقاومة للعدو الغازي، فهذا لا يماري أحد في وجوبه " ¹⁶¹، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122]، ففي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الجهاد فرض عين، ولو كان الأمر كذلك لكان هناك تعارض مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾، يقول الإمام الجصاص رحمه الله تعالى: "تنفر طائفة وتمكث طائفة مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فالماكثون هم الذين يتفقهون في الدين وينذرون إخوانهم إذا رجعوا إليهم من الغزو " ¹⁶²، ويقول ابن عابدين رحمه الله تعالى: " إن الجهاد إذا جاء النفيّر إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو، فأما من وراءهم يبعد من العدو فهو فرض كفاية عليهم، حتى يسعهم تركه إذا لم يحتج إليهم فإن احتج إليهم بأن عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة مع العدو ... فإنه يفترض على من يليهم فرض عين " ¹⁶³، ويقول الإمام المزني رحمه الله تعالى: " ويبدأ الإمام بقتال من يليه من الكفار وبالأخوف، فإن كان الأبعد الأخوف فلا بأس أن يبدأ به على معنى الضرورة التي يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، وأقل ما على الإمام ألا يأتي عام إلا وله فيه غزو بنفسه أو بسراياه على حسن النظر للمسلمين حتى لا يكون الجهاد معطلاً في عام إلا من عذر " ¹⁶⁴.

هذا هو ما عليه جمهور أهل العلم، وهي الخلاصة التي اعتمدها الفقهاء، وذهب بعض أهل العلم إلى

¹⁶⁰ يوسف القرضاوي، فقه الجهاد، دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط 4، 1435 هـ، 2014 م)، 103/1.

¹⁶¹ يوسف القرضاوي، فقه الجهاد، دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، 92/1.

¹⁶² أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد قمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405 هـ)، 315/4.

¹⁶³ محمد بن أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين، رد المختار على الدر المختار، (بيروت: دار الفكر، ط 2، 1412 هـ، 1992 م)، 124/4.

¹⁶⁴ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، مختصر المزني، (بيروت: دار المعرفة، 1410 هـ، 1990 م)، 377/8.

فرضية جهاد الدفع عند أي إعتداء يحصل على أي بلد من بلاد المسلمين، وأن جهاد الطلب فرض كفاية عند الجمهور، أي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، إلى أن يطهروا أرض المسلمين من الأعداء، يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: " هل كان فرض كفاية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم فرض عين ؟ فيه وجهان، أحدهما: فرض كفاية لقوله تعالى: (لا يستوي القاعدون) " 165 ، يقول عبدالله بن فريح في كتابه معوقات الجهاد في العصر الحاضر: " وهذا هو الرأي الراجح عند إمعان النظر في تلك الأقوال والأدلة المبسوطة في كتب الفقه الأمهات " 166 .

وذهب بعض المعاصرين إلى أن الجهاد في الزمن الحاضر ينحصر فقط في جهاد دفع العدو - وقد مر معنا سابقاً - وأن جهاد الطلب قد ألغي لأنه لا يتوافق مع القوانين والمواثيق الدولية، وأن الآيات التي تتحدث عن جهاد الطلب لا يمكن العمل بها ما لم يكن هناك اعتداء من قبل المشركين، مستدلين على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190]، أي أنهم يحصرون القتال بمن يعتدي على المسلمين، ويعتبرون أي جهاد يخالف هذا المفهوم اعتداءً نهي الله تعالى عنه.

لقد اختلط عليهم الأمر عندما قالوا لا يمكن قتال من لم يقاتلنا، لصريح الآية، دون أن يعلم هؤلاء أن المقصود في هذه الآية ليس كما فهموه، وإنما المقصود الذي عناه الله تعالى هو منع قتل النساء والشيوخ والأطفال من المشركين أثناء الحرب، لأنهم ليسوا من أهل القتال، وإنما القتال يقتصر على محاربة المقاتلين من

¹⁶⁵ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، روضة الطالبين وعمدة المفتين ، تحقيق : زهير الشاويش ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط 3 ، 1412 هـ 1991 م) ، 208/10 .

¹⁶⁶ عبد الله بن فريح العقلا ، معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً ، (الرياض : مكتبة الرشد ، ط 1 ، 1423 هـ ، 2002 م) ، 57/1 .

العدو فقط، يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى: "أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال" ¹⁶⁷.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل يسقط الجهاد بتقادم السنين حتى أراد هؤلاء المعاصرون من تغيير مفهومه؟

لا يسقط الجهاد بتقادم السنين، ومسائل الجهاد لا يمكن أن تتجدد وتتطور وتتغير، بل هي أحكام قطعية الثبوت لا مجال للاجتهاد فيها، اللهم إلا في بعض الحالات الثانوية التي لا تؤثر مطلقاً على فرضية الجهاد.

وقد سقنا الأدلة الثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبيّنا أن هذه الأدلة خالية من الخطأ ومن أي لبس، فأدلة الجهاد ليست كأدلة بعض المسائل الفقهية، كما ادعى ذلك أهل الباطل والزيغ، لأن الأهداف الحقيقية لفرضية الجهاد هي الحفاظ على مصالح الأمم والعمل على حراسة الدين الإسلامي من ظلم المعتدين وأعدائهم، والظلم والاعتداء لم ينته في الماضي ولا الحاضر، ولن ينتهي في المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، سنة إلهية في الأرض.

إن دعوات التشويه التي يقودها كثير ممن يعتبرون أنفسهم مفكرين إسلاميين هي من أخطر ما قد تواجهه الأمة الإسلامية في العصر الحديث، فقد رأينا وما زلنا نرى تلك الدعوات التي تستهدف بالدرجة الأولى عقول الشباب المؤمن، والتي تدعو إلى ضرورة تغيير المناهج التعليمية في المدارس والجامعات والمنتديات الفكرية، ومنتديات الحوار بين الأديان.

¹⁶⁷ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 89/1.

وقد استجاب كثير من الدول الإسلامية لمثل هذه الدعوات، ولا يخفى أن الهدف من مثل هذه الدعوات هو قطع تلك الصلة التي يعتز بها المسلم بماضيه وتاريخه، وجعله ينتمي إلى أفكار مشبوهة تشوّه الإسلام حتى عند المسلمين أنفسهم، فكم من العناوين الجهادية قد ألغيت من كتب الثقافة الدينية، وكم من قصص تمسّ الجانب الجهادي للنبي صلى الله عليه وسلم ولصحابته الكرام ولمن بعدهم قد تم حذفها من البرامج التعليمية، بحجج واهية رخيصة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وربما كان ذلك إرضاء لجهات يهودية في أميركا والدول الغربية.

إن مشكلة العالم الإسلامي ليست في شح الأفكار العلمية، بل تكمن في أولئك الذين يحاربون تعاليم الإسلام بحجة مواكبة العصر واللحاق بركب الحضارات المتقدمة، والمتابع لواقع الأمة الإسلامية ونظرتها للجهاد وأحكامه يتكون في ذهنه أن الأمة الإسلامية ضعيفة عاجزة لا يمكن أن تدافع عن نفسها، إذن وبحسب تفكيرهم لا بد من التوجه إلى طرق أخرى غير الجهاد.

إن معاهدات السلام التي حصلت مع الكيان الصهيوني والتي تحصل في الزمن الحاضر من بعض الدول العربية إلا نتيجة حتمية لذلك التفكير البغيض، والحقيقة أن الأمة الإسلامية ليست كذلك، لأن الأمة الإسلامية قوية بإيمانها، قوية بشبابها، قوية بطاقتها وثروتها، لكن أعداءها أرادوا منها أن يقتصر تفكيرها ويحدد ضمن أطر لا تشكل على عدوها أي خطر، ليسيطر الخنوع والمهانة على قلوب المسلمين فينقطع منهج الجهاد وتتعطل أحكامه.

إذن ما هي الطريقة العملية لمواجهة هذا الخطر؟

إن مواجهة هذه التوجهات العدائية قد لا تتحقق على أرض الواقع في القريب العاجل، فلا أقل من

التذكير بضرورة العودة إلى تعاليم ديننا، وإلى منهج أسلافنا من المسلمين، فما ينبغي أن يترعع الجيل القادم على مفاهيم الخنوع والهزائم، ولا بد من تنشئتهم على القناعة التي تفيد بأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

وأما فيما يتعلق بقتال الكفار والمشركين في حال تترسوا بالدروع البشرية: ومعنى هذه الحالة أن يجعل العدو مجموعة من الرجال أو النساء أو الأطفال أمامه يحتمي بهم ويبعد الخطر عن نفسه، وذلك لعلمه أن المسلمين في هذه الحالة يتوقفون عن قتالهم، وإن كانت هذه الحالة قليلة الحدوث في الزمن الحالي بسبب تطور الأسلحة، واستعمالها من مسافات بعيدة وتصيب الهدف في كثير من الأحيان بدقة متناهية، إلا إنها ضمن إطار إمكانية الحدوث، فلا بد من الإجابة عنها، إذ من الممكن اعتبار هذه الحالة كالحالات التي تدخل في إطار جعل دور العبادة والمستشفيات والمدارس مقدرات يحتمي به العدو.

وعلى جميع الأحوال فإن الفقهاء قد بينوا الأحكام الفقهية المتعلقة في هذه الحالات، وذكروا أن قتال الكفار الذين تترسوا بالدروع البشرية سواء أكانت هذه الدروع من المسلمين أو من غير المسلمين يعتمد على تحقيق المصلحة العامة للمسلمين، وكذلك يرتبط بمقدار الضرورة التي يحتاج إليها المسلمون لدوام القتال أو التوقف عنه.

فقد اتفق الجمهور من الفقهاء على أنه إذا اقتضت الضرورة قتالهم جاز ذلك، لأن ضرر تركهم أكبر الضرر الحادث من قتالهم، ولأنه إذا تعارض ضرران فإنه يجب اختيار الضرر الأخف، حيث ذهب إلى هذا

جمهور الفقهاء من الأحناف والحنابلة والمالكية، وهو الصحيح عند الشافعية¹⁶⁸، وفي قول آخر للشافعية عدم جواز ذلك¹⁶⁹.

هذا إذا كانت الدروع البشرية من المسلمين ومن كان تحت حمايتهم كالمعاهدين والمستأمنين، أما إذا كانت الدروع البشرية من غير المسلمين كنساء المشركين وأطفالهم، فإن الجمهور على جواز قتالهم ورميهم بالأسلحة، لأنهم إن تُركوا ولم يُقاتلوا بادرُوا المسلمين بالقتال والرمي، ويكون ذلك احتياطاً.

فقد ورد في الموسوعة الفقهية الشاملة ما نصه: " وإن تترس الكفار بذرائعهم ونسائهم فيجوز رميهم مطلقاً عند الحنفية، وهو المذهب عند الحنابلة، ويقصد بالرمي المقاتلين ... وذهب المالكية والشافعية: إلى أنه لا يجوز رميهم، إلا إذا دعت الضرورة " ¹⁷⁰.

وبالرجوع إلى جهاد الطلب قد يتساءل سائل: وما علاقة أقوال المفكرين المعاصرين بأحكام الجهاد، حتى ذكرت مصنفة تحت بند حكم الجهاد؟، والجواب على هذا السؤال: هو أن هؤلاء المفكرين إنما استهدفوا روح الجهاد، منكرين فرضيته، محاولين تعطيله، فبينما يختلف الفقهاء والمفسرون في جهاد الطلب بين الفرض وفرض الكفاية، جاء هؤلاء ليبطلوا ويعطلوا جهاد الطلب نهائياً، فكان لا بد من ذكر آرائهم والرد عليها في هذا المقام.

¹⁶⁸ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، تحقيق: خليل محي الدين الميس، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1، 1421 هـ، 2000 م)، 266/10، وانظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1994 م)، 150/1. وانظر: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، منتهى الإرادات، تحقيق: عبد الله بنعبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، 1419 هـ، 1999 م)، 208/2. وانظر: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي، الأم، (بيروت: دار المعرفة، 1410 هـ، 1990 م)، 260/4.

¹⁶⁹ الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي، الأم، 260/4.

رأي الباحث

يرى الباحث أن هناك ثلة من العلماء والمفكرين المعاصرين قد انخدعت بتوجهات المستشرقين وتماشت مع أفكارهم وآرائهم، بحيث عمل هؤلاء على تفرغ مفهوم الجهاد من مضمونه، ودعوا إلى تعطيله بحجج تفتيد بأن الجهاد لا يتوافق والقوانين العصرية.

وللرد على مثل هذه الأفكار لا بد من توحيد الجهود في عقد المؤتمرات والأندية العلمية التي تجمع أقطاب الفقهاء والمفسرين المتواجدين في كافة البلاد الإسلامية، ليس من أجل توضيح الأفكار المنحرفة حول مفهوم الجهاد، وإنما لوضع وتحديد الضوابط الشرعية للجهاد، بحيث ينقطع الطريق أمام بعض المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق الذي أطلقوا في الآونة الأخيرة تصورات خاطئة للجهاد إرضاء لجهات معينة بقصد أو بغير قصد.

المطلب الثالث: التقاتل بين المسلمين وأسبابه

إن الرسالة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام تهدف بالدرجة الأولى إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة والعلم، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً كل الحرص أن يصل إلى ذلك الهدف دون أن تراق دماء الناس، بغض النظر عن دياناتهم وتوجهاتهم، فمنذ أن كان في المدينة المنورة سعى عليه الصلاة والسلام إلى تغيير مجتمع الجاهلية بواسطة الدعوة السلمية بعيدة عن الحرب والقتال.

ولما قويت دولة الإسلام شرع الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الكرام الجهاد في سبيله، على أن يكون الجهاد والقتال ضد ملة الكفر دون غيرها، وأي قتال يخرج عن هذا التوجه لا يمكن تسميته

¹⁷⁰ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ، الموسوعة الفقهية الكويتية ، (الكويت : دار السلاسل ، 1404 - 1427 هـ) ، 138/10 .

جهاداً في سبيل الله، وبقي ذلك المفهوم متداولاً بين المسلمين إلى نهايات الخلافة العثمانية، حيث بدأت الصراعات والحروب تنشأ فيما بين المسلمين أنفسهم، والكل ينادي باسم الجهاد، وتدخلت أيادي خارجية تُكثِّرُ للمسلمين العداً لتدعم تلك التفرقة التي حصلت بين المسلمين، وكما يقال في المثل الشائع عند العرب: لتصب الزيت على النار، فكان نتاج ذلك أن فقد الجهاد معناه الصحيح، وأصبح في جِلِّ أحواله خدمة لمصالح العملاء الذين يسعون لاستلام زمام السلطة على حساب مصالح المسلمين ودمائهم، وبدأ يتطور الأمر منذ ذلك الحين وإلى الزمن الحالي، حتى أصبحت بلاد المسلمين اليوم من أكثر البلاد التي تثار فيها الحروب.

وليت أن نلك الحروب كانت تدور بين المسلمين وأعدائهم، ولكنها مع الأسف بين المسلمين والمسلمين أنفسهم، ومن هنا كان لا بد من الوقوف على ما تقرره الشريعة الإسلامية تجاه ذلك الإقتتال، والتعرف على حكم التقاتل فيما بين المسلمين، هل هو جهاد يرتضيه الله تعالى أم أنه عصيان يغضب الله تعالى؟، وهل القتال القائم اليوم في بلاد الشام والعراق واليمن وليبيا والصومال وبعض بلاد المسلمين يعتبر من الجهاد؟، والسؤال الأكثر أهمية، هل هناك جهاد مشروع فيما بين المسلمين، وهل الذين يقتلون من المسلمين على أيدي المسلمين شهداء، لأنه غالباً ما يكون قتلى عند احتدام القتال بين الأطراف المتقاتلة، وخاصة في ظل تطور الأسلحة الفتاكة في الزمن الحاضر، هذا ما سيتم توضيحه والإشارة إليه في هذا المبحث، حيث سيتم الإجابة على هذه الأسئلة لطالما هي مطروحة على ألسنة الناس.

هل الحروب القائمة اليوم فيما بين المسلمين تعتبر من الجهاد

قبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي التعرف على الحروب المحرمة بين المسلمين.

إن القتال المحرم بين المسلمين هو الذي يدور بين طوائف المسلمين لغايات مجهولة، ولعل الحاصل

اليوم من الاقتتال بين المسلمين هو ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " إني سألت ربي لأمتي: ... أن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ... وإن ربي عز وجل قال لي: ... وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً " ¹⁷¹، فقد كثر في الآونة الأخيرة القتال بين طوائف المسلمين، بحيث يقتل بعضهم البعض، وكل ذلك باسم الدين، ومن المؤسف له أنه لا نرى من هذه الطوائف ممن ينبغي أن يُنصف، نعم يمكن القول: قد يكون الصواب عند طائفة أكثر من طائفة أخرى، لكن هذا الإقتتال وبكل وضوح ليس للإسلام فيه من شيء، ونستطيع أن نطلق عليه الإقتتال السياسي، يدار من قبل الساسة المتصارعين على السلطة، مستخدمين جانب الدين، حيث أن كل فريق من هؤلاء يدعم طرفاً من المسلمين، سواء في الداخل أو في الخارج، فهو اقتتال سياسي بحت تنكر بلباس الدين.

إن الذي يحصل في بلاد المسلمين اليوم هو نتاج تراكمي لمشاكل سياسية، والمسلم الحق لا يقبل أن يكون طرفاً من هذا الصراع، والإسلام بريء من مثل هذه الصراعات التي تحرض على سفك الناس دماء بعضهم البعض، فطائفة من المسلمين تحشد وتجهز قواتها، والطائفة الأخرى تحشد وتجهز قواتها، وكلاهما يدعي الجهاد، وضاع الناس بين الطرفين، وكثر القتل بسبب وبلا سبب، وضاعت الحقوق، وتشرد الناس، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " ومن خرج من أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفني لذي عهدها، فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية، يدعو للعصبة، أو يغضب للعصبة، أو يقاتل للعصبة،

¹⁷¹ أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 1، 1400 هـ)، 125/1.

فقتلة جاهلية " ¹⁷²، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قال فقلت: أو قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: إنه قد أراد قتل صاحبه "

173

فأقل ما يقال في قتال المسلمين بعضهم البعض أنه من الجاهلية المقيتة التي لا ترضي الله ورسوله، ودلالة الأحاديث السابقة على ذلك واضحة لا تقبل التأويل والتبرير.

وبعد الحديث عن الاقتتال بين المسلمين اليوم والتعرف على نتائجه على بلاد المسلمين، كان لا بد من الوقوف على الأسباب التي دعت تلك الطوائف إلى الإقتتال، وخاصة في ظل وجود جماعات جهادية تقاتل ضد حكامها أو نصره لهم.

إن المطلع على أفعال تلك الحركات وتصرفاتهم يعلم أن الأسباب الرئيسية للتقاتل بينهم لا يخرج عن نطاق حالتين، الأولى منها: تتعلق بالمسلمين ذاتهم، والثانية تتعلق بولادة أمر المسلمين، ولكي تتضح الصورة لا بد من دراسة كل حالة بالتفصيل حتى تتكون لدينا الصورة التامة لما يعاني منه المسلمون اليوم.

أسباب التقاتل بين المسلمين المتعلقة بعامه المسلمين

أولاً: الجهل بأحكام الجهاد عند الكثير من الناس، حيث أن الجهل كثيراً ما يجعل من الحق باطلاً والعكس صحيح، ولا يخفى أن الجهل بأحكام الجهاد وضوابطه وشروطه في ظل الحروب من أخطر الأمور التي قد تمر على المسلمين، لأن تأثير هذا الجهل ليس على الفرد فحسب، بل على المجتمع بأسره، فكم من شباب

¹⁷² أخرجه الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، 222/16 ، حديث رقم : 10333 ، إسناده صحيح على شرط مسلم .

¹⁷³ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، باب : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، 2213/4 ، حديث رقم :

عُرر بهم فانقادوا إلى صراعات وحروب أزهقت الكثير من الأرواح البريئة عداك عن هدرها لخيرات الأمة.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: " يكون بين يدي الساعة أيام، يرفع فيها

العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل " 174.

ثانياً: علماء السوء الذين ينتهجون منهج التكفير والتأويل الخاطئ للنصوص الشرعية، وليس من

الخطأ إذا قيل أن النسبة الأكبر لأسباب القتال بين المسلمين تعود إلى تلك الفتاوى التي يسردها أولئك

العلماء من غير علم ولا كتاب مبين، لأنهم وفي غالب أحوالهم لا يعتمدون في إطلاق أحكامهم على

النصوص الشرعية، وإنما تنصب كامل اجتهاداتهم بالاعتماد على وقائع ومسائل جانبية، أو على وقائع

وحالات استثنائية خاصة حدثت في أماكن وأزمنة سابقة، لا تتوافق في الزمن الحاضر لا من حيث العلة ولا

من حيث المكان والزمان، حيث إنهم جعلوا تلك الحالات مرجعاً ودليلاً يستندون إليه لإثبات فتاواهم

الخاطئة، متناسين المعنى الصريح للنصوص الشرعية.

لا شك أن الأحكام الاستثنائية تبقى أحكاماً استثنائية مهما تقدم الزمن وتغير الحال، إلا للضرورة،

والأصل أن يُعمل بالأحكام الثابتة الأصلية دون أي تغيير، ومن فعل خلاف ذلك فقد ارتكب الخطأ

والخطيئة، يقول ابن قيم الجوزية: " افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت

دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة وفتنة ابن الزبير وهلم جرأً بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من

المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا

174 أخرج ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، باب : ذهاب القرآن والعلم ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، محمد كامل قره بللي ، عبد اللطيف حرز الله ، (دار الرسالة العالمية ، ط 1 ، 1430 هـ ، 2009 م) ، 174/5 ، حديث رقم : 4050

وسببها التأويل " 175 .

وأما ما يتعلق بمسائل التكفير، فإنه من المسائل التي يعاني منها المسلمون بشكل واضح، وخاصة في البلاد التي اندلعت فيها الحروب الأهلية، كالعراق وسوريا واليمن وليبيا والسودان، حيث أن الكثير من الجماعات الجهادية استغلوا هذا المبدأ، فأدخلوا الناس في الكفر، وتعاملوا معهم على هذا الأساس، وصار المرجع في التكفير الظن والهوى، وبدأ الخلاف يظهر على أرض الواقع، وأصبحت الانقسامات بين الحركات الدينية الجهادية سيدة الموقف.

وفي الفترات الأخيرة أصبح منهج التكفير يعتمد على موالاتة الناس لبعض الحكومات، حيث يتجه التكفير إلى كل من يوالي الحكومات الحالية، لأن هؤلاء في نظرهم كفار، فمن يوالي الحاكم الظالم عندهم فهو كافر، ولا شك أن هذا المنهج يخالف النصوص الشرعية الثابتة.

ولقد نقل العلماء عن السلف الصالح أنهم لو رأوا في شخص احتمال الكفر تسعين بالمئة، واحتمال إسلامه عشرة في المئة، يأخذون بالاحتمال الضعيف ويحكمون له بمقتضاه، ويكفون أمره إلى الله تعالى ولا يكفرونه، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة الذي ينبغي أن يؤخذ به، وخاصة في أوقات الحروب وأوقات إثارة الشبهات والفتن.

إن المتأمل في الفتنة التي حصلت في زمن سيدنا علي كرم الله وجهه، لا يمكن أن يجد ل في تلك الفتنة أي جانب للتكفير، ولما سئل سيدنا علي رضي الله عنه عن الخوارج وعن ماهيتهم، قال: هؤلاء أخوة لنا بغوا علينا.

¹⁷⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1411 هـ، 1991 م) 193/4.

إذن لا يجوز أن يعامل الناس بالظنة، وإنما الحكم عليهم بناء على ما ظهر وتجلي، ولا نعلم خلافاً في ذلك، لكن المسلمون اليوم يتجاهلون هذا الحكم، ويطلقون العنان لألسنتهم بالتكفير على من ينطق بالشهادتين، فهل هذا يتفق مع قوانين الشريعة الإسلامية، والجواب على هذا السؤال يتمثل في الحديث: " عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما "

176

أسباب التقاتل بين المسلمين المتعلقة بولادة الأمر وحكام المسلمين

وبالحديث عن أسباب التقاتل فيما بين المسلمين فيما يتعلق بمدى ارتباط المسلمين بولادة أمورهم الذين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى، فإن الأسباب تدور حول الآتي:

أولاً: الاعتماد على الأحكام الوضعية وترك الحكم بما أنزل الله تعالى

الأصل في تحكيم حياة الناس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والخروج عن هذا الأصل هو الخروج عن الإيمان بالله تعالى، فقد دلت الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة على إلزام الحكام بولادة أمور المسلمين تطبيق أحكام الشريعة على المسلمين، فقد وصف الله تعالى من يحكم بغير ما أنزل الله تعالى بالكافر تارة، وبالظالم تارة، وبالفاسق تارة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

[المائدة: 44].

وفي الآية 45 من نفس السورة فأولئك هم الظالمون، وفي الآية 47 من نفس السورة فأولئك هم الفاسقون، فإن دلت هذه الآيات على شيء فإنما تدل على تشنيع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وأنه في

¹⁷⁶ أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، 158/10، حديث رقم: 5933، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أحسن حالات من لم يحكم بما أنزل الله تعالى الفسق، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: 48]، يقول الإمام الجوزي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: " ولا تتبع أهواءهم، يعني أهل الكتاب، لأنهم دَعَوْه إلى دينهم " 177 .

وبناء على ذلك فإنه لما ظهرت حكومات إسلامية معاصرة استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، ورضيت بتحكيم القوانين الوضعية من قبل اليهود والنصارى، وتخلت عن أحكام الشريعة الإسلامية، فإن حكم الدين الإسلامي في أولئك الكفر والردة، وأوجب على المسلمين قتال تلك الحكومات والخروج عليها ضمن شروط وضوابط مبسطة في كتب الفقه.

لعل الأسباب الحقيقية لقيام بعض الجماعات الإسلامية على الحاكم في بعض البلدان العربية، يعود إلى أن تلك الحكومات قد اعتمدت على الأحكام الوضعية وتركت الحكم بما أنزل الله تعالى، ففي سورية مثلاً، فإن الأحكام المعمول بها في الوقت الحالي هي أحكام القانون الفرنسي، وكذلك الأمر في العراق ولبنان والأردن والكثير من البلاد الإسلامية، وهذا لا شك معارض لمراد الله تعالى، حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 51]، يقول الإمام السمرقندي رحمه الله تعالى: " يعني: من اتخذ منهم أولياء، فإنه منهم يعني على دينهم ومعهم في النار " 178 .

وكل الأعداء التي تقدمها تلك الحكومات هي أعداء وهمية لا تقدم ولا تؤخر في الحكم، حيث إن

¹⁷⁷ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط 3 ، 1404 هـ) ، 279/7 .

البعض من تلك الحكومات يعتذرون بقولهم: إن الضغوطات الغربية التي تمارس عليهم لا تمكنهم بأي حال من تطبيق الشريعة الإسلامية.

ثانياً: ممارسة الظلم على المسلمين والتفرد بالسلطة والوصول إليها بطرق غير قانونية

إن الحاكم الذي يظلم الناس وينهب خيراتهم ويسرق أموالهم، ويسمح للبطانة التي معه بالقيام بنفس الأعمال التي يقوم بها، ويتحالف مع أعداء الأمة ويسلمها أراضيها وخيراتها، ويعتقل خيرة الناس ويزجهم في السجون، ولا يتورع عن استعمال كافة أنواع التعذيب في حقهم، أما يكون ذلك كله كفيلاً في نشوء الحروب والإقتال في صفوف المسلمين.

وبغض النظر عن حكم الإسلام الخروج على مثل ذلك الحاكم الظالم، فإن كثيراً من البلاد الإسلامية شهدت في الآونة الأخيرة حروباً تديرها بعض الجماعات الإسلامية المختلفة، والمرجع في تلك الحروب إلى ما ذكرناه من أفعال الحكام وظلمهم، حيث ترى تلك الجماعات أن الحكام والأئمة الحاليين لم يصلوا إلى الحكم والسلطة بالطرق الشرعية، وإنما وصلوا إليها من خلال البطش والقوة واستعمال السلاح، ومن خلال انتخابات شكلية مزيفة، يحصل فيها الحاكم على نسب مئوية عالية، والحقيقة ليست كذلك، إذ لو حصلت انتخابات حقيقية لا يمكن أن يمثل هؤلاء الشعوب الإسلامية.

ولذلك يرى البعض من العلماء أنه لا بأس من محاربتهم والخروج عليهم، شريطة أن يغلب على ظن الخارجين إزالة فسادهم أو إصلاحهم وعودتهم إلى الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: 105]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " يعني: بما أنزل الله إليك من كتابه، ولا تكن للخائنين

خصيماً، يقول: ولا تكن لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله "خصيماً" تخاصم عنه، وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانته فيه " 179.

توضيح في مسألة الخروج على الحاكم وهل الخارج عليه مجاهد

إن الخروج على الحاكم الظالم من القضايا التي كثر الخلاف حولها، وخاصة عند الخلف، وفي ظل تمادي الكثير من حكام المسلمين في الظلم والطغيان، حتى أصبحت هذه القضية تدار من قبل فريقين من العلماء، فريق تشدد فيها، فحرم الخروج على الحاكم إلا إذا صدر منه أحد المكفرات من غير شبهة، وفريق آخر تساهل بأحكامها، فأجاز الخروج على الحاكم لمجرد ظلمه وفسقه.

لكن وقبل الحديث عن نظرة الفريقين لهذه المسألة، ينبغي التأكيد على أن الإجماع منعقد على أن الخروج على الحاكم الكافر جائز، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: " بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم " 180، فإن الحديث فيه دلالة ظاهرة على جواز عدم طاعة الحاكم الكافر والخروج عليه، والخلاف إنما وقع كما مر في حال ظلم الحاكم وطغيانه.

الفريق الأول: ذهب أصحاب هذا الرأي من العلماء إلى عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، ذكروا منها حديث مالك الأشجعي رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم،

¹⁷⁹ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 176/9.

وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننازلكهم عند ذلك، قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة... ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة " 181.

فقد رأى أصحاب هذا الرأي أن هذا الحديث دليل صريح على عدم جواز الخروج على الحاكم ولو كان ظالماً، ما لم يصدر منهم الكفر البواح، معللين ذلك بأن الكثير من الصحابة الكرام ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين قد ذهبوا إلى عدم جواز الخروج على الإمام ما لم يصدر منه الكفر صراحة، وحتى ولو كان فاسقاً، وذلك: " رعاية لوحدة الأمة، وعدم الفرقة، واجتماع الكلمة، واحتمال أخف الضررين: " 182، كما أورده الشيخ وهبه الزحيلي في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته.

ويرى بعض العلماء المعاصرين من أصحاب هذا الرأي، أن مسألة الخروج عن الحاكم الظالم تحتاج إلى: " ضرورة عرض النزاع القائم بين أهل الشورى والإمام، على هيئة تحكيم عليا محايدة مختصة بشؤون الدستور، مكونة من نوابغ القضاة، وأقطاب القانون الإسلامي في الدولة، منعاً من تفاقم الأزمة التي لا تحل إلا بذلك " 183، وهذا أيضاً نقلاً عن الشيخ وهبه الزحيلي من كتابه الفقه الإسلامي وأدلته.

من خلال ما مر نعلم أن أصحاب هذا الرأي إنما هدفهم أن لا يذهب المجتمع الإسلامي إلى حال أشد سوءاً من ظلم الحاكم وفسقه، فقد ورد في الحديث أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر... قال يكون بعدي أئمة لا

¹⁸⁰ أبو بكر بن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، باب من كره الخروج في الفتنة وتعود منها، تحقيق كمال يوسف الحوت، (الرياض، مكتبة الراشد، ط 1، 1409 هـ)، 464/7، حديث رقم: 37257، صحيح الإسناد.

¹⁸¹ أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، باب، خيار الأئمة وشرارهم، 1482/3، حديث رقم: 66.

¹⁸² وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ط 4)، 317/8.

¹⁸³ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، 316/8.

يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك " 184، ولعل هذا من أقوى الأدلة عندهم بعدم جواز الخروج على الحاكم الظالم.

وهم يقولون بأن مسألة الخروج على الحاكم الظالم ليست من المسائل الخلافية، وإنما وقع عليها الإجماع من كثير من العلماء، وكل من قال خلاف ذلك فقد خالف إجماع الأمة، ومجرد الفسق لا يبرر الخروج عليهم، وينبغي نصحهم وتذكيرهم بتقوى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن الخروج عليهم لا يجوز لأن ذلك يسبب فتنة، ويسبب الوقوع في مشكلة أعظم وأشد من ذلك الظلم الذي يريد أن يخلص المجتمع الإسلامي منه.

وينقلون عن الإمام ابن حجر قوله: " والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء " 185، وإلى هذا ذهب الإمام القرضاوي رحمه الله تعالى حيث يقول: "الواجب هو طاعة ولي الأمر، ومعاونته، والنصح له، ما دام ملتزماً بشرع الله، عاملاً لمصلحة شعبه، غير موالٍ لأعدائه، وإن انحرف في بعض الجزئيات " 186، وغالب ما يمثل هذا الرأي القدامى من العلماء والمفسرين.

الفريق الثاني: ويذهب أصحاب هذا الرأي من العلماء إلى أن الخروج على الحاكم الظالم من المسائل

الخلافية، وأن الإجماع على عدم جواز الخروج عليهم ليس متحققاً، كما أن الخروج على الحاكم ليس من

¹⁸⁴ أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، باب الأمر بلزوم الجماعة، 1476/3، حديث رقم: 52.

¹⁸⁵ أخرجه أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/13.

¹⁸⁶ يوسف القرضاوي، فقه الجهاد، دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط 4، 1435 هـ، 2014 م)، 1099/2، (

القضايا الثابتة بالنصوص القطعية كما يدعي المانعون، فالحديث عندهم عن الخروج على الحاكم إنما هي مسألة ظنية، لا يقع في المحذور من يخالف فيها.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن ما جاء به العلماء القدامى في مسألة الخروج عن الحاكم يناسب الحكام والأمراء القدامى كأمرأ بني أمية وبني العباس، فلم يكن للناس في ذلك الوقت أي مبرر للخروج عليهم، سوى بعض التقصير مما لا يستدعي الخروج عليهم، بل يحتاج إلى الصبر الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديثه.

وأما في العصر الحالي فلا يمكن أن نطبق تلك الأحاديث على الحكام والأمراء الذين يفعلون ما هب ودب من الذنوب والمعاصي في سبيل إذلال المسلمين والسيطرة عليهم، فلا يجب أن نأخذ بظواهر الأحاديث دون التعمق بمضامينها.

ويضيفون بأن تطبيق تلك الأفكار على واقع المسلمين اليوم فهم خاطئ، ولا يتفق مع توجه جمهور العلماء، ويقولون أيضاً: إن المسلمين في القديم والحديث إنما يبايعون الحكام على السمع والطاعة بشرط أن يقوم هؤلاء الحكام بإدارة أمور المسلمين وفقاً للكتاب والسنة، وما دام أن هناك حاكم ومحكوم إذن هناك أمر وطاعة، وهذا يعني أنه كما يجب أن يطاع الحاكم، فكذلك ينبغي إلزام الحاكم بالالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية قهراً.

وبالرجوع إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، ما أقاموا الصلاة)، فإنهم يقولون: ليس المقصود من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام إقامة الصلاة بحد ذاتها، وإنما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لأنها عماد الدين، وفي الحديث " عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به

العبد صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت صلاته فسد سائر عمله " 187، فلا يعقل أن يكون قصد النبي صلى الله عليه وسلم هو ذلك الحاكم الذي يقتصر في عباداته إقامة الصلاة فقط، مع ترك باقي الأحكام والفرائض الشرعية.

ولذلك هم يرفضون تطبيق تلك الأحاديث على أمراء وحكام المسلمين في هذا الزمن، فهؤلاء الحكام باعقتادهم إنما جاؤوا إلى الحكم من خلال قوة السلاح والمال، وبدعم حقيقي من قوى خارجية تترصد الشر للإسلام والمسلمين.

ويستدلون في رأيهم هذا على الحديث الذي رواه الإمام الطبراني عن أبي سالة السلمي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون ويسبون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحكم وتصدقوا كذبكم فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد " 188، ونجدهم أيضاً يعتمدون في رأيهم على قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في مجلس جمعه مع الأنصار والمهاجرين، إذ يقول: " أرايتم لو ترخصتم في بعض الأمور ما كنتم فاعلين ... فسكتوا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً ... فقال بشير بن سعد لو فعلت زاد ابن أبي شريح ذلك وقال قومناك تقويم القدح فقال عمر أنتم إذا أنتم " 189.

فهذه الأدلة التي أوردها الذين أجازوا الخروج على الإمام الظالم والحاكم الطاغية، تبين بما لا يدع

¹⁸⁷ أخرجه أبو علي الحسن بن علي بن نصر الطوسي ، مختصر الأحكام = مستخرج الطوسي على جامع الترمذي ، باب ما جاء أول ما يحاسب به العبد ، تحقيق : أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي ، (المدينة المنورة ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط 1 ، 1415 هـ) ، 365/2 .

¹⁸⁸ أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير ، باب من يكنى أبو سالة ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، (القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ط 2 ، 1415 هـ) ، 362/22 ، حديث رقم : 910 .

¹⁸⁹ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، (بيروت : دار الفكر ، 1415 هـ ، 1995 م) ، 292/10 .

للشك مكاناً مشروعياً عدم إطاعة الحاكم الظالم، بل ينبغي محاربتة وخلعه لأنه ترك الحكم بما أنزل الله تعالى، وحكم بما اجتهد الإنسان بوضعه من أحكام قد تكون موافقة للشريعة الإسلامية في بعضها القليل، والكثير الغالب يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويوضح أصحاب هذا الرأي أننا لو فرضنا جدلاً أن حكام البلاد الإسلامية لم يخرجوا عن الإسلام بكفر بواح، فإن أقل القليل القول فيهم أنهم من الظلمة والفسقة، والأدلة التي تم ذكرها تنطبق تماماً عليهم، وأنهم لم يحكموا بما أنزل الله تعالى، ويكفي القول في حقهم أنهم نهبوا خيرات الأمة الإسلامية على حساب فقراء الأمة ومساكينها، وسجنوا وعذبوا ظلماً وعدواناً كل من عارضهم.

وفي هذه الأدلة كفاية لمشروعية الخروج عليهم، وأن الأدلة التي جاء بها من لم يجز الخروج على الحاكم الظالم إنما هي أدلة اعتمدت في مجملها على التأويل، ولا تنطبق على حكام المسلمين اليوم، وأن ما ذكره الفقهاء من شروط حاكم المسلمين لا تنطبق على حكام المسلمين اليوم، وهم في أحسن أحوالهم من العملاء للدول المعادية للإسلام والمسلمين، وفي مقدمتهم الدول الغربية.

رأي الباحث

يرى الباحث أن هذه المسألة من أهم المسائل التي طرأت على البلاد الإسلامية لجسيم خطرها، في ظل غياب تام لمرجعية شرعية تلزم جميع المسلمين بالخضوع لأحكامها، وعلى علماء المسلمين من الفقهاء والمفسرين أن يعيدوا النظر في تلك الفتاوى التي تصدر من فئات جهادية من المسلمين، دون التحقق منها ومن مقاصد الأدلة التي اعتمدوا عليها.

ويضيف الباحث قوله: يجوز القيام على الحاكم الظالم ضمن عمل منظم، وتحت راية معلومة من أجل تحويل حال المسلمين إلى الأفضل، شريطة أن يغلب على ظن الخارجين أن خروجهم لن يعرض أرواح الناس

وممتلكاتهم إلى الخطر، وإلا فلا يجوز.

متى يكون الاقتتال مشروعاً فيما بين المسلمين

إن الاقتتال بين المسلمين في جميع أحواله، سواء أكان من الإقتتال المحرم أو الإقتتال المشروع لا يعتبر من الجهاد في سبيل الله تعالى، لأن الجهاد إنما يكون ضد الكفار والمشركين، من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر الدعوة الإسلامية، وهذا ما لا يتوفر في حالات الحروب التي تنشأ فيما بين المسلمين أنفسهم، وما يهم في هذا المقام هو توضيح حالات الاقتتال المشروع بين المسلمين.

فما هي حالات الاقتتال المشروع فيما بين المسلمين:

من خلال إطلاع الباحث على الكثير من المصادر والمراجع الفقهية والمتخصصة في التفسير والحديث وغيرها فإنه تم حصر الاقتتال المشروع بين المسلمين في ثلاث حالات، وهي: محاربة البغاة - وهو ما يعبر عنها بالحراية - القتال من أجل الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية - القتال من أجل الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة.

وما يهم في هذا المقام هو التعرّب بالدرجة الأولى على محاربة البغاة، وقاتل أهل الحراية، و القتال من أجل الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة، وهل يعتبر محاربة هؤلاء وقتالهم من الجهاد في سبيل الله تعالى أم لا؟، هذا ما سيتم مناقشته في الآتي.

أولاً: محاربة البغاة

البغاة فرقة من المسلمين امتنعت عن أداء الحقوق والواجبات المترتبة عليهم بهدف السيطرة على نظام الحكم في بلد من بلاد المسلمين، من خلال تكوين قوة تستطيع من خلالها الوصول إلى أهدافها، وهذا ما يعبر عنه في الزمن الحالي بالإنقلاب، أو الثورات المسلحة، أو الحروب الأهلية، أو استخدام الأسلحة لتحقيق

مكاسب سياسية، بتأويلات صحيحة في نظرهم، لكنها فاسدة في الدين، فقد عرف الإمام الزيلعي رحمه الله تعالى البغاة بقوله: " طائفة من المسلمين يخرجون على الإمام، ولهم قوة وشوكة ومنعة، ويخالفون بعض أحكام المسلمين بالتأويل، ويظهرون على بلدة من البلاد " 190 .

والحكم الشرعي في هؤلاء أن الله تعالى أوجب قتالهم وردعهم، دون تكفيرهم، فهم في نهاية المطاف من المسلمين، وقاتلهم يختلف عن قتال الأعداء من غير المسلمين، لأن قتال الأعداء من الكفار والمشركين يهدف إلى قتلهم والانتصار عليهم، أما أهل البغي فالهدف في قتالهم يتمثل في ردعهم وكف خروجهم على قوانين الأمة الإسلامية وليس من أجل قتلهم.

وكما تم ذكره آنفاً، إن قتال البغاة جائز شرعاً، لكنه ليس من الجهاد في سبيل الله تعالى، إلا إذا خرج البغاة عن الإسلام، فقد " سئل علي رضي الله عنه عن أهل الجمل، أمشركون هم قال: من الشرك فروا، قيل أمنافقون هم، قال: إن المنافقين لا يذكرهم الله إلا قليلاً، قيل فما هم ؟ قال: إخواننا بغوا علينا " 191 ، وفي رواية أخرى: " إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم وقد فاءوا وقد قبلنا منهم " 192 .

ثانياً: قتال أهل الحراية

والحراية: فرقة من المسلمين يعملون على السرقة وسلب الناس أموالهم بقوة السلاح، وغالباً ما ينتشرون في طرقات القرى البعيدة عن المدن، ويقيمون في مناطق غير مأهولة بالسكان بعيدة عن أعين الناس،

¹⁹⁰ عثمان بن علي بن محجن البارع، فخر الدين الزيلعي الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلي، (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط 1، 1313 هـ)، 3/182 .

¹⁹¹ أخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب الدليل على أن الفئة الباغية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة، دار الباز، 1414 هـ، 1994 م)، 8/173، حديث رقم: 16490 .

¹⁹² أخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب أهل البغي إذا فاءوا لا يتبع مديهم، 8/182، حديث رقم: 16530 .

وبذلك تسود حالة من عدم الاستقرار والخوف بين الناس، يقول اليعربي في صفة أهل الحراية: " الحراية كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه يتعذر معه الاستغاثة عادة، كإشهار السلاح والخنق وسقي السكران لأخذ المال، وإن قتل عبداً أو ذمياً على ما معه وإن قل فهو محارب " 193 .

والذي ينبغي في حق أهل الحراية قبل قتالهم الدعوة إلى الرجوع عن أعمالهم وترك السلاح، فإن أجابوا فبه، وإن لم يستجيبوا حوربوا، فإن محاربتهم وقتالهم لا شبهة فيه، ولكنه لا يدخل تحت الجهاد في سبيل الله تعالى كما مر، إلا إذا خرج أهل الحراية عن الإسلام.

ثالثاً: القتال من أجل الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة

ونقصد بالممتلكات العامة والخاصة كل ما يمكن أن ينتفع به المسلمون، سواء أكانت تلك المنفعة مادية أو معنوية، والممتلكات المقصودة قد تكون فردية، وقد تكون عامة، أي ترجع ملكيتها إلى الأمة الإسلامية، ومن المعلوم فإن الشريعة الإسلامية قد أجازت القتال من أجل الدفاع عن تلك الممتلكات بشقيها العامة والخاصة.

أما الممتلكات العامة: فإن قتال من يعتدي على أي منها مشروع بنصوص الشريعة، وهذا القتال ليس جهاداً وإنما له أجر الجهاد، ومن صور الاعتداء على الممتلكات العامة الاعتداء على المؤسسات الحكومية التي تقوم بتسهيل معاملات المسلمين، وسرقة ما ينتج عنها من أموال ومكتسبات، كمؤسسات الكهرباء والماء ومؤسسات الإتصال، وكذلك الاعتداء على الأموال العامة كالمدارس والمستشفيات والمساجد والطرق.

¹⁹³ إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعربي، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، ط 1 ، 1406 هـ ، 1986 م) ، 267/2 .

وفي الآونة الأخيرة انتشر بشكل كبير مثل تلك الاعتداءات في المجتمعات الإسلامية، فكان من الضروري أن تحافظ تلك الدول على الممتلكات العامة، من خلال زيادة الاهتمام والتخطيط، حتى لو اضطرت الأمر إلى قتال المعتدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه " 194 .

وأما الممتلكات الخاصة: فالقتال في سبيل الدفاع عن الممتلكات الخاصة جائز ومشروع، بل الإسلام دعا إلى المحافظة على ممتلكات المسلمين، وأعطى الأجر الجزيل لمن مات دونها، وهو ما يسمى عند العلماء والفقهاء: دفع الصائل، ويتمثل دفع الصائل في الدفاع عن النفس، والمال، والعرض.

فالقتال دفاعاً عن النفس والمال والعرض واجب قرره الشريعة، لأن الاعتداء عليها من أقبح الذنوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ... كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه " 195 .

وهذا ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من أن الصائل يقاتل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أ رأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك، قال: أ رأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أ رأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أ رأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار " 196 .

194 أخرجه عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ، سنن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، باب في الخطبة يوم النحر ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ط 1407 هـ) ، 93/2 ، حديث رقم : 1916 .

195 أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، 1986/4 ، حديث رقم : 32 .

196 أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر ، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال ، 124/1 ، حديث رقم : 225 .

رأي الباحث

ومما سبق يرى الباحث النقاط التالية:

إن الاقتتال بين المسلمين في جميع أحواله، سواء أكان من الإقتتال المحرم أو الإقتتال المشروع لا يعتبر من الجهاد في سبيل الله تعالى، كما تدعي بعض الفرق الإسلامية.

البغاة فرقة من المسلمين امتنعت عن أداء الحقوق والواجبات المترتبة عليها بهدف السيطرة على نظام الحكم في بلد من بلاد المسلمين، من خلال تكوين قوة تستطيع من خلالها الوصول إلى أهدافها

والخرابة: فرقة من المسلمين يعملون على السرقة وسلب الناس أموالهم بقوة السلاح، وغالباً ما ينتشرون في طرقات القرى البعيدة عن المدن، ومحاربتهم لا تعتبر من الجهاد وإنما من مهام الدولة، ولا شك أن من قتل أثناء ذلك فله أجر الشهيد بإذن الله تعالى.

إن قتال الصائل مشروع في الإسلام، إلا أنه لا يعتبر من الجهاد أيضاً، ومن مات دون ذلك فله أجر الشهيد في الآخرة بإذن الله تعالى.

المطلب الرابع: مفاهيم أخرى للجهاد عند المفسرين القدامى والمحدثين

تمت الإشارة إلى أن المفسرين وخاصة المحدثين منهم قد تعمقوا في مفهوم الجهاد اللغوي والاصطلاحي، وأتوا بمعان كثيرة للجهاد، ونحن بصدد دراسة تلك المعاني الحديثة التي ذكروها من خلال دراسة موضوعية، فإلحاطة العامة بتلك التفاسير لا تقتصر على المعنى العام للفظ الجهاد فقط، وإنما تتعداها إلى معان أخرى وردت في التفاسير وفي كتب الفقه والأحاديث.

إذا أسقطنا مفهوم الجهاد فقط على تلك الحروب التي يخوضها المسلمون ضد الكفار والمشركين نكون بذلك قد جانبنا الصواب، لأن كلمة الجهاد قد تجاوزت معناها العام لتكتسي بجملة جديدة ذات تأويلات منطقية قبل بها جمهور من العلماء في العصور الحديثة.

وقبل بدء الحديث عن هذه المفاهيم الجديدة لا بد من التذكير بأن الباحث قد ذكر أثناء الحديث عن مفاهيم الجهاد عند القدامى من المفسرين أربعاً من المفاهيم الأخرى للجهاد، وهي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، والجهاد ضد المثبتين، والجهاد ضد الأعداء من الكفار والمشركين، وأما في هذا المقام يتم ذكر المفاهيم الأخرى للجهاد عند المفسرين المحدثين، القليل من هذه المفاهيم توافقت مع القدامى من المفسرين، وغالبها اختصت عند المعاصرين من المفسرين.

فما هي المفاهيم الجديدة للجهاد عند المفسرين القدامى والمحدثين:

المفهوم الأول: الجهاد بمعنى القتال

كنا قد تكلمنا عن هذا المفهوم مطولاً أثناء الحديث عن أنواع الجهاد، وإنما أعيد ذكره في هذا المقام لتوضيح الملابس التي أثيرت حوله، ولكي نحصر مفاهيم الجهاد دون الخروج عن حدودها من غير زيادة أو نقصان.

إن الجهاد القتالي ليس لإرغام الناس على الدخول في دين الإسلام كما يتصوره كثيرون، وإنما الباعث الذي يجعل من الجهاد القتالي أمراً واقعياً هو درء الحراة، وهي بمعناها العام التخطيط للاعتداء على المسلمين، أو الإعتداء فعلاً عليهم، سواء صدر ذلك من وثنيين أو ملحدين أو من أهل الكتاب.

فلو تبين للمسلمين أن فئة من العدو يخططون للاعتداء، وأنهم يبيتون مداومة بلاد المسلمين، عندها تكون مواجهتهم وقتالهم أمراً مشروعاً، لأنهم يبيتون الشر ويخططون له وإن لم يبدووا به، وهذا الحكم اتفق عليه العلماء في العصور القديمة والحديثة، يقول الدكتور البوطي: " استقر حكم الجهاد في الإسلام. وهذا هو واجب المسلمين في كل عصر إذا توفرت لديهم القوة والعدة اللازمة " 197.

لا يمكن حصر الجهاد بالذين يقاتلون في ساحات المعارك والذي يحملون الأسلحة، بل الجهاد يتعدى ذلك ليدخل تحته كل من له صاع به، فالذي يخطط ويدير الأمور، والذي يمد الجنود بال سلاح والزاد، والذي يداوي الجرحى، والذي يدافع عن الإسلام والمسلمين بالكلمة، والذي ينشر الإسلام في بلاد غير المسلمين، وغيرهم كثير، فهؤلاء كلهم مجاهدون يعملون من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.

يظهر جلياً أن موضوع الجهاد من المواضيع التي اكتسبت أهمية قصوى في حياة المسلمين، حيث إن الشريعة الإسلامية اعتبرت التهاون به نوعاً من أنواع ظلم الفرد والمجتمع، لأن من نتائج التهاون ضعف الأمة الإسلامية وسيطرة الوهن والذل عليها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 146].

إذن تتمحور وظيفة الجهاد لردع المعتدين والأعداء الذين يتربصون بالدعوة الإسلامية، لأن المسلمين مكلفون بأن يذهبوا إلى كل بلاد الدنيا لتبليغ الدعوة الإسلامية من خلال الحوار والمناقشة والبيان، كما فعل

197 محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، (دمشق : دار الفكر ، ط 25 ، 1426 هـ) ، ص 126 .

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندما أرسل سبعين صحابياً من أصحابه الكرام للتبليغ إلى بلاد نجد، وقُتلوا جميعاً " 198، وبالتأمل في هذه الحادثة نرى أن المهمة التي أوكلها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي للتبليغ وليس لأجل الاعتداء على تلك البلاد، لكن عندما يواجه المسلمون أثناء دعوتهم الاعتداء والصد عنها يأتي دور الجهاد القتالي، وهو كما قلنا لردع الاعتداء، ولأجل ذلك شرع الجهاد القتالي في سبيل الله تعالى ضمن ضوابط وقيود واضحة، وهذا الجهاد في حق الكافرين والمشركين على حد سواء.

وهنا لا بد من توضيح مسألة من الأهمية بمكان، وهي أن بعض المسلمين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين من خلال الدعوة إليه، يطالبون في المنتديات والاجتماعات المختلفة بطي الجهاد القتالي من أذهان المسلمين، معتبرين أن ترديد هذا المعنى من الجهاد هو كالعار حلّ في رؤوس المسلمين.

ويزيدون في قولهم إن ترديد الجهاد القتالي على الألسنة جعل دول العدو يعمدون لآتھام الإسلام والمسلمين بالإرهاب، دون أن يعلموا أن ترديد مثل هذا الكلام إنما يدل على فهم متراجع، وجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية، لأن الجهاد القتالي عبارة عن ردع ظلم ونشر عدل.

وما الفتوحات التي حصلت في الماضي في بلاد الشام أم بلاد مصر إلا أكبر دليل على ذلك، حيث إن الفتوحات آنذاك لم تكن تستهدف أهالي تلك البلاد بقدر ما كانت تستهدف المستعمرين الذين مارسوا كل أنواع الظلم في حق أهل تلك البلاد، كبلاد الشام مثلاً، وكذلك الأمر في مصر حيث كان توجه المسلمين إلى مصر لتطهير تلك البلاد من المستعمرين الرومان، الذين أراقوا دماء الناس بوحشية لم يعرف التاريخ مثلها، والدليل على هذا أن أهل بلاد الشام وكذلك أهل مصر كانوا فرحين بتلك الفتوحات التي قام بها المسلمون في

198 محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص 186 بتصرف.

ذلك الوقت، ومنهم من دخل في الإسلام ومنهم من بقي على دينه القديم.

نعلم مما سبق أن الجهاد الحربي والمختص بالقتال إنما شرعه الله تعالى للدفاع عن الحقوق، ومنع الإعتداء، يقول رشيد رضا: " إن القتال الواجب في الإسلام إنما شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها " ¹⁹⁹، والمتأمل يرى أن جميع الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لأجل الدفاع عن الحق وإعادة الحقوق لأصحابها، كما أن الصحابة الكرام انتهجوا نهج النبي صلى الله عليه وسلم في المقصد والغاية، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ [البقرة: 190]، فالجهاد هو لضمان قوة الدولة الإسلامية، التي هي بدورها تحفظ حقوق الناس بكافة أطيافهم وأديانهم، وعلى ذلك تبنى الحياة البشرية، وإلا لا خير في دولة لا تستطيع أن تحفظ الحقوق سواء لنفسها أو لمن يعيش تحت إمرتها، وخاصة في الزمن الحاضر، إذ بدأنا نسمع ونرى أنواعاً من الظلم والاعتداء تفوق كل التوقعات.

المسلمون ليسوا منغلقيين على عقائدهم، وليسوا أهل إرهاب وعدوان كما يصورهم الأعداء في معرض حديثهم عن الجهاد، لأن الإسلام بمضامينه وأحكامه وشرائعه إنما يهدف إلى الخروج من تلك المفاهيم العدوانية الضيقة إلى مفاهيم تحقق السعادة للبشرية جمعاء، السعادة الدنيوية منها والأخروية، وليس في الإسلام شيء يدل على غير ذلك.

فالجهاد ليس غاية بل هو وسيلة لتحقيق غاية، وهو جهاد النفع لكل الناس، مع التأكيد على أنه إذا كان هناك طريق غير الجهاد لبلوغ تلك الغاية، فإنه مقدم على الجهاد وعلى القتال، قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

¹⁹⁹ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 10/248 .

خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿110﴾ [آل عمران: 110]، يقول الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى

في المغني: " ووجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد، إذا المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من

الشهادة، وأما قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد "

200

وبناءً على ذلك فإن الجهاد والثبات عليه بالمفهوم الذي مر آنفاً يصل بالإنسان المسلم إلى السعادة

في الدنيا والآخرة، ويوصله إلى الغاية الأسمى التي يسعى إليها جاهداً، وهي بلوغ محبة الله عز وجل، قال

تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران:

142]، يقول الإمام السمرقندي رحمه الله تعالى: " بين للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء في ذات الله لكي

يصبروا ويحتسبوا ... يقول: أظنتم أن تدخلوا الجنة بغير شيء قبل أن يصيبكم من الشدة في ذات الله ...

ويقال: ولما يظهر جهاد الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الذين يصبرون عند البلاء، ويقال: ويعلم الكارين

أي غير الفارين عن القتال " ²⁰¹، فالآية تدل على أن المؤمنين معرضون للإمتحان والبلاء من الله تعالى، وذلك

من أجل أن يعلم الله تعالى الذين استجابوا للجهاد من الذين قعدوا عنه، يقول جلال يلدرم في تفسير:

"مقياس السعادة في الدنيا والآخرة الصبر والجهاد في مشقات الدنيا" ²⁰².

ومن المعلوم أن جهاد النفس وجهاد المال لا يختلف أحدهما عن الآخر، فالآيات التي ذكر فيها

الجهاد النفس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجهاد المال، والجهاد القتالي لا يتم إلا من خلال الإمداد بالمال، والآيات

²⁰⁰ شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ، 1994 م)، 9/6.

²⁰¹ السمرقندي، بحر العلوم، 253/1.

²⁰² Celal Yıldırım, *İlmin Işığında Asrın Kur'an Tefsiri*, Anadolu Yayınları, İstanbul, trs., II/1083.

التي تحدثت عن الجهاد في غالبها اشتملت على كل من جهاد النفس وجهاد المال، فبين هذه المفاهيم من الجهاد ترابط لا يمكن الإستغناء عن أحد منها.

المفهوم الثاني: الجهاد لأجل الدفاع عن الدين

يعتبر الدفاع عن الدين من أهم معاني الجهاد في الفكر الإسلامي، فهو واجب في حق المسلم، والدفاع عن الدين منزلة متأخرة عن الجهاد القتالي، لأنه قد يدافع الإنسان عن دينه من غير قتال، ولذلك فإنَّ الجهاد القتالي أعمُّ من الجهاد دفاعاً عن الدين، لأنَّ القتال له أسباب كثيرة مختلفة، فقد يكون القتال لاسترداد حق مُغتصب، أو لحفظ حدود البلاد الإسلامية من الاعتداء، أو لردع فئة باغية، وغير ذلك.

إن الجهاد الجهاد دفاعاً عن الدين يشتمل على عدد من الغايات، منها إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر الاسلام، والدفاع عن أهله في تأمين حقوقهم، وفي واقع الأمر فإن الدفاع عن الدين أحد مفاهيم القتال، إذ كل دفاع عن الدين قتال، وليس كل قتال دفاعاً عن الدين.

لا بد من تهيئة الحماية اللازمة لهذا الدين، بما يمكن المسلم من ممارسة شعائر دينه دون صدّ من أحد، بحيث يعمل على نشر الدعوة والدفاع عنها، وهذه الحماية غالباً ما تكون بواسطة الجهاد، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " تلك الشعائر والعبادات لا بد لها من حماية تدفع عنها الذين يصدون عن سبيل الله وتمنعهم من الاعتداء على حرية العقيدة وحرية العبادة ... وتمكن المؤمنين العابدين العاملين من تحقيق منهاج الحياة القائم على العقيدة، المتصل بالله، الكفيل بتحقيق الخير للبشرية في الدنيا والآخرة " 203.

لذلك فإننا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن المجاهد الذي قُتل دفاعاً عن دينه يموت

شهيدياً، ومعلوم ما للشهيد من أجر عظيم عند الله تعالى، ففي الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله، أو دون دمه، أو دون دينه فهو شهيد " 204.

في السياق نفسه نجد أن الجانب المادي وسيلة من وسائل الجهاد من أجل الدفاع عن الدين أيضاً، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَهَاجِرٌ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: 172]، فمعنى الدفاع عن الدين ليس محصوراً بمعنى واحد، وإنما يشتمل على عدة معانٍ، ومن بين هذه المعاني الإنفاق في سبيل الله دفاعاً عن دين الله تعالى، ونصرة النبي عليه الصلاة والسلام، والوقوف في وجه كل من يريد إيذائه، فكل هذا يندرج في إطار الدفاع عن دين الله تبارك وتعالى، يقول رشيد رضا: " فأما ما كان منه بالأموال فهو قسمان: إيجابي: وهو إنفاقها في التعاون والهجرة، ثم في الدفاع عن دين الله ونصر رسوله وحمائته، وسليبي: وهو سخاء النفس بترك ما تركوه في وطنهم عند خروجهم منه، وأما ما كان منه بالنفس فهو قسمان أيضاً: قتال الأعداء، وعدم المبالاة بكثرة عددهم وعددهم " 205.

والجهاد المادي دفاعاً عن الدين يشمل إعداد الجيش في نفقات التدريب والتسليح والتنظيم، وتجهيز القيادات التي تدير هذا النوع من الجهاد، وما الحافظ الذي أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، إلا لتكون الأمة الإسلامية أعلى الأمم وأقواها، لأن الدين الإسلامي بتشريعاته السمحة يجعل من الإنسان المسلم مثلاً للإيمان والطاعة والصبر والشجاعة والإقدام، يقدم ما بوسعه للدفاع

²⁰³ سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 4/2424.

²⁰⁴ أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ، 2009 م)، 151/7 حديث رقم: 4772.

عن دينه وإظهار الحق وكسر أهل الباطل.

وما الفتوحات الإسلامية التي حصلت في الماضي ووصلت إلى شتى بلدان العالم إلا نتيجة حتمية لحرص المسلمين على دينهم، ونشره في جميع بقاع الأرض، يقول الله تعالى في حقهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: " إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلته، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده " 206.

هذا هو الأسلوب الذي ينبغي على المسلمين أن يتتهجوه في دفاعهم عن الدين في وجه أعدائهم، بعيداً كل البعد عن جعل الجهاد مطية لبلوغ مآرب دنيوية لا ترضي الله تعالى في غالب أحوالها.

إن الرعييل الأول من المسلمين كانوا أطهر قلباً، وأحسن حالاً، لم يكن همهم تحصيل القوة وتأمين الأسلحة للحصول على المزيد من متع الدنيا، وإنما كان همهم الأول كيف سيحمون هذا الدين الذي يكفل لهم العز والقوة، لا يجول في خاطرهم إلا أحد أمرين: إما نصر يعز به المسلمون وترتفع به رايات الإسلام، وإما شهادة تفتح أمام المجاهد أبواب الجنة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: 7].

²⁰⁵ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 10/93 .
²⁰⁶ عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار إحياء الكتب العربية) ، 95/9 .

المفهوم الثالث: الجهاد الإصلاحي

ونحن بصدد الحديث عن الجهاد الإصلاحي لا بد من التنبيه على أن ما نريد توضيحه من هذا المفهوم هو الإصلاح الذي لا يتعارض والنصوص الشرعية، ولا يخرج عن روح التشريع، فالمعني في هذا المفهوم الجديد للجهاد تلك المساعي التي يقوم بها المسلمون - كل بحسب موقعه - للنهوض بالأمّة دينياً وفكرياً واقتصادياً وسياسياً.

أما ما تنادي به بعض الحركات الإصلاحية الحديثة، - ونقول الحركات الإصلاحية نزولاً على تسمية نفسها بذلك -، من إعادة تفسير النصوص الشرعية وتأويلها بما يوافق متطلبات العصر الحديث، وتحديد الخطاب الديني وفقاً لتغير المكان والزمان، حتى وصل بهم الحال إلى المناداة بالعلمانية التي تستند في حقائقها على فصل الإسلام والدين عن السلطة والدولة، فلا شك أن الجهاد الإصلاحي بهذا المعنى مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنه في الحقيقة امتداد لمساعي المستشرقين في توسيع الفوهة فيما بين المسلمين أنفسهم، ليسهل السيطرة عليهم، ونشر الأفكار الخبيثة التي تغذي مشروعهم التوسعي، بهدف السيطرة على خيارات الأمّة وممتلكاتها.

ولا يخفى أن هذا من مظاهر الانحلال والهوان الذي جعل من المسلمين في كل بقاع الأرض أمة تابعة لكثير من الحضارات المزعومة الغربية، مما دعا كثيراً من المفكرين الإسلاميين لأن يعيدوا النظر مجدداً حول طرق الإصلاح والوسائل التي ينبغي أن يتبعوها حتى يصلوا إلى هدفهم المنشود، فظهرت طرق كثيرة أمامهم، متباينة ومتعارضة في أغلبها، يخالف بعضها بعضاً في كثير من الأحيان، وكل منهم يظن أنه صاحب الهداية والرأي الذي سينقذ الأمّة.

ومن المؤسف القول إن الأفكار التي أتوا بها مقتبسة من الحضارات الغربية وعلى حساب الحضارة الإسلامية إن صح التعبير، ففي خضم هذه التجاذبات ظهرت مدرستان، واحدة تنادي باتباع مبادئ الحضارة الغربية في الحرية وحقوق الإنسان، وانتهاج المنهج الغربي في إدارة الاقتصاد والسياسة والعمل العسكري، والأخرى تقول بأن الحضارات الغربية ما هي إلا حضارات خالية من أي مظاهر تساعد البشرية على التقدم والتطور، وأن هذه الحضارات لا يمكن أن تأخذ بالأمة إلا إلى طريق الهلاك الذي بدأ يظهر في الغرب من خلال الفساد الأخلاقي والاستعماري واستغلال ثروات الدول.

أما المدرسة التي عارضت التوجه إلى الحضارات الغربية فإنها ترى أن الإسلام بتعاليمه هو المرجع الوحيد للوصول إلى الهداية في كافة المجالات، وهذه المدرسة برغم تعدد مذاهبها وأفكارها، إلا أنها متفقة على ضرورة الإصلاح الذي يكفل للأمة الإسلامية العودة إلى مكانتها الرائدة بين الأمم.

ومع ظهور هاتين المدرستين أصبح جمع الأمة على رؤية واضحة للإصلاح تصبّ في مصلحتها بعيدة المنال، مما أدى إلى تبعث الجهود المبذولة، وأصبحت تلك الجهود خاضعة لعوامل كثيرة، قيدت فاعليتها وتأثيرها، فكثر الدعوات المتباينة في الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون إلى دعوة واحدة تصلح حال المجتمعات الإسلامية.

نعم قد يتم قبول قول بعض من ينادي بهذا المفهوم، لكن في واحدة من جزئياته، وهي الجهاد الإصلاحي الذي يؤدي إلى التوافق بين أبناء الأمة الإسلامية بجميع أطرافها، وعلى جميع الأصعدة، وفي مقدمتها الصعيد الديني والسياسي، ومن ثم الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والأسري، بحيث يكون العمل تحت راية واحدة ولهدف واحد.

فلا ضير إذا رأى بعض المفسرين والمفكرين في العصر الحديث مفهوماً جديداً للجهاد، يتمثل في الجهاد الإصلاحي، لأن هذا المفهوم وإن لم يتحدث به القدامى من المفسرين إلا أنه يتوافق في تلك الجزئية التي تحدثنا عنها مع ما تطمح إليه المجتمعات الإسلامية، ونعتقد أن هذا الطموح وإن لم يذكر بهذا الصيغة في المصادر الإسلامية، إلا أنه لا يخالف في مضمونه النصوص الشرعية، بل إن هذا المفهوم الجديد للجهاد - من المنطلق الإصلاحي للمجتمعات - يطمح بألوليته إلى العلو والسمو بالأمة ليصل بها إلى أسمى وأعلى درجات العلم والمعرفة، وبذلك يخلصها من ظلمات الجهل والاضمحلال والفساد.

وبناءً عليه فإن هذا المفهوم الجديد للجهاد يؤثر في إعادة تنظيم المجتمع، ويحرك هممة المسلمين نحو التقدم الثقافي والفكري في مواجهة التفرقة التي تعصف بالأمة الإسلامية دولاً وشعوباً، يقول علي الطنطاوي في كتابه ذكريات: " عليّ أن أولف وأكتب، وأن أنقد الأخلاق والكتب والعادات، وأن أسهم في الجهاد الإصلاحي، وأن أحمل القسط الذي أطيقه من أنقال الأمة، ومن ذا يحمله إذا لم أحمله أنا وأمثالي من الموظفين والمتعلمين؟ وكيف تتقدم الأمة وتسير في طريقها إلى غايتها إذا لم تجد من أبنائها من يحمل أثقافها " ²⁰⁷، ومن هنا كان لا بد من الإجابة عن الأسئلة التي تتراود في الأذهان حول ماهية هذا الجهاد، و من هم الأشخاص المعنيين به، وما هو هدفه.

لعل هذه الأسئلة تفتح الطريق من أوسع أبوابه للتعمق في مفهوم الجهاد الإصلاحي قياساً لما ورد في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة وما كان عليه الصحابة الكرام والتابعين من بعدهم، وهذه الأسئلة تجعل من عصر النبوة وما تلاه من العصور الأولى للإسلام مثلاً يُتخذى به في معرفة قدرات الأمة الإسلامية

²⁰⁷ علي بن مصطفى الطنطاوي، ذكريات، تصحيح: مجاهد مأمون ديرانية، (جدة: دار المنارة، ط 5، / 1427 هـ، 2006 م)، 228/3.

على النهوض والعمل بالإصلاح، من خلال التعرف على مكامن التقصير في الزمن الحاضر والعمل على تلافيتها بشتى الوسائل المتاحة.

إن الهدف الحقيقي لهذا المفهوم من الجهاد هو السمو والرفي بالأمة، عن طريق نشر المعرفة والعلم، ولا شك أن هذه الوظيفة موكولة بكل شخص ينتمي إلى هذه الأمة، ولاسيما المفكرين ورجال العلم، إذ يجب توحيد الجهود وتكثيفها من قبل كل من ينتسب لهذه الأمة، من أفراد وجماعات، ودون الاقتصار على دور الدولة في الإصلاح.

ويجب الإحاطة بالأسباب الأساسية التي توصل الأمة إلى مبتغاهما، والتي تتمثل في تبادل الأفكار والمعلومات والخبرات بين الناس، فكلّ يقدم بحسب مكانته وقدراته، فرجال العلم والدين يعملون على نشر الثقافة والعلم بين الناس، وأصحاب الأموال يقدمون ماتيسر من أموالهم لأجل تأمين الطرق الفعالة لنشر العلم، من خلال تأمين المستلزمات الأساسية عن طريق فتح المدارس ودعمها بموارد تنمي المواهب والمهارات، وبذلك يكون كل شخص قد ساهم بالطريقة التي يستطيعها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122]. يقول محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية، إن فيها: " زيادة حكم طلب العلم والتفقه في الدين وهو آلة الجهاد بالحجة والبرهان، الذي عليه مدار الدعوة إلى الإيمان وإقامة دعائم الإسلام " ²⁰⁸، فالآية ذكرت صنفين من أصناف الناس، الصنف الأول يجاهد في ساحات القتال دفاعاً عن الأمة الإسلامية، والصنف الثاني متعلق بجهاد

²⁰⁸ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 11/62

الإصلاح بالعلم والغوص بتعاليم الدين وأحكامه، ومن ثم نشره بين المسلمين لتمكين الصلوات الاجتماعية بينهم على أساس متين من الإيمان بالله عز وجل، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، فقد أمر الله بالدعوة إلى دينه وأمر كل مسلم بالإحاطة بطرق هذه الدعوة، واتباع الأساليب الصحيحة، مع معرفة الأوقات المناسبة لها، وهذه الآية متممة لأحكام الجهاد بالقتال.

يقول محمد عبده: " إن الله تعالى أمر الناس بالتواصي بالحق والدعوة إلى الخير، وأمرهم أن يعدوا لذلك عدته ويعرفوا سبله، وهي مبسوطة في السنة، كقصة ذلك الرجل الذي كان ينادي في الطريق: أريد أن أزي، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وضرب على كتفه وقال: أتفعل هذا بأمرك؟ قال: لا. قال: أتفعله بأختك؟ قال: لا، وخجل الرجل وانصرف " ²⁰⁹، فلو أردنا أن نذكر كلمة مختصرة في فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الرجل، لقلنا إنه الإصلاح الذي يجب ذلك الرجل بدينه، وكذلك بكل شاب يعكف على مثل هذا التفكير، ومن ثم ينهض بالأمة إلى أعلى مستوياتها.

فالجهاد الإصلاحي بهذا المعنى لا غنى للأمة عنه، ولا يقل شأناً عن الجهاد القتالي، وبذلك يتبين تلك العلاقة والارتباط بين الجهاد القتالي والجهاد الدعوي الإصلاحي، فلا نستطيع إلقاء الضوء على أحدهما دون أن نسلط الضوء على الآخر، ولا يمكن التخلي عن الجهاد القتالي واستبداله بالجهاد الدعوي الإصلاحي، وكذلك لا يمكن التخلي عن الجهاد الإصلاحي والاقْتِصَار على الجهاد القتالي، فمطلوب من المسلمين العمل بكلا الجهادين بحسب الحاجة التي يفرضها الواقع، ففي كليهما المشقة والصعوبات، وفي

²⁰⁹ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 4/27-28.

كليهما طرق يقوّي بها المؤمن إيمانه.

وعندما نخص مفهوم الاصلاح بالحديث، فذلك لأن هذا المفهوم من الجهاد يحتاج إلى كثير من فهم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ومعرفة حال متلقيها واختيار الوقت المناسب لها، مع تهيئة النفوس لاحتمال الأذى من المدعوّ إذا صدر منه شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3]، ولعل هذا المفهوم نابع بالأساس من حديث النبي عليه الصلاة والسلام، الذي يقول فيه: " من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " ²¹⁰، حيث يتضح من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان خطابه إلى جميع المسلمين من غير تقييد، إلا أن المقصود لكل مسلم بحسب موقعه وقدرته، يقول عبد الحميد أحمد في كتابه الإصلاح المعاصر: " قدم القرآن الكريم من المفاهيم التي يجب أن تقوم عليها الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية هداية للبشرية، وترك لهم أمر أسلوب تحقيقها، ووسائلها المتغيرة المتطورة، على ما يقتضيه تطور أحوال الزمان والمكان ... وما يلحق ذلك من تغيرات وتطورات وإمكانات وتحديات " ²¹¹.

والنقطة المهمّة في الحديث، هي أن الأمر الصادر عن النبي عليه الصلاة والسلام بضرورة تغيير المنكر ليس مطلوباً من كل المسلمين، إذ لا يمكن لكل شخص أن يقوم بتغيير المنكر، وليس كل شخص عنده تلك القدرة على ذلك، وإنما كان مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبقى كل فرد متيقظاً متنبهاً للمنكر القائم

²¹⁰ أخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (بيروت: دار المعرفة ط 5: 1420هـ)، 485/8، حديث رقم: 5023.

أمامه في كل الأوقات والأحوال، فإذا ما رأى منكراً يستوجب النصح والإرشاد فعليه النصح والإرشاد وإظهار طريق الحق، بشرط أن يكون في حدود إمكانياته وقدراته، ودون تتبع لأحوال الناس وتقصيراتهم، وهذا النوع من التغيير واجب في حق كل من قدر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

إذا ثبت أن القيام بأعباء الدعوة فرض، إذاً فالتقصير في حقها يؤثر سلباً على الأفراد والمجتمعات، وسيفتح باب الفساد والإفساد في الأرض، فالإسلام لا يكتفي أن يصلح المسلم نفسه فحسب، بل تجاوز ذلك إلى أن يكون صالحاً ومصلحاً وداعياً لغيره، فالإصلاح والدعوة إلى الله تعالى من الأمور التي شرف الله عز وجل بها أمته، فقد سبق وذكرنا أن الدعوة إلى الله تعالى فرض على المسلمين بشكل عام، كل حسب قدرته واستطاعته، وأن التقصير فيها يستوجب العقاب من الله تعالى، وما كانت اللعنة من الله تعالى على بني إسرائيل إلا لتقصيرهم في هذا الجانب، قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79].

ولا بد من التنبيه إلى وجود فرق بين تغيير المنكر وبين النهي عنه، فقد ورد في المنار ما نصه: " هنا يخلطون بين النهي عن المنكر وتغيير المنكر الذي جاء في حديث من رأى منكم منكراً فليغيره، وهذا شيء آخر غير النهي ألبتة، فإن النهي عن الشيء إنما يكون قبل فعله، وإلا كان رفعاً للواقع أو تحصيلاً للحاصل " 212، فمن شروط التغيير أن يكون الشخص قادراً ويملك الإستطاعة المطلوبة لذلك التغيير، وإلا عند ذلك

²¹¹ عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، الإصلاح الإسلامي المعاصر ، قراءات منهجية اجتماعية ، (القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2010 م) ، ص 95 .

²¹² محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 4/ 29 .

تحصل فتنة خطرهما على المجتمع أشد وأدهى من المنكر ذاته، فإذا ما ظهر المنكر يتم التغيير باللسان، فإن لم يستطع يرفع إلى الحاكم المسؤول، ليقوم ذاك الحاكم من خلال السلطة المعطاة له بتغيير ذلك المنكر، وإذا لم يستطع إيصاله إلى الحاكم ينكره بقلبه، وهذه آخر مرحلة من مراحل التغيير.

ونستنتج مما سبق أن تغيير المنكر باليد، هي من مهمة من بيده الحكم والسلطة ومن ينوب عنه، وأما التغيير باللسان فهو من مهمة من استطاع عليه من العلماء وأهل التقوى في المجتمعات الإسلامية، وأما التغيير بالقلب، فهذا لا شك أنه من مهمة العامة من الناس، والتغيير والإصلاح الكلي هو بجد ذاته مطالب فئات الناس كافة، فأى إصلاح لا يتناول مشاكل المسلمين من جميع جوانبها ولا يعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها، يبقى إصلاحاً منقوصاً لا يمكن أن يكون في يوم من الأيام سبباً في تقدم المسلمين سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وإدارياً.

إن الفساد في هذه المنطلقات من أهم الموانع التي تقف عائقاً في تقدم الأمة الإسلامية في جميع مجالاتها، يقول يوسف القرضاوي رحمه الله تعالى: "وعلى هؤلاء الدعاة أن يتعاونوا لإقامة إصلاح حقيقي... ولا يكون الإصلاح حقيقياً إلا إذا تم بإرادتنا وبأيدينا، ومن منظورنا، ولتحقيق أهدافنا ومصالحنا، وأما الإصلاح الذي يفرضه علينا الآخرون لتحقيق أهدافهم... فيستحيل أن يكون إصلاحاً"²¹³، ويقول أيضاً: "وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله، فهو ينقاد من باطنه لا من ظاهره، ومن عقله وضميره لا من أذنه أو رقبته"²¹⁴، ولا ريب بأن الإصلاح من بدايته إلى نهايته يدخل تحت قول الله تعالى: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

²¹³ يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالجتها، (القاهرة: دار الشروق، ط 3، 2011 م)، ص 54.

أما أن يبقى المسلمون رهينة لآراء وأفكار دخيلة عليهم من أعدائهم بحجة التغيير نحو الأفضل، فهذا ما لا يمكن أن يحدث إصلاحاً جذرياً، ولا حتى يمكن أن يكون سبباً لذلك، كمن يصدق أن أعداء الأمة الإسلامية وبالأخص الدول الغربية يضمروا الخير والصالح لإسلام والمسلمين.

وبالإضافة لذلك كله، فإن فترة الاستعمار التي غزت في القرن الماضي الكثير من البلاد الإسلامية جعلت شريحة لا يستهان بها من المفكرين والمصلحين ممن يحسبون على المسلمين، يعملون لصالح تلك البلاد المعتدية متلبسين بالهوية الإسلامية، فكان نتاج ذلك التفكك السياسي والإقتصادي والإداري وفي غالب الأحيان التفكك الأخلاقي.

إلا أن ذلك الفكر وإن بقي زمناً طويلاً جاثماً على صدور المسلمين، إلا أنه في النهاية لم يستطع أن يجني ثماره، وإن كان المسلمون اليوم يعانون من بقاياها، يقول علي الطنطاوي: " قد زهدوا في كل ما هو شرقي واستهانوا به، وعظموا ما يقابله من كل حماقة دعيت مذهباً اجتماعياً، وكل سفسطة سميت فلسفة، وكل كفر بالدين والعرض دعي أدباً، وأعانهم على ذلك أن أكثر المدرسين من الذين لم يقدر لهم فهم علوم الإسلام والغوص على كنوز كتبه " ²¹⁵، ويضيف أيضاً: " فمن أين يرجى إصلاح أخلاقنا وأوضاعنا؟، ومن أين يرجى لأخلاقنا صلاح، ولم نتفق بعد على الأخلاق التي ينبغي أن نتخلق بها، فمننا من يرى المثل الأعلى في أخلاق الجاهلية " ²¹⁶، والحال هذا فإن الأمة اليوم بأمر الحاجة إلى الإصلاح.

وهنا لا بد من التركيز على صنف من الناس، ليسوا كهؤلاء الذين ذكرناهم، وإنما هم فئة انعكفت

²¹⁴ يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالها، ص 54 .

²¹⁵ علي بن مصطفى الطنطاوي، في سبيل الإصلاح، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط 4، 1416 هـ، 1996 م)، ص 100 .

²¹⁶ علي بن مصطفى الطنطاوي، في سبيل الإصلاح، ص 100 .

على إصلاح نفسها، تاركين هذا المفهوم الجديد من الجهاد، وحتى المفهوم العام للجهاد في سبيل الله، متعللين بأسباب عدة، كحجتهم أنهم يعملون على حفظ كتاب الله وتلاوته وتعلمه وتعليمه، مؤكدين أن هذا السبب يكفي لإمتناعهم عن الجهاد، فهم ليسوا مطالبين به، ويبررون إمتناعهم عن التضحية وبذل المال والتبرع لإقامة شريعة من شعائر الله بأنهم علماء، والعالم غير مطالب بهذا، يقول رشيد رضا في المنار: " فما بال مُدَّعي الإيمان بالكتاب قد أعرضوا عن امتثال أمره ونهيه، حتى صاروا يعدُّون حفظه وقراءته من موانع الجهاد في سبيل الله " 217.

ولا شك أن يمثل هؤلاء لا يمكن أن تصل الأمة إلى مبتغاها، لأن الأمم تصل إلى ذروتها من خلال جهود أبنائها، وإصلاحهم مقرون بمدى إتباعهم لكتاب الله تعالى، ومدى تطبيقهم لما ورد فيه من تشريعات بالشكل الذي يرضي المولى الكريم، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: 110]، ورد في المنار في تفسير هذه الآية: " وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محفوفاً بالمكاره والمخاوف، وكم قُتل في سبيل ذلك منهم من نبيٍّ وصديق فكانوا أفضل الشهداء " 218، فلا قيمة لعلم يحمله عالم منعكف على نفسه ليس عنده قيمة لهم أمته، وكذلك لا قيمة للغني الذي لا يجزل بعطائه من أجل تقدم أمته وتطورها، إذ لا يمكن اعتبار هؤلاء من المصلحين، لأن الجهاد الإصلاحي هو في الحقيقة انتصار قوم المعروف على قوم المنكر، فيعم العدل في البلاد وتظهر حالة من الإستقرار في جميع أحوال الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

217 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 93/2 .

218 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 27/4 .

المفهوم الرابع: الجهاد من أجل الدفاع عن الوطن

ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله، أو دون دمه، أو دون دينه فهو شهيد " ²¹⁹، فهل هذا الحديث يشمل الجهاد من أجل الدفاع عن الوطن؟ الجواب عن هذا السؤال يتلخص بما يلي:

إن المجاهد الذي يقاتل في ساحات القتال فإن نيته التي تدفعه إلى القتال هي التي تقرر ما إذا كان جهاده صحيحاً أم لا، أو أن جهاده يدخل تحت مضمون الحديث الشريف أم لا، فإذا توجهت نيته إلى الله ورسوله فلا شك أن هذا من أعظم أنواع الجهاد، وإلا كان جهاده فاسد المقصد لا يؤجر عليه.

وبناءً عليه، فإن من جاهد وقتل فله أجر شهيد إن كانت نيته لرفع راية الإسلام، ومن أجل ألا يسيطر على وطنه الأعداء من المشركين والكفار، فهذا لا شك من الجهاد في سبيل الله تعالى، فإذا قتل دفاعاً عن بلده وأرضه بهذه النية فهو شهيد عند الله تعالى.

أما إذا كانت النية لنصرة نظام ظالم قد أهمل الشريعة الإسلامية، وأراق دماء المسلمين بغير حق، وملاً السجون بالمظلومين، وشرد الأبرياء العزل، ويتم الأطفال، وانتهك الأعراض، بحجة الدفاع عن الوطن، فلا شك أن الوقوف مع مثل هؤلاء يعدّ من الظلم والخيانة للوطن، ومن قُتل تحت هذه الراية العمياء لا يمكن أن يسمى شهيداً، بل إلى جهنم وبئس المصير.

²¹⁹ أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ، 2009 م)، 151/7 حديث رقم: 4772.

ورَدَ في الفتاوى ما نصه: " إن الإنسان لا يقاتل من أجل وطنه ولكن أقول ذلك إذا كان يريد أن يقاتل لأجل الوطن فقط من حيث هو وطنه، أما إذا أراد أن يقاتل دفاعاً عن الوطن لأنه وطن إسلامي فحينئذ تكون نيته سليمة ويكون قتاله لتكون كلمة الله هي العليا " ²²⁰.

ونحن بهذا الصدد لا بد من التذكير بأن غالب الجيوش الإسلامية خصوصاً العربية منها قد فسدت نوايا قادتهم، ليتحولوا من جيش يخدم الدين ويحافظ على البلد وحدودها، إلى جيش يخدم السلطة السياسية الطاغية، ويبدل ما في وسعه في سبيل المحافظة عليها، ولو كلفه ذلك أن يرتكب أشنع أنواع الظلم في حق الناس.

وما يحصل في العراق وسوريا والسودان واليمن وليبيا والسودان الأكبر دليل على ذلك، فالكثير من القائمين على تلك الجيوش لا تهمهم مصالح الوطن ولا يهتمهم حقوق العباد، بل ينصب جل عملهم على حماية تلك السلطات الظالمة التي تخلت عن إسلامها، وراحت تهرول نحو دول الأعداء لتعقد معهم الصلح والمعاهدات، وكل ذلك على حساب الدين والوطن والعباد.

لا يمكن إنكار تعامل الكثير من الأنظمة الإسلامية مع دول الكفر، فقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين، وعقد معهم المعاهدات، وكان بينهم وبين المسلمين علاقات تجارية أثبتتها كثير من الأحاديث الصحيحة، لأن الضرورة آنذاك تتطلب ذلك، لكن ليس على حساب الدين وحقوق المسلمين، ورد في التفسير الوسيط: " وعليهم أن يقصروا موالاتهم على المؤمنين؛ لا يتجاوزوهم إلى الكافرين لغرض من الأغراض، إلا لأن يتقوا أو يحفظوا أنفسهم من ضرر شأنه أن يتقي ويُنذر... فإذا اضطر المسلمون لموالاتهم

²²⁰ محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، (دار الوطن ،

دفاعاً عن الوطن، أو المال، أو العرض، فلهم ذلك ... في حدود الضرورة وأجاز المحققون من العلماء:
الاستعانة بالكفار، بشرط الحاجة " 221.

ولو أننا قمنا باستعراض الغزوات والمعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم لوجدنا أنها كانت
تهدف للدفاع عن الوطن والأرض والعرض، يقول الإمام القاسمي رحمه الله تعالى: " ومنها: أن على الملك، إذا
اشتكى إليه جور مجاورين، أن يبذل وسعه في الراحة والأمن، دفاعاً عن الوطن العزيز، وصيانة للحرية والتمدن،
من مخالب التوحش والخراب، قياماً بفريضة دفع المعتدين وإمضاء العدل بين العالمين " 222.

من هنا يتبين أن الدفاع عن الوطن والأهل والعرض من المتفق عليه في كافة الشرائع الدينية، وحتى في
القوانين الوضعية الحديثة، وأن العلماء اتفقوا على أن الأعداء إذا اعتدوا على البلد وجب على أهلها جهادهم
كل بحسب استطاعته وطاقته، وهذا المعنى لا ينفي وجود نية الجهاد في سبيل الله تعالى عند المقاتل، لأننا كما
أسلفنا، يدافع عن وطنه لإعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حتى لا يحكم وطنه
الكفار والمشركين من الأعداء.

فيكفي أن يتوجه قصد المجاهد في مشروع دفاعه عن وطنه إلى الدفاع عن بلاد المسلمين وممتلكاتهم،
ولا ريب في أن هذا من شعب الإيمان بالله تعالى، يقول رشيد رضا: " كلُّ فضائل الإنسان من الصَّبْر على
المكارة، والجهاد في سبيل الزوجة والولد والأمة والوطن، وإسداء المعروف وسائر أعمال البر لا يبعث النفس

الطبعة الأخيرة، 1413 هـ) ، 318/7 .

²²¹ تأليف مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط 1 ،
1393 هـ ، 1973 م) ، 550/1 .

²²² محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، محاسن التنزيل ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1
، 1418 هـ) ، 68/7 .

عليها إلا الإيمان بالله "223.

إن الأمة الإسلامية اليوم قد أحاطت بما أحوال جعلتها مكتوفة الأيدي لا تستطيع أن تفعل شيئاً أمام واجب الدفاع عن حدودها ومقدراتها وشعوبها، حيث صار لعامة البلاد الإسلامية ارتباطات وثيقة بأعداء الأمة، وباتت حكوماتها سلبية الإرادة والتخطيط، همُّها البقاء في السلطة وتنفيذ الأوامر التي تملى عليها من الخارج.

لا أقول إن المسلمين اليوم قد عاد بهم الزمن إلى الاحتلال الماضي البغيض والوصاية الغربية، ولكنهم ليسوا بعيدين عن ذلك، ففي الماضي كانت السلطة الحاكمة تنفذ تعليمات الأعداء بتهديد السلاح والقوة، وأما الآن فإن الحكومات الإسلامية تنفذها عن طيب خاطر وبكامل الرضا، وإذا كان الأمر كذلك فلا أقل اليوم من أن يحافظ المسلمون على حدود بلادهم ومقدراتها، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ [آل عمران: 167]، يقول أبو زهرة في شرحه لهذه الآية: " أشار سبحانه بهذا إلى أنهم كانوا معوّقين في ابتداء القتال، قيل لهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الذين يعاشرونهم ويجاورونهم ... تعالوا، أي تساموا بأنفسكم وارتفعوا لتقاتلوا في سبيل الله تعالى ... فإن لم تسم نفوسكم إلى حد القتال طلباً لمرضاة الله، فلتقاتلوا دفاعاً عن الوطن والعشيرة " 224.

المفهوم الخامس: الجهاد السياسي

ونعني بالجهاد السياسي: " عمل يصدر من بعض الأفراد والجماعات المشتغلة في المسائل السياسية

²²³ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 187/1 .

²²⁴ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، زهرة التفاسير ، (دار الفكر العربي) ، 1496/3 .

للوصول إلى غاية معينة تكون لمصلحة الحكومة، أو الشعب، أو الوطن، أو لمصلحة جماعة ما، سواءً أكانت هيئة قومية أم حزباً سياسياً " 225.

كان الجهاد السياسي بهذه الحثية وبهذا المعنى بعيداً عن القومية والوطنية والحزبية موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم يكن تحت هذا المسمى، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الله تعالى، وفي نفس الوقت سياسياً راشداً في حكمه، يرمى مصالح الناس، ويدير شؤون الأمة ومصالحها، لأن الشريعة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام إنما كانت تهدف إلى تأمين حاجات الناس ومتطلباتهم، ورعاية مصالحهم وتحقيقها، والعمل على درء المفسدات وتعطيلها.

وإننا نجد أن المفسرين المعاصرين قد تناولوا هذا المفهوم بشكل موسع، على خلاف المفسرين القدامى الذين لم يتطرقوا إلى هذا المفهوم في تفاسيرهم إلا نادراً.

والحديث عن هذا المفهوم يعتمد على تفسير كلمة الجهاد الذي يتناول بالدرجة الأولى علاقة المسلمين السياسية مع غيرهم من المشركين والكفار، ومن ثم علاقة المسلمين السياسية مع قادتهم وأولياء أمورهم من الحكام.

القسم الأول: وهو تعامل المسلمين مع الكفار والمشركين

من المعلوم أن دول الكفر وخاصة في الأزمنة الأخيرة بدؤوا العمل على محاربة الدول الإسلامية حروباً لا تحتاج إلى قتال، فتجدهم يقضون جل أوقاتهم في العمل على نشر التخلف والفساد والخلاف في أوساط

²²⁵ عبدالرحمن الكيال، الجهاد السياسي، (حلب: المطبعة العصرية، ط 1، 1946 م)، ص 1 .

المسلمين، من خلال طرق سياسية لا تحتاج في غالبها إلى أعمال الأسلحة الفتاكة.

وما الأحداث التي مرت بالمسلمين في السنوات الأخيرة إلا خير شاهد على ذلك، فهم يعملون بالليل والنهار على نشر الدعوة إلى الديانات المتنوعة من يهودية ونصرانية وغيرها بطرق شتى ومختلفة، ولذا كان على المسلمين اتخاذ الحل السياسي للوقوف حائلاً دون هذه المخاطر التي تهدد مستقبل الدول الإسلامية بشكل عام.

لا يمكن إنكار أن المفهوم السياسي قد يكون سبباً في إزالة التهم التي يوجهها المستشرقون ضد الإسلام، بقولهم بأنه ما انتشر وما وصل لقوته إلا من خلال القتل والحروب واستخدام السلاح، وقد أشار محمد عبده إلى هذا المعنى في معرض حديثه عن العمل السياسي ومدى توافقه مع الدين، فقال: " إنه ليس من جوهره ومقاصده، وإنما هو سياج له وجُنَّة، فهو أمر سياسي لازم له للضرورة، ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلّموهم الطغاة، إذ يزعمون أن الدّين قام بالسّيف وأن الجهاد مطلوب لذاته، فالقرآن في جملته وتفصيله حجّة عليهم " 226.

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم التي تتحدث علاقة المسلمين مع غيرهم، نجد أن هذا المفهوم الجديد للجهاد يتعلق بقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: 52]، وبقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: 73]، فالآية الأولى نزلت لتأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار والمشركين باستخدام البراهين وتقديم الحقائق القرآنية وإيضاحها، أما الآية الثانية فقد أمرت النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعامل

226 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا ، تفسير القرآن الحكيم ، المنار ، 33/3-34 .

الكفار والمنافقين بنفس المعاملة التي يعاملون بها المسلمين، وقد ورد في الحديث الشريف: " عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال: بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له، فألآن له القول، فلما خرج قلت له: يا رسول الله، قلت له ما قلت، ثم ألئت له القول فقال: يا عائشة، إن من شرِّ النَّاسِ من تركه النَّاسُ أو ودعه الناس اتقاءً فُحشه " 227.

فمن آداب الاجتماعات التي تضم المسلمين وغير المسلمين التعامل مع الكفار بقول لين وبطرق مهذبة، ولا يمكن القول إن مثل هذه التصرفات والأفعال تعد من النفاق والمداهنة، وإنما تدخل تحت شعار السياسة الشرعية، يقول رشيد رضا: "لأنه ورد في مقام الأمر بالجهاد لدفع إبدائهم وحماية الدعوة وبيان حقيقتها " 228، يظهر هذا جلياً في تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع هذه الفئة من الكفار والمشركين، فقد بدا لطيفاً ليناً لما تقتضيه رافة الإسلام ورحمته.

ولا يمكن إنكار ما لهذا الجهاد من صعوبة وإرهاق لصاحبه، فهو يعتمد على الرحمة والشفقة تجاه المؤمنين واتخاذ الشدة والقوة تجاه المنافقين والكفار، ولعل هذا من أعظم المفاهيم التي على المسلمين أن يتقنوها، ويجاهدوا بها في مواجهة السياسيين من الدول المعادية للإسلام والمسلمين.

هذا المفهوم لا بد له من ضوابط ومنطلقات صحيحة تقوم على توجيهه وإدارته بالشكل الذي يؤدي إلى جني ثماره، من خلال جهود فكرية ومعرفية تعين الساسة على الفهم الدقيق للممارسات السياسية في الدين الإسلامي، ليميز هؤلاء الساسة بين المفهوم السياسي والمفاهيم الأخرى للجهاد، إذ كثير من الحكومات

227 أخرج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1998 م)، 427/3، حديث رقم: 1996، حديث حسن صحيح.

228 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 3/232.

والحركات الإسلامية تتلبس بالمنطلقات السياسية الفاسدة بالخداع والتآمر من أجل الوصول إلى المناصب السلطوية، وعلى حساب الأحكام الشرعية في الإسلام.

لا ينبغي أن يكون الهدف من العمل بالجهاد السياسي أن يصل بصاحبه إلى سُدّة السلطة والانفراد بها، وإنما العمل على تمكين الأمة الإسلامية من الحصول على حقوقها دون الحاجة إلى إراقة الدماء وتحريك الجيوش، وعدم الدخول في صراعات تغرق الأمة الإسلامية بمزيد من الفوضى وعدم التوازن، ولأن حال الكثرة من البلدان الإسلامية تميل إلى العلمانية أكثر من ميلها إلى الإسلام، وتسعى جاهدة للتركيز على تطوير العلمانية في كافة مناحي الحياة، فلا يمكن الحديث في ظل هذا الواقع عن الجهاد السياسي، يقول عبد القادر عودة صاحب كتاب الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه: " قد يظن البعض أن ولاية الأمور في البلاد الإسلامية نقلوا لها القوانين الأوروبية، لأنهم لم يجدوا في الشريعة غناءً، وهذا ظن خاطئ أساسه الجهل الفاضح بالشريعة، فإن في الشريعة الإسلامية، وفي الفقه الإسلامي من المبادئ والنظريات والأحكام ما لو جمع في مجموعات لكان مثلاً أعلى في المجموعات التشريعية " ²²⁹.

هذا المفهوم من الجهاد يمكن تناوله من أجل البلاد التي تسعى لجعل الإسلام بتشريعاته الفقهية المرجع الوحيد في الدستور، لا تلك النظريات والفلسفات التي ظهرت على أيدي أعداء المسلمين الذين يضمرون العدواة والبغضاء لكل الدول التي تسعى لاسترجاع ماضيها المشرف، الذي بدأ منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، وانتهى عقب سقوط الخلافة العثمانية، يقول عبد الله بن فريح العقلا صاحب كتاب معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً: " أمعنت بعض الدول في محاصرة الأحكام الإسلامية، في دوائر ضيقة، تتمثل

²²⁹ عبد القادر عودة ، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، (الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، ط 5 ، 1405 هـ ، 1985 م) ، ص 26 .

في الأحوال الشخصية، والمساجد، ووزارات الأوقاف، وبرامج إعلامية معدودة، مرئية ومسموعة، مهتمشة المادة والوقت " 230.

لا أحد يريد للأمة الإسلامية أن تنظر إلى هذا المفهوم من زاوية سلبية، بل الأمة تحتاج في هذا الزمن إلى أناس يصنعون القرار بناءً على التوجهات الفكرية للإسلام، بما ورد في القرآن الكريم والسيرة النبوية، وبما مرّ معهم من تاريخ الأمة الإسلامية المجيد، في ظل ظروف مختلفة، سواءً أكانت بطريق التعامل مع الشعوب أو مع الأوضاع التي مرت بالمسلمين، والاستفادة من الكيفية التي تمت بها معالجتها.

فإذا كان الرجل المجاهد بحاجة إلى الإمام بهذه المعايير ليصبح صاحب رأي صائب في أحكام الجهاد، فإن المجاهد السياسي أشد حاجةً لذلك، لأن المجاهد السياسي هو عبارة عن مناقش ومجادل الدول المعادية للإسلام، فإن لم يكن على اطلاع واسع ودراية تامة وفكرة صحيحة عن طبيعة الجهاد عند المسلمين، إذن كيف سيقرب الإسلام بلسانه إلى أولئك، وكيف سيقنعهم وجعبته فارغة من المعارف بغزوات النبي عليه الصلاة والسلام وأسبابها، وأحوالها، والهدف منها، عندها سيظهر أمامهم بحالة من الضعف، يجنون من ورائه مكسباً كبيراً.

والخلاصة أن الجهاد السياسي معني بتلك الحوارات والمناقشات والتجاذبات التي تدور بين الدول الإسلامية وغيرها، ضمن الإطار السياسي، دون الدخول في دوامات القتل والعنف، فبقدر ما يكون السياسي المسلم على علم ودراية بالسياسة الإسلامية يستطيع أن يجني المكاسب على الأرض، والعكس صحيح، يقول جمعة أمين صاحب كتاب الفريضة المفترى عليها، الجهاد في سبيل الله: " وأمام أعيننا أمثلة لحركات جهادية،

²³⁰ عبد الله بن فريح العقلا، معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً، (الرياض: مكتبة الرشد، ط 1، 1423 هـ، 2002 م)، 468/1.

لم تحظ بالتربية الكافية ... لكنهم بعد النصر أصبحوا طلاب دنيا أساءوا إلى المجاهدين، وشمثوا فينا الحاسدين، وأدخلوا السرور على الكافرين ... ولسنا بصدد الحديث عن هذه الحركات التي خذلت المسلمين ... وأعطت الفرصة لأعداء الدين " ²³¹، ونتيجة لتلك الأعمال الصادرة من غير أهلها، نجد أن اليأس قد شاع عند المسلمين حتى وصل الحال بأحدهم إلى أن يقول: " إن الجهاد السياسي العلني أصبح مستحيلاً في هذه الظروف " ²³².

القسم الثاني: حيث يختص في تعامل المسلمين مع ولاة أمورهم، أي: الحاكم

وهذا هو المعنى الثاني للجهاد السياسي، هذا المعنى يدخل في إطار جهاد الكلمة الواسع، فجهاد الكلمة قد يكون في مواجهة الأعداء من الكفار والمشركين عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة المرئية منها والمسموعة، وقد يكون في وجه الحاكم الظالم، وما يهمننا في هذا المقام، هو ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، وهو كلمة حق عند سلطان جائر، أما الحديث عن جهاد الكلمة في مواجهة الأعداء فسيتم ذكره في نهاية الكلام عن المفاهيم الأخرى للجهاد بإذن الله تعالى.

هذا النوع من الجهاد يكون في أغلب الأوقات عند الحاكم الظالم الجائر، فالشعوب التي تخضع وتخضع وتُذِلُّ نفسها هي في الحقيقة من تسهل الأمور لصنع الطواغيت، فعندما تجرد الشعوب وقد ترسخت في داخلها مظاهر العبودية المتولدة من الطاعة العمياء للحكام، بحيث أن أفكار هؤلاء الشعوب وتوجهاتهم بعيدة تماماً من مساءلة أولئك الطغاة ومحاسبتهم، هنا لا يمكن أن يكون مصير الجهاد السياسي إلا معطلاً ومفرغ

²³¹ جمعة أمين عبدالعزيز ، الفريضة المفترى عليها ، الجهاد في سبيل الله ، (الإسكندرية : دار الدعوة ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1997 م) ، ص 189 .

²³² أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، (دار المعارف ، ط 13) ، ص 254 .

المضمون، لا يقدم ولا يؤخر في مصير الأمة الإسلامية، بل على العكس، يزيد من الخوف وتعمق فيهم الأناية، ليقول كل فرد من أفرادها اللهم نفسي نفسي، ولا ريب أن ذلك سيؤدي حتماً إلى ضياع الحقوق في خضم تسلط طاغية خضع لجشعه وتأمين مصالحه.

كانت تعاليم الإسلام في شأن مثل هؤلاء هي الدعوة إلى أن يتخلص المسلمون من ذلك الظلم والعبودية من خلال النطق بكلمة الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومحاسبة الظلمة والطغاة على أفعالهم، ومن أجل ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أكد على هذا المفهوم واعتبره من أكثر مفاهيم الجهاد أهمية، ففي الحديث: " أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز، أي الجهاد أفضل، قال: كلمة حق عند سلطان جائر " 233.

النبي عليه الصلاة والسلام جعل هذا المفهوم من أعظم الجهاد، لأن تلك الكلمة قد تكون سبباً في فقدان حياته، إذ احتمال أن يخرج سالماً في هذه المواقف ضعيفاً، فيكون هلاك ذلك القائل أقرب إلى نجاته، أما كلمة الحق عند السلطان المعروف بعدله فلا يمكن أن توقع قائلها في الهلاك، بل على العكس قد يجد الثناء من السلطان في دنياه، والأجر والثواب العظيم في آخره، لما أسدى من النصحية لأئمة المسلمين.

في هذا الزمن ومع تكاثر ظلم الحكام وانتشار جورهم تغير هذا المفهوم كثيراً، وبدأ يتناقص ويتقلص، والمتأمل في التاريخ الحديث يجد ذلك جلياً، وخاصة في البلاد العربية، والسبب يعود إلى غياب منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاسبة المقصرين من أهل الحل والعقد، يقول أبو الأعلى المودودي: " فالذي يتولى الأمر من بين المسلمين لا فضل له على سائر رعيته إلا بالتقوى، ولا سلطان له عليهم إلا بأمر من الله

ورسوله، فليس له أن يتبوأ عرش العظمة والجلالة ويتظاهر بعلو شأنه وارتفاع منزلته، ولا يجوز له أن يخضع رقاب الناس ويجعلهم يذعنون لجبروته " 234.

وما الخوف الذي سيطر على قلوب الشعوب الإسلامية والعربية بشكل خاص إلا بسبب ما مارسه الحكام من ظلم واستبداد، ابتداءً من عصر الحكم في بني أمية حتى وقتنا الحالي، وبهذا الاستبداد الذي انتهجه حكام الأمة الإسلامية فقدت الأمة منهجاً من أفضل مناهجها، ألا وهو حرية الكلمة والتعبير.

وزيادة على ذلك فإننا نرى ظاهرة لم تكن معهودة في الزمن الماضي، وهي أن كثيراً من حكام الدول الإسلامية الظلمة اتخذوا من العلماء مطية يصلون من خلالها إلى مآربهم، حيث يعمل هؤلاء العلماء على تلميع صورة الحاكم الظالم أمام الناس، وبالمقابل يعمل الحاكم على إظهار هذا العالم بصورة العالم الفقيه الفذ، قد ملأ صيته أرجاء البلد، بحيث لو أنك تساءلت يوماً عن علماء ذلك البلد، فإن الجواب سيكون بذكر تلك الأسماء التي قام ذلك الحاكم بتلميعها، لا لأنهم علماء اشتهروا بعلمهم وفقههم، بل لأن الحاكم الظالم يريد منك أن تتعرف عليهم.

لذلك نرى في غالب البلاد الإسلامية أن العلماء المقربين من الحكام الظلمة يُعيّنون في مناصب الإفتاء والقضاء وتقليد الوزارات الدينية، لا لغزارة علمهم وفقههم ومنطقهم كما أسلفنا، وإنما لخدمة أسيادهم من الطغاة والمسؤولين، يقول عمر بن محمود أبو عمر في كتابه الجهاد والاجتهاد: " فصار الناس لا يرون عالماً إلا وهو سائر في ركب الطاغوت ... وسقطت من أعين الشباب المسلم قيمة العلم والعلماء، فصار جُلّ همّ

²³³ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (بيروت: دار المعرفة، ط 5، 1420هـ)، 181/7، حديث رقم: 4220.

²³⁴ أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، ص 17-18.

الشباب شتم العلماء والتنفير منهم، والحق أن هؤلاء - كل من دخل في ركب الطاغوت - لا يستحق أن ينسب إلى العلم " 235.

لعل من أسوأ ما أصاب الجهاد السياسي في أيامنا هذه، هو ذلك التفكير الخاطئ الذي يدعو إلى فصل السياسة عن الدين، هذا المفهوم الذي لم يكن موجوداً في الرعيل الأول من المسلمين، فالمجاهد السياسي لا يمكن أن يعرف الحقائق المتعلقة بالأحداث المستجدة إلا إذا كان عالماً بأحكام الله تعالى بكل حادثة تطرأ على الأمة الإسلامية، مع الفهم الدقيق لواقع المسلمين، وإلا سيقى رهين الجهل.

ويضيف عمر بن محمود في نفس الكتاب: " وعلى هذا فإن الفقيه لن يكون فقيهاً في ديننا ولا يسمى فقيهاً وعالماً إلا إذا كان سياسياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى ووقع على النفوس، وعلى الشباب المسلم أن يسقط من حسه ومن احترامه من يقول: إن من السياسة ترك السياسة، لأنه حين يكون كذلك ... لن يكون فقيهاً بل يكون شيخ جهل " 236.

ومن المعلوم أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومن غير الممكن أن يكون الرجل من العلماء الحقيقيين مالم يعمل بعلمه، متيقناً من أن هذا العلم من أجل العبادة، وليس من أجل تحصيل المناصب وملذات الدنيا، يقول محمود شيت خطاب صاحب كتاب إرادة القتال في الجهاد الإسلامي: " إن أمثال هؤلاء العلماء أكبر من كل ذي سلطان، فقد يستطيع كل من هبّ ودبّ، أن يكون ذا سلطان سياسي بحق أو بغير حق، ولكن لا يستطيع كل من هبّ ودبّ أن يكون عالماً بحق، وقد يقول العالم الحق كلمة في ملك أو رئيس، فيسجل

²³⁵ عمر بن محمود أبو عمر، الجهاد والاجتهاد، تأملات في المنهج، (عمان: دار البيارق، ط 1، 1419 هـ، 1999 م)، ص 238.

²³⁶ عمر بن محمود، أبو عمر، الجهاد والاجتهاد، تأملات في المنهج، ص 245.

التاريخ كلمة العالم ما بقي التاريخ في الأرض " 237.

لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتقدم ما لم يقل العلماء المسلمون كلمة الحق بكل صراحة أمام الطغاة من الحكام لا يخافون في الله تعالى لومة لائم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خاف الله تعالى خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوّفه الله من كل شيء " 238.

وبعد الاطلاع على الجهاد السياسي بشقيه، الأول منه: تعامل المسلمين مع الكفار والمشركين سياسياً، والشق الثاني: تعامل المسلمين مع ولاة الأمور سياسياً أيضاً، نخرج على التعرف على طاعة ولاة الأمور فيما يتعلق بالجهاد، ومتى تجب طاعته، وما هو حكم الخروج عن طاعته.

مما هو مؤكد أن هذا المفهوم مرتبط بقواعد وضوابط، قد ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذا المفهوم سواء أكان متعلقاً بطاعة ولي الأمر أو عصيانه فإنه يخضع لضوابط وقواعد معلومة، والضابط في ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، ومن السنة ما ورد عن علي رضي الله عنه، قال: " بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال:

²³⁷ محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، (دار الفكر، ط 2، 1393 هـ، 1973 م)، ص 46.

²³⁸ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، (بيروت: دار ابن حزم، ط 1، 1426 هـ، 2005 م)، ص 1510، رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل.

ادخلوها، فهمّوا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف " 239، وكذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما الإمام جنةٌ ، يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل كان له بذلك أجرٌ، وإن يأمر بغيره كان عليه منه " 240.

إن قضية طاعة ولي الأمر وعصيان أمره من الأمور التي حصل حولها الجدل كثيراً، وخاصة في الأزمنة الأخيرة، واختلف العلماء في تحديد متى تجب طاعتهم ومتى لا تجب، فالأحكام التي تتعلق بولاية الأمور إنما شرعها الله تعالى للحفاظ على التعاليم الإسلامية، ومتابعة السياسة الدنيوية بالشكل الذي يؤمن مصالح الشعوب، ويدراً عنهم الأضرار واعتداء المعتدين، إذ لا يمكن أن تكون أمة بلا إمام يرعى مصالحها ويسعى لتأمين حاجاتها، وهذا أصل عظيم من أصول الدين الإسلامي، يقول الإمام الماوردي رحمه الله تعالى: " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم " 241.

من خلال ما تقدم، نرى أن طاعة الإمام الذي يحكم بأمر الله تعالى واجبة مالم يأمر بمعصية، لأن الله تعالى أوجب على المسلمين إطاعة أولي الأمر لإقامة شرع الله تعالى، فإذا تعارضت تلك الطاعة مع شرع الله

²³⁹ أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، باب : سرية عبدالله بن حذافة السهمي ، 417/6 ، حديث رقم : 4340 .
²⁴⁰ محمد بن فتوح الحميدي ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، باب : المتفق عليه من مسند أبي هريرة ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، (بيروت : دار النشر ، ط 2 ، 1423 هـ ، 2002 م) ، 51/3 ، حديث رقم : 2248 .
²⁴¹ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405 هـ ، 1985 م) ، ص 5 .

تعالى فإنه عند ذلك لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول رشيد رضا عن ابن حزم قوله: " واتَّفَقُوا أَنْ
الإمام الواجب إمامته، فإن طاعته في كل ما أمر ما لم يكن معصية فرض، والقتال دونه فرض، وخدمته فيما
أمر به واجبة، وأحكامه وأحكام من ولى نافذة " 242.

وبناءً على ذلك لا يجوز الخروج على حاكم المسلمين ما لم يصدر منه كفر ظاهر لا يحتاج إلى تأويل،
فإذا ما ظهر عليه ذلك وجبت مجاهدته لمن يقدر عليها، وأما الحاكم الظالم والمتسلط فقد اجتمعت كلمة
العلماء على وجوب طاعته، وتنفيذ أوامره والخروج معه إلى الجهاد، ويقررون أن الصبر على تسلطه خير من
الخروج عليه، وأن طاعته غلق لباب الفتنة، والتي إن فُتِحَ بابها أزهقت كثير من الأرواح بغير حق، وضُيِّعت
الحقوق، ففي الحديث: " دعانا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السَّمْعِ
والطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيَسْرِنَا وَأَثَرِنَا عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ
مَنْ اللَّهُ فِيهِ بَرَهَانٌ " 243، فقد انعقد الإجماع على أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن يعلو شأنها في شتى مجالات
الحياة إلا من خلال وجود الإمامة، فبها تحفظ الحقوق، وبها تُصان الممتلكات، وبفقدانها تضيع الحقوق،
وتفسد الحياة، ويحكمها قانون الغاب.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: 251]، أورد الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره: " الذي عليه العلماء في أمراء الجور،
أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية

²⁴² علي بن أحمد بن حزم الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص 126

لفسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً، فاختلّفوا في جواز الخروج عليه، والصّحيح المنع، إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه " 244.

وقد مر معنا سابقاً أثناء الحديث عن (مناقشة في مسألة الخروج على الحاكم وهل الخارج عليه مجاهد) وكيف أن العلماء انقسموا إلى فريقين وبيننا في ذلك المقام رأي كل فريق وأدلته.

المفهوم السادس: جهاد المرأة

من عظمة الإسلام أن ينظر إلى مشاعر المرأة وأعمالها وقدراتها باحترام وتوقير، فالمرأة تختلف عن الرجل في الطاقات والشكل وحتى في طريقة التفكير، ولذا فقد عدّ الإسلام كل جهد وتعب تبذله المرأة من أجل تأمين حاجيات الحياة، سواء أكانت هذه الحاجيات متعلقة بأسرتها، أو بالمنافع التي يمكن أن تقدمها للمسلمين باباً من أبواب الجهاد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة " 245، وفي الحديث أيضاً: " عن جابر بن عبد الله، قال: بينا نحن قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة، فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، يا رسول الله، ربّ الرجال وربّ النساء الله عز وجل، وآدم أبو الرجال وأبو النساء، وحواء أم الرجال وأم النساء، وبعثك عز وجل إلى الرجال والنساء، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا خرجوا فلهم من الأجر ما قد علمت، ونحن نخدمهم ونحبس أنفسنا عليهم، فماذا لنا من الأجر؟

²⁴³ أخرجه محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سترون بعدي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط 3، 1987 م، 2588/6، حديث رقم: 6647.

²⁴⁴ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني البيني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصباطي، (مصر: دار الحديث، ط 1، 1413 هـ، 1993 م)، 208/7.

²⁴⁵ أخرجه أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: الجزء الثاني والأربعون، 198/42، حديث رقم: 25322.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أقرئي النساء مني السلام وقولي لهنّ: إن طاعة الزوج تعدل ما هنالك، وقليل منكن تفعله " 246.

فالجهد لا يجب في حق النساء إلا إذا اقتضت الضرورة، وذلك في حالة النفير العام، عندما يهجم العدو بكل قوته على البلاد الإسلامية، فإنه عند ذلك يترتب عليها أن تجاهد وتقدم بقدر ما تستطيع، يقول الإمام السرخسي رحمه الله تعالى: " لا يعجبنا أن يقاتل النساء مع الرجال في الحرب، لأنه ليس للمرأة بُنية صالحة للقتال " 247، يقول البهوتي في معرض حديثه عن جهاد النساء: " ويمنع - نساء - للافتتان بهنّ مع أنهنّ لسن من أهل القتال " 248، يقول ابن قدامة: " وأما الذكورية... لأنها ليست من أهل القتال؛ لضعفها وخورها، ولذلك لا يسهم لها " 249.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: 32]، فقد ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال، نذكر بعضها، أولها ما ورد عن مجاهد أنّ أم سلمة رضي الله عنها قالت: " تغزو الرجال ولا نغزو، وإِنَّمَا لَنَا نِصْفَ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ " 250، وثاني الأقوال ما ورد عن عكرمة

246 أخرجه أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران بن مهرا بن البغدادي، أمالي ابن بشران، باب: المجلس الثامن والثلاثون والستمائة، (الرياض: دار الوطن، ط 1، 1418 هـ، 1997 م)، ص 28، حديث رقم 11.

247 محمد بن الحسن الشيباني، شرح السير الكبير إمام محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1417 هـ، 1997 م)، 129/1.

248 منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، (بيروت: دار الفكر، ط 1402 هـ، 62/3).

249 أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، (الرياض: عالم الكتب، ط 3، 1417 هـ، 1997 م)، 8/13.

250 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بجاء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 47/5.

رضي الله عنه " أنَّ النِّساء سألن الجهاد، فقلن: وودنا أنَّ الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرِّجال، فنزلت الآية " 251.

إن للمرأة وظيفة طبيعية خلقها الله عز وجل من أجلها، لتقوم بها بشكل فطري، وهي الحمل وتبعاته من تربية للأبناء بالشكل الذي أمرها الله تعالى به، دون الحاجة للخروج من منزلها، ودون أن تهتم لأمر رزقها ورزق أبنائها، فتبقى هادئة مطمئنة في مكان استقرارها، فإن الله تعالى أوجب على الرجل أن يكون مدبراً لأموال المرأة، ملبياً لحاجات بيتها، وهذا لا شك لا يقل شأناً عن الجهاد في سبيل الله تعالى، يقول رشيد رضا: " وسبب ذلك أنَّ الله تعالى فضّل الرِّجال على النِّساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهنَّ من الحول والقوة، فكان التَّفاوت في التَّكاليف والأحكام أثر التَّفاوت في الفطرة والاستعداد " 252.

والخلاصة أن كل ما مر من آيات وأحاديث وأقوال العلماء في حق جهاد المرأة لا يقلل من شأنها إطلاقاً، على العكس تماماً، فإن الإسلام قد أعطى للمرأة مكانتها، ونظر إليها نظرة احترام ليست في غيره من الأديان.

فجعل عملها في بيتها من الجهاد الذي تتاب عليه، وجعل الخدمات التي تقدمها للمجاهدين من الجهاد، يقول عبدالرحمن الراشد صاحب كتاب الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة: " والإسلام وإن أعفى المرأة من حمل السلاح في المعركة، إلا أنه لم يعفها من أبواب الجهاد الأخرى: كالإسعاف، والتمريض، وإمداد الجيش بما يحتاجه من الماء والغذاء والكساء ونحو ذلك من الأمور المتممة للجهاد " 253، ومما لا شك فيه أن

251 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 47/5 .

252 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 55/5-56 .

253 عبدالرحمن بن عبدالله الراشد، الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة، رسالة ماجستير، الرسائل العلمية 1403 هـ، ص 45.

الله وهب لكل من الرجل والمرأة صفات وخواصّ تناسب الوظيفة التي خلقهم لأجلها.

المفهوم السابع: الجهاد في وسائل التواصل الاجتماعي

ربما يبدو هذا العنوان غريباً، وهو الجهاد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، والحقيقة أن هذا المفهوم الجديد من الجهاد ينبغي أن يصبح النافذة الأولى لتوصيل تعاليم الإسلام الصحيح إلى العالم بأسره، وأقول النافذة الأولى، لأن الضعف العام للدول الإسلامية والتبعية اللامتناهية للدول الغربية، أصبح من الصعب على المسلمين أن ينتهجوا ذلك النهج الذي كان عليه أسلافهم، من عصر النبي صلى الله عليه وسلم وإلى نهايات الخلافة العثمانية، حيث كانت الفتوحات المصدر الأول في نشر تعاليم الإسلام، وكانت السبب في دخول الكثير من العرب والعجم في دين الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا لإيمانهم وعزيمتهم وطيب معاملاتهم وصدق منهجهم مع غير المسلمين.

وإنه من المؤسف أنه قد ظهرت حديثاً حركات تنتسب إلى الإسلام، وتدعي أنها الممثل الوحيد له، فجعلت من وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة مهمة في سبيل نشر الإسلام في أنحاء العالم، من خلال نشر مقالات وتسجيلات وحوارات تصب في مصلحة دعوتهم، والمحزن أنهم بأفعالهم وأفكارهم الخاطئة قد ألّبوا غير المسلمين على الإسلام والمسلمين، حتى غدت الشعوب الغربية متمثلة بحكوماتها ينظرون إلى الإسلام نظرات سوداوية، متهمينه بالإرهاب، حيث يعمدون إلى وصف الأمة الإسلامية بالأمة المغلقة، لا تستطيع التقدم فكرياً وثقافياً وحضارياً، لأنهم بعيدون عن الحوارات الثقافية والفكرية والفنية مع الأمم الأخرى.

إن تلك تسجيلات المرئية والمسموعة، والمقالات والحوارات التي بنتها تلك الحركات لم تكن إلا نقمة على المسلمين، حيث استطاع إعداء الأمة الإسلامية أن يغتتموا تلك التسجيلات واقتناص الفرصة للعمل

على القيام بتشويه الدين الإسلامي.

والمتابع لبيانات تلك الحركات في وسائل التواصل الاجتماعي لا يجد إلا إعلان التهديد بالقتل والذبح بداعي فتح الدول الغربية ونشر الإسلام فيه، عدا عن تلك الفيديوهات التي تنتشر كالنار في الهشيم في وسائل التواصل الاجتماعي وتحوي مشاهد ذبح الناس وقتلهم باسم الدين.

جاء في صحيفة الأوبزرفر ما نصه: "أثارَ قطع أحد مسلحي الدولة الإسلامية رأس الصحفي الأمريكي جيمس فوللي وتصوير العملية بالفيديو، ومن ثم وضع الفيديو على يوتيوب غضباً في أنحاء العالم ... الجهاد في عصر وسائل التواصل الاجتماعي: كيف يريح الغرب حرب الإنترنت " ²⁵⁴، لقد كانت نتائج تلك الفيديوهات كارثية الأثر على الأمة الإسلامية، فقد جعلت أمم الكفر كلها وبدون استثناء متوحدة تحت راية واحدة، وهي محاربة الدين الإسلامي.

جاء في كتاب (الداعش) تنظيمًا مستغلاً للدين، لابساً ثياب الدعر والرعب والقتل ما نصه: " وإن مسألة استغلال الدين قد تحولت اليوم إلى قضية أمنية خطيرة تهدد اتحاد الأمة الإسلامية ... حيث أن التنظيمات الإرهابية التي تصبغ ذاتها بالصبغة الدينية وتدعي تمثيلها الإسلام مثل تنظيم فتح الله غولن، وداعش، والقاعدة ... ثم تطغى ... وتعيث في الأرض فساداً، وتستغل موارد المسلمين لمصلحتها " ²⁵⁵، ولا شك أن للتنظيمات الإرهابية الأخرى خطراً يحدق بالأمة ووحدها، كحزب الله اللبناني، وحركة النجباء العراقية، وعصابات الحق والموت، والثورة الخمينية، ويضيف الكاتب قوله: " هي أول ما تسبب الأذى وتلحق

²⁵⁴ الأوبزرفر: الجهاد في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، 2014/08/24،

. https://www.bbc.com/arabic/inthepress/2014/08/140823_in_the_press_on_sunday

بالأضرار الجسيمة بالمجتمعات الإسلامية نفسها، وبوحدتنا، وبمستقبلنا، وبشبابنا " 256.

ومما لا شك فيه أن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه علماء الأمة الإسلامية هو اعتقادهم أن الجهاد محصور في ساحات القتال، تاركين ساحة الإدراك والفهم لأناس قد عاثوا الفساد في عقول الناس، ويمررون أفكاره المنتنة عبر تلك الوسائل التي تم إعدادها في مطابخ الغرب وأمريكا، وفي كثير من الأحيان في بعض الدول الإسلامية، بينما أهل الحل والعقد منشغلون بقضايا جانبية وثانوية.

ولا نخفي شكوكنا بأن تلك الحركات مدعومة بشكل جدي من الدول التي تعادي الأمة الإسلامية، وما تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) ببعيد عن ذلك، فقد تمكن هذا التنظيم من الظهور إعلامياً في وسائل التواصل بشكل عجيب، حتى بلغ حجمه الإعلامي أضعاف حجمه الحقيقي على أرض الواقع، وهذا ما أثبتته وسائل التواصل الغربية بنفسها.

لو دققنا في بناء هذا التنظيم وسواه، وفي ظروف نشأتهم، لوجدنا أن معظمها تابع لأميركا والدول الغربية تنفيذاً لأجنداتهم وخدمة لمصالحهم، فقد ظهر للعلن أنه صنع استخباري عالمي كان الهدف منه تشويه صورة الإسلام في العالم كله.

في خضم هذه الوقائع فإن أهم شيء يجب أن يقوم به العلماء والعاملون في ميدان وسائل التواصل هو تعرية تلك الأفكار المنحرفة، من خلال كتابة المقالات ونشرها، وإقامة الندوات والمحاضرات التي تعرف الناس بالإسلام ومبادئه السمحة. فالجهاد اليوم لا تقتصر مفاهيمه على ساحات المعارك فحسب، بل لا بد

²⁵⁵ الداعش تنظيمًا مستقلاً للدين ، لابساً ثياب الذعر والرعب والقتل ، منشورات رئاسة الشؤون الدينية في أنقرة، (أنقرة : ط 2 ، 2018 م) ، ص

من التركيز على ذلك الجهاد الذي يدور في ميدان وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال محاربة الحركات الإسلامية المشبوهة، وتوضيح خطرها، وزيادة الوعي الإسلامي عند المسلمين، وخاصة المثقفين منهم، قبل توعية الكفار والمشركين.

إن إهمال هذا المفهوم كان سبباً في تلك النكبات والنكسات التي تعاني منها الدول الإسلامية اليوم، وخاصة الدول العربية منها، وما الذباب الإلكتروني الذي ظهر في غالب البلاد العربية إلا أكبر دليل على أن الأمة قد جانبت الصواب في استخفافها بوسائل التواصل الاجتماعي، يقول علي بن نايف الشحود صاحب كتاب الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل: " أدى التطور الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات إلى تيسير التواصل بين جميع الدول والشعوب، ولاشك أننا نستطيع استثمار هذه الوسائل الحديثة في التحاور والتواصل والتبادل الحضاري مع الآخرين، وعلى رأس هذه الوسائل الحديثة تأتي شبكة المعلومات الدولية " 257.

وفي معرض حديثه عن وسائل التواصل الاجتماعي وأنها كانت السبب في دخول كثيرين في الإسلام، يقول: "وبكفي أن نشير إلى الملايين من الأوروبيين والأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام خلال بضع سنين منذ اكتشاف الإنترنت كوسيلة فائقة السرعة زهيدة التكلفة للحصول على المعلومات والاتصال بالآخرين " 258، وهذه حقيقة وليست من الخيال، فالكثير من الناس لم يسمعوا عن الإسلام شيئاً إلا بعد ظهور هذا التطور في

²⁵⁶ الداعش تنظيمياً مستغلاً للدين لابساً ثياب الذعر والرعب والقتل ، ص 12 .

²⁵⁷ علي بن نايف الشحود ، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ، الفصل الثامن : وسائل التواصل ، الحضارة الإسلامية وأسباب سقوطها وعوامل النهوض بها ، ص 1276 .

²⁵⁸ علي بن نايف الشحود ، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ، الفصل الثامن : وسائل التواصل ، الحضارة الإسلامية وأسباب سقوطها وعوامل النهوض بها ، ص 1276 .

وسائل التواصل الاجتماعي.

والحقيقة التي لا غبار عليها أن تلك الوسائل أصبحت وسيلة من وسائل الجهاد عند كثير من التنظيمات والحركات الإسلامية، فما ينبغي الاستخفاف بها، وما ينبغي تركها لتلك الحركات التي تهدف لتأمين مصالحها على حساب الدين الإسلامي، فإذا ما تركها العلماء والغيارى على الدين من المثقفين، فإنه عندئذ سيستلم زمام أمورها جماعات وحركات تمّ تنصيبها من جهات غربية معروفة، تسعى لتطوير التخلف في بلاد المسلمين.

ولذا فقد رأينا في العقدين الماضيين أن وسائل التواصل الاجتماعي تلك قد عملت على إظهار الجهاد الإسلامي في المجتمعات الغربية بصورة مزيفة خالية من المهنية، صارفين في سبيل ذلك الأموال الطائلة، وموجهين كامل تركيزهم على تلك الفيديوهات المنتشرة في وسائل التواصل الاجتماعي، والتي هي بدورها تسبب لسمعة الإسلام والمسلمين، فبدأت وسائل الإعلام الغربية المرئية منها والمسموعة تعمل في الليل والنهار لتلصق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الطويل، عن سمرة بن جندب: " ... وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه وعينه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، فإنه رجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق"²⁵⁹، ولعل هذا هو حال أولئك الذين يجعلون من وسائل التواصل الاجتماعي مطية لبلوغ مآرهم، سواء أكانوا من المسلمين أنفسهم، أو من الطرف الآخر الذي يسعى لتشويه صورة الإسلام المسلمين باسم الإرهاب.

وفي النتيجة لا يخفى أن أمريكا والدول الغربية قد عملوا على تجنيد أولئك الإسلاميين المتشددين من مواطنيهم ممن يحملون جنسية تلك البلاد، من خلال عمل استخباراتي رهيب ومنظم، وإرسالهم إلى غالب الدول الإسلامية، كأفغانستان والعراق وسوريا وليبيا وغيرها من الدول، ولا شك أن ذلك يعود لأمرين لا ثالث لهما:

الأول: التخلص من هؤلاء المتشددين بدون بذل الوقت والمال في ملاحقتهم، لئلا يقوموا بأعمال تخريبية في بلادهم.

الثاني: العمل على تكوين فكرة عامة لدى المجتمعات الغربية أن الإسلام دين الإرهاب والقتل.

فتفتحت لهم الحدود، وهيأت الظروف اللازمة لمهمتهم، وأمدتهم بكل ما يحتاجون إليه من مال وعتاد، فكثر وجودهم في غالب البلاد الإسلامية وخاصة في أفغانستان وفي سورية والعراق.

نعم لقد كثرت هجرة أولئك المجندين لتنفيذ تلك المخططات القذرة، والتي يعاني المسلمون من نتائجها في الزمن الحالي، فكم من أولئك الذين جُندوا لهذه المهمة قد لاقوا حتفهم وقتلوا، وكم من قائد إسلامي في تلك التنظيمات وتلك الحركات يظهر عند إنتهاء مهمته أنه عميل لأمريكا، أو لإحدى الدول الغربية، هذه الحقائق ليس من نسج الخيال، وإنما وقائع يشهد عليها آلاف من الناس في سوريا والعراق وفي غيرها من الدول الإسلامية، لا أقول أن مرد ذلك فقط إلى وسائل التواصل الاجتماعي، وإنما الفضل الأكبر يعود لها.

²⁵⁹ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، باب: ما قالوا فيما يخبره النبي صلى الله عليه وسلم، 177/6، حديث رقم: 30486.

رأي الباحث

يرى في هذا المطلب عدة نقاط مهمة تتمثل فيما يلي:

إن الجهاد القتالي ليس لإرغام الناس على الدخول في دين الإسلام كما يتصوره كثيرون، وإنما الباعث الذي يجعل من الجهاد القتالي أمراً واقعياً هو درء الإعتداء على المسلمين، ونشر الدعوة الإسلامية في بلاد الكفار والمشركين.

بعض المسلمين الذين يدعون أنهم نذروا أنفسهم لخدمة الدين، يطالبون بطي الجهاد القتالي من أذهان المسلمين، معتبرين أن ترديد هذا المعنى أساء من سمعة المسلمين، ومعلوم ما في هذا الإدعاء من خلط لأحكام الجهاد.

الجهاد ليس غاية بل هو وسيلة لتحقيق غاية، مع التأكيد على أنه إذا كان هناك طريق غير الجهاد لبلوغ تلك الغاية، فإنه على القتال.

ما تنادي به بعض الحركات الإصلاحية الحديثة، من إعادة تفسير النصوص الشرعية وتأويلها بما يوافق متطلبات العصر الحديث، وتحديد الخطاب الديني وفقاً لتغير المكان والزمان، لا يتوافق والنصوص الشرعية، وبالتالي وجب إنكاره.

الدفاع عن الوطن والأهل والعرض من المتفق عليه في كافة الشرائع الدينية، وحتى في القوانين الوضعية الحديثة، وأن العلماء اتفقوا على أن الأعداء إذا اعتدوا على البلد وجب على أهلها جهادهم كل بحسب استطاعته وطاقته.

لا ينبغي أن يكون الهدف من العمل بالجهاد السياسي الوصول إلى سُدّة السلطة والانفراد بها، وإنما العمل على تمكين الأمة الإسلامية من الحصول على حقوقها دون الحاجة إلى إراقة الدماء وتحريك الجيوش.

الجهاد لا يجب في حق النساء إلا إذا اقتضت الضرورة، وذلك في حالة النفير العام، عندما يهجم العدو بكل قوته على البلاد الإسلامية، فإنه عند ذلك يترتب عليها أن تجاهد وتقدم بقدر ما تستطيع.

في خضم هذه الوقائع فإن أهم شيء يجب أن يقوم به العلماء والعاملون في ميدان وسائل التواصل هو تعرية تلك الأفكار المنحرفة، فالجهاد اليوم لا تقتصر مفاهيمه على ساحات المعارك فحسب، بل لا بد من التركيز على ذلك الجهاد الذي يدور في ميدان وسائل التواصل الإجتماعي.

المبحث الثاني التوظيفات المعاصرة للجهاد

إن الجهاد في سبيل الله تعالى وسيلة وليس غاية في حد ذاته، كما تم ذكره آنفاً، فإذا ما ذكر الجهاد فإن يستلزم أن يكون هناك إعتداء على المسلمين وممتلكاتهم، أو أن الكفار والمشركين وقفوا صدىً في وجه الدعوة الإسلامية، فهناك ترابط وتلازم بين الجهاد وأسبابه، بعيد عن المصالح والمنافع الشخصية.

وبناء عليه فإنه لا يمكن استخدام الجهاد من أجل أغراض شخصية، أو لأغراض نفع مجموعة من المسلمين، ولا يجوز أن يكون الجهاد سبباً في الفساد في الأرض، من من خلال نشر القتل والاستعباد بين الناس، وهدم الأماكن الحضارية والتاريخية بغية تحقيق أكبر قدر ممكن من منافع الدنيا.

بعض الجماعات والحركات الإسلامية عملوا على هذا المبدأ، فنشأت النزاعات العصبية، التي فتكت بالأمة وأضعفتها وهددت كيانها.

وما يهم في هذا المبحث هو التركيز على تلك التوظيفات التي قامت بها الحركات الجهادية، ونقول الجهادية

نزولاً على زعمهم بأنهم من المجاهدين، وهذه التوظيفات تتمثل في التوظيف السياسي، والتوظيف المذهبي، والتوظيف الإقتصادي.

المطلب الأول: التوظيف السياسي للجهاد

لا نبالغ بالقول إن كثيراً من الحركات الجهادية وكذلك بعض البلاد الإسلامية يعبرون عن أهدافهم وطموحاتهم السياسية من خلال فكر الجهاد، وهذا من الأمور البديهية في الدين الإسلامي، لكن الذي يحصل في الزمن الحديث هو تفرغ الجهاد من مضمونه، وجعله سبيلاً للوصول إلى المآرب التي في غالبها فردية أو حتى جماعية لكنها على مستوى محدود من فئات الشعب، من خلال تأويل النصوص الشرعية بحسب السياسة والأهواء التي تعصف بالأفكار يميناً وشمالاً، عندها سيكون الجهاد محصوراً بالدول القوية التي تبذل ما في وسعها لتجعل من المجاهدين أداةً تستخدمهم في الوقت الذي يعتقدون أنه يخدم ويصب في مصلحتهم، وما فكر بعض التنظيمات الإسلامية والحركات الجهادية في بعض الدول الإسلامية إلا تطبيق عملي لهذا المفهوم.

ولو أردنا أن ننظر مثلاً إلى تنظيم الدولة في العراق والشام لوجدناه امتداداً لتنظيم القاعدة الذي نشأ في أفغانستان، والذي يمثل الفكر التكفيري السياسي، وخاصة في أحكام الجهاد والثورة في وجه الحكام، إذ ينصب كامل اعتماده على علماء الدين الذين أخذوا بأفكاره والتزموا بها، ومن ثم يجعلون من أقوال هؤلاء العلماء مرجعية يستندون إليها في تكفيرهم للبلاد الإسلامية وحكامها، وفي مقدمتها المملكة السعودية ومصر وتركيا وغيرها من البلاد.

كما ويعتمدون على آيات وردت في حق وقائع معينة جرت في أوائل العهد الإسلامي ويسقطونها

على وقائع وقعت في الزمن الحالي، بالرغم من مخالفتها للسبب والعلة، فهم يجتزئون النصوص ويفسرونها بما يوافق هواهم ومذهبهم.

وبالمقابل فإن الدين الإسلامي بتعاليمه القطعية مرجعية حقيقية للسياسة - طبعاً دون الخروج عن روح التشريع ودون المساس بالأحكام الجهادية بتأويلات فاسدة - فيمكن أن يشكّل ذلك وعياً في التفكير السياسي، لأنه في الأول والأخير مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وما التجربة الناجحة التي مرت بالخلافة العثمانية إلا من خلال جعل الدين مرجعاً للسياسيين، حيث كانوا حريصين كل الحرص على أن يجعلوا الإسلام المرجع المعتمد في تشريع الأحكام التي تختص بالمسلمين وغير المسلمين، فقد عملوا على انسجام المجتمع تحت راية تعاليم الإسلام وتشريعاته، فكان نتيجة ذلك بقاء المجتمع فترة طويلة من الزمن يعيش حالة السلم والأمن والتسامح، وعلى غير عادة الحركات الجهادية في زماننا فإن الخلافة العثمانية نجحت في ترسيخ الحقوق الدينية دون تمييز بين الأديان، فكانت مثلاً للتعايش بين جميع أفراد المجتمع .

رأي الباحث

يرى الباحث أن الجهاد ينبغي أن لا يخضع لاعتبارات توظيفية تصب في مصلحة فردية، أو في مصلحة جماعية إلا أنها تشمل عدد محدود من فئات الناس، ولا ينبغي تسخير الجهاد للوصول إلى منصب سياسي، بل يجب أن يكون الجهاد من أجل الله وإعلاء لكلمته ونشر دعوته سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: التوظيف المذهبي للجهاد

لا شك أن تعدد المذاهب في البلاد الإسلامية وخاصة البلاد العربية منها جعلت الدوافع الجهادية تختلف من مذهب إلى آخر، ومن حركة إلى أخرى، والمشكلة التي وقع فيها المسلمون اليوم، هي توظيف الجهاد في خدمة التوجه الذي يسلكه والمذهب الذي يعتنقه، وهذا يعني أن الأهداف في الجهاد تتبع لنصرة المذهب لا لنصرة الدين، وبذلك يصبح الجهاد ضحية للفكر المذهبي.

وبسبب ذلك فقد المسلمون الثقة بالحركات الجهادية، وحتى بالدول التي تدّعي الجهاد في الزمن الحاضر، وأصبحت الدول الإسلامية رهينة لأعدائهم، دون أن تميز صديقتها من عدوها، في ظل تأجيج ممنهج للصراعات المذهبية.

إن مفهوم الجهاد في المجتمعات الإسلامية قد اعتراه انحراف في المنهج والمرجع، وصار في نظر الكثيرين مفهوماً طراً عليه التحريف والتبديل، فما هو صحيح عند فئة من المجاهدين يكون خطأً عند أخرى، والدليل على ذلك الاقتتال رهيب الحاصل بين المسلمين أنفسهم اليوم، فالمسلم يقتل أخاه المسلم باسم الجهاد، وبعثاده أنه في سبيل الله تعالى، والحركات الجهادية المتعددة تتناحر فيما بينها أيضاً باسم الجهاد، وبعثاده أنه في سبيل الله تعالى، وكل منهم يدعي أنه على طريق الجهاد المستقيم، وما يحصل في العراق وسوريا وليبيا واليمن والسودان أكبر شاهد على ذلك.

يجب على المسلمين أن يعرفوا إلى أي وجهة سيذهبون وهم يمشون باسم الإسلام، ومع من يجب أن يقفوا ويتعاونوا، ومن هو العدو ومن هو الصديق، هذه من أهم المفاهيم التي ينبغي أن يعلمها المسلمون في جهادهم.

إن الصراعات المذهبية لا تغني من الحق شيئاً، وهي تزيد من تفرقة المسلمين وإضعافهم، ومن الخطأ الجسيم الذي يقع فيه المسلمون اليوم هو توظيف الجهاد للانتصار المذهبي، فإن غالب التوجهات الجهادية اليوم تنصب لهدف واحد – إلا من رحم ربي – وهو كيف ينتصر لمذهبه ويحافظ على مكتسباته والبقاء في السلطة، في ظل مفهوم لا يُستعمل إلا في حياة الغابات والصحارى، إلا أنه ساد في الفترة الأخيرة في بعض الدول الإسلامية، ويُرى بشكل واضح: البقاء للأقوى، ذلك لأن الحركة الجهادية القوية هي الغالبة ويدها مقاليد الأمور، وتفرض سياستها ومذهبها في المكان الذي تشاء رغماً عن الجميع.

ومن المعلوم أن الجهاد ينبغي أن يكون لله ومن أجل الله تعالى، لا لمصلحة دنيوية زائلة لا قيمة لها، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78]، يقول عمر نصوحي بلمان أن الجهاد في هذه الآية لا يقتصر معناه على جهاد الكفار والمشركين في أرض المعركة بل يتعدى ذلك إلى أن الآية تشتمل على مجاهدة النفس هواها وتهذيبها من جلال القيام بالطاعات وترك المنكرات²⁶⁰.

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، " أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يقاتل ليرى مكانه، ويقاتل للذكر ويقاتل للمغنم، فمن في سبيل الله، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "

²⁶⁰ Ömer Nasuhi Bilmen, *Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meâl-i Âlisi ve Tefsiri*, Bilmen Yayınları, İstanbul, 1985, V/2255.

والشيء الذي يجعل المسلم يتفطر أماً أن من ثمرات التاريخ الفكري والمذهبي ظهور الكثير من العلوم الفكرية والمسائل المذهبية التي لا تفسد للود قضية، حيث كانت العلوم الإسلامية تزداد تقدماً وثراء بتلك الاجتهادات، على عكس ما عليه حال المسلمين اليوم، فقد غدا الاقتتال الطائفي نتيجة للاختلاف المذهبي، وهذا ما عمل عليه أعداء الأمة الإسلامية منذ القديم وإلى يومنا هذا، وربما إذا أردنا التعمق في التاريخ الإسلامي وجدنا أن هذه الجهود قد بذلت منذ تلك الفتنة التي وقعت بين سيدنا علي كرم الله وجهه وبين معاوية رضي الله عنه.

وعند الحديث عن الاختلاف المذهبي فيما بين المسلمين فإنه لا يُقصد الاختلاف بين المذاهب الأربعة المعروفة، وإنما يتجه القصد إلى تلك النعرة التي أصبحت واقعاً يعيشه المسلمون، هذا سني وهذا شيعي، وكل فرقة تنضوي تحتها عدة مذاهب، السني السلفي، والسني الوهابي، والسني الصوفي وهكذا، وكذلك الفرق الشيعية، فإنه ينضوي تحتها المذاهب الكثيرة، المذهب الزيدي، والمذهب الجعفري والإمامية وغيرها من المذاهب الشيعية المعروفة.

نشأت النعرات الطائفية تحت مسميات مختلفة، وفي أماكن مختلفة من البلاد الإسلامية، وكل طائفة تدعي الجهاد نصرة لأفكارها ومذهبها، وهذا مصداق قول المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي يرويه عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار،

²⁶¹ أخرجه أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ، مسند أبي داود الطيالسي ، باب : أحاديث أبي موسى الأشعري رحمه الله ، تحقيق محمد بن

وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفتقرن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة " 262.

رأي الباحث

يرى الباحث أن الجهاد ينبغي أن لا يخضع لاعتبارات توظيفية تصب في مصلحة نصره المذهب، وليس من الصواب تسخير الجهاد انتصاراً للطائفة والمذهب، بل يجب أن يكون الجهاد من أجل الله وإعلاء لكلمته ونشر دعوته سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: التوظيف الإقتصادي للجهاد

الأصل في الجانب الإقتصادي للجهاد هو أن يبذل المسلم ماله في سبيل الله تعالى، وإعلاء لكلمته ودينه، من خلال تأمين مستلزمات القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 10-11]، يقول الإمام القنوجي رحمه الله تعالى: " قدّم ذكر الأموال على الأنفس لأنها هي التي يبدأ بها في الإنفاق والتجهز إلى الجهاد، أو لعزتها في ذلك الوقت " 263، هذا ما يقرره الدين الإسلامي الذي شرعه الله تعالى.

فإذا ما خرج المسلمون في جهادهم عن هذا السبيل، تحول جهادهم إلى مجموعة من الأعمال تهدف

عبد المحسن التركي (مصر، دار هجر، ط 1، 1419 هـ، 1999 م)، 393/1، حديث رقم: 488 .
262 أخرجه ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، باب: افتراق الأمم، 1322/2، حديث رقم: 3992، حديث حسن لغيره .

إلى جمع أكبر قدر ممكن من متاع الدنيا بطرق مشروعة وفي أكثرها غير مشروعة، وبالتالي تأثر التنظيمات والحركات الجهادية بالعامل الاقتصادي، ومن ثم القضاء على الدعوة منذ بدايتها، والواقع الذي تعيشه تلك الحركات الجهادية المتعددة خير دليل لمن تفكر وتأمل.

مر فيما سبق أن الباعث على الجهاد عند المسلمين هو إعلاء كلمة الله تعالى، ومنع الظلم والاعتداء، لا من أجل الحصول على الغنائم وجمع الأموال، فإذا قيل: لماذا أباح الله تعالى للمسلمين الإستيلاء على غنائم المشركين، طالما أن الهدف من الجهاد إعلاء كلمة الله تعالى؟، والجواب على هذا التساؤل: إن الله تعالى أباح للمسلمين الغنائم لأن هذه الأموال التي بيد المشركين هي أقوى الوسائل التي يمتلكها المشركون في حربهم مع المسلمين، والسيطرة على هذه الأموال تعني القضاء على أهم وسيلة من وسائل الحرب التي يستعملونها في حربهم ضد المسلمين، وأن الحصول على تلك الغنائم وسيلة للقضاء على غاياتهم، وليس غاية في حد ذاتها، وأوضح الأدلة على ذلك هو أن الغنائم التي اغتنتها المسلمون في حروبهم كانوا يعيدونها إلى أصحابها في حال إسلامهم أو دخولهم في أهل الذمة.

وما يهم ذكره هنا هو توظيف الجهاد من أجل تحصيل الأموال والغنائم بطرق غير شرعية، وهذا لا شك أكبر عقبة تقف في سبيل الجهاد، لأن توظيف الجهاد من أجل الرغبات الشخصية هو الأساس في ضعف المسلمين وهزيمتهم في أكثر الأحيان، سواء أكان ذلك على مستوى الدول أو على مستوى الحركات الجهادية والتنظيمات الإسلامية.

وإذا أردنا تشخيص التنظيمات والحركات الجهادية اليوم فإنه يمكن القول: إن غالب الحركات الجهادية

²⁶³ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، (بيروت : المكتبة العصرية

التي ظهرت في العصر الحديث تفتقر إلى القيادة الصالحة، إلا ما ندر، فالقيادات الفاسدة لتلك الحركات جعلت من استمرارية الجهاد بالشكل الذي يرتضيه الله تعالى لعباده من الأمور المستبعدة، فكم وكم من هذه القيادات ظهرت على الساحة تنادي باسم الجهاد للقضاء على الظلم، لكنها استغلت ظروف الحرب، ولما سنحت الفرصة أمامها لنهب الأموال والثروات تنكرت وتخلت عن مسؤوليتها، وبالتالي أدى ذلك إلى ضعف تلك الحركات بل إندثارها تماماً، حصل ذلك مع الكثير من تلك الحركات في أفغانستان وإندونيسيا، وباكستان في مناطق كشمير، والشيشان، والفلبين، والجزائر، وإرتيريا، والعراق، واليمن، وليبيا، وسوريا، حيث أن بعض تلك الحركات كانت تجاهد بتمويل مادي من أعداء المسلمين أنفسهم، من أمريكا، والهدف من ذلك التمويل تحقيق مصالح الدول الداعمة.

ففي أفغانستان مثلاً، انتشر الجهاد في ذلك البلد بتمويل من دول إسلامية وغير إسلامية، فهل كان ذلك التمويل لنشر الدعوة الإسلامية؟ بالطبع لا، بل كان من أجل القضاء على الشيوعية، التي كانت العدو الأول لأمريكا والدول الغربية.

وهذا لم يكن في أفغانستان فحسب، بل كان في غالب الحركات الجهادية التي ظهرت مؤخراً، فأعداء الإسلام يحاولون تجزئة الإسلام إلى أقطاب متعددة، ثم يستخدمون القطب الذي يقدم الخدمة لمصالحهم وسياساتهم، وكذلك الأمر في جهاد بعض الدول في دعمها للحركات الجهادية، لا من أجل الإسلام والمسلمين، وإنما لتحقيق الأهداف والمصالح السياسية والاقتصادية والحركات التوسعية.

وفي نظرة سريعة لوسائل جمع الأموال عند بعض الحركات الجهادية نجدهم يعتمدون على عدة وسائل،

من هذه الوسائل تلقي الدعم من دول إسلامية وغير إسلامية، وذلك لتحقيق مكسب سياسي أو اقتصادي أو توسعي، أو حتى اجتماعي، يهدف إلى إسقاط نظام معين، قد يكون من الأنظمة الإسلامية، أو من غير الدول الإسلامية، والمهم في كلا الحالتين استعمال المجاهدين الإسلاميين، فتقوم تلك الحركات الجهادية بقيادتها الفاسدة، التي استلمت زمام الأمور وفق الخطط المتفق والمفروضة عليها، لتأمر وتنهى وتغير وتبدل وتقتل، وكل ذلك باسم الجهاد في سبيل الله تعالى.

فكانت بداية أعمال تلك الحركات المأجورة تكفير حكام المسلمين ومن يقف في صفوفهم من المسلمين، ومعلوم فإن مفهوم التكفير إنما بدأ ظهوره في السبعينات من القرن الماضي، ومنذ ذلك الحين وهو يؤدي دوره السليبي في البلدان الإسلامية.

إن التيارات والأفكار التكفيرية أضحت خطراً يهدد استقرار الأمة الإسلامية، إذ بدأ يظهر في الآونة الأخير اضطرابات فكرية وتشتت إجتماعي لم يعهده المسلمون من قبل، أدى إلى نفور لا يستهان به عند كثير من المسلمين، الذين عاينوا وشاهدوا بشاعة الأساليب والطرق المتوحشة التي تتبعها تلك التنظيمات في حق المسلمين بغية تحصيل أكبر قدر ممكن من المال، الذي يساعدهم على تنفيذ مخططاتهم العدائية، التي أمروا بتنفيذها من قبل أعداء الأمة.

وإليك مثال عن أحد القياديين في تلك التنظيمات، يقول عبد الله مهاجر وهو أحد أكبر القياديين شهرة في تلك التنظيمات في كتابه مسائل من فقه الجهاد: " إن البلاد التي يحكمها القانون ولا تحكمها الشريعة الإسلامية هي بلاد كافرة... ثم يدعي أن الإجماع على إباحة دم الكفار بدون تقييد، وأن كل من

ساعد الكفار والمشركين يُعد كُفراً يخرج صاحبه عن الملة " 264 ، ويتابع المهاجر قوله: "إن الكفر كما يكون بالقول والعمل فإنه قد يكون بالقلب، وهذا أصل متبع عند أهل السنة" 265.

وبذلك تقرر تلك الجماعات تكفير جل حكام البلاد الإسلامية وفي مقدمتهم تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية وباكستان، وغيرهم كثير، ولعل اعتمادهم في ذلك على قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 51]، دون أن يفرقوا بين تعامل المسلمين مع دول الكفر، وبين موالاته، فالعامل في قطاعات مختلفة مع الدول الغربية وغيرها من الدول الكافرة شيء، وموالاتهم شيء آخر، وكما مر سابقاً فقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: 8]، فلم ينه الله تعالى عن التعامل مع المشركين الذين لم يجاروا المسلمين ولم يقاتلوهم، من تقديم الأطعمة والألبسة، والتعامل معهم بالإحسان، وإنما النهي الذي أراده الله تعالى مع من قاتل المسلمين وحاربهم، ووقف في وجه تبليغ الدعوة الإسلامية، وقدم العون لأعداء المسلمين ولو بالرأي، لكنها في نهاية المطاف من الحيل الفقهية التي انتهجتها التنظيمات الجهادية لتحقيق مكاسب اقتصادية.

ومن الوسائل التي تعتمد عليها تلك الحركات من أجل المكاسب الاقتصادية اعتمادهم على فتاوى بعض العلماء، الذين يفتون بحلِّ أموال الدولة وأملاكها ومن يساندتهم من المسلمين، فقاموا بالسيطرة على البنوك بحجة أنها ربوية تابعة للأنظمة الكافرة، ووضعوا أيديهم على أماكن الثروات الباطنية، وعمدوا على تهريب

264 عبدالله المهاجر ، مسائل من فقه الجهاد ، عشرون مسألة من أهم ما يحتاجه المجاهد ، (مكتبة الهمة ، ط 2 ، 1436 هـ) ، ص 409-411 .

القطع الأثرية وبيعها، وأحكموا سيطرتهم على المراكز الحدودية ليسهل أمامهم ابتزاز التجار والصناع، وغير ذلك من الأعمال التي لا يقرها أي دين من الأديان.

ومن الوسائل التي اعتمدها أيضاً الاختطاف، حيث تلجأ بعض الحركات الجهادية لمثل هذه التصرفات لابتزاز الأغنياء، فيعمدون إلى اختطاف أبنائهم ومن ثم طلب الفدية مقابل إطلاق سراحه، ولا يقتصر الاختطاف في نظرهم على الأغنياء بل يتعداها إلى اختطاف الدبلوماسيين الذي ينتمون إلى الحكومات الكافرة في نظرهم، يقول أبو بكر ناجي في كتابه إدارة التوحش وهو من أكبر القياديين في التنظيمات الجهادية: " على سبيل المثال إذا قام النظام المصري المرتد بعمل قام فيه بقتل وأسر مجموعة من المجاهدين، يمكن أن يقوم شباب الجهاد في الجزيرة أو المغرب بتوجيه ضربة للسفارة المصرية...أو القيام بخطف دبلوماسيين مصريين كرهائن حتى يتم الإفراج عن مجموعة من المجاهدين" ²⁶⁶، وهذا ما حصل على أرض الواقع في كثير من البلاد الإسلامية.

ويضيف أبو محمد العدناني وهو مسؤول في تنظيم الدولة في العراق والشام: " لا بد لنا أن نصدع بحقيقة مرة لطالما كتمها العلماء واكتفى بالتلميح لها الفقهاء ألا وهي: كفر الجيوش الحامية لأنظمة الطواغيت، وفي مقدمتها الجيش المصري، والجيش الليبي، والجيش التونسي، قبل الثورة وبعدها، وهذا الجيش السوري قد بات كفره واضحاً حتى عند العجائز " ²⁶⁷، هذه هي الفتاوى التي اعتمدت عليها الحركات والتنظيمات الجهادية، والمتأمل في مقاصد الشريعة يعلم زيف هذه الفتاوى وأحرفها.

²⁶⁵ عبدالله المهاجر ، مسائل من فقه الجهاد، عشرون مسألة من أهم ما يحتاجه المجاهد، ص 411.

²⁶⁶ أبو بكر ناجي ، إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمر بها الأمة ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، ص 31 .

²⁶⁷ أبو محمد العدناني في كلمة له بثتها وسائل الإعلام بتاريخ 2013/08/31 .

ومن الوسائل التي اعتمدها أيضاً، جمع التبرعات من الدول الإسلامية الغنية بحجة دعم المجاهدين، فيعمدون على تزوير الأرقام الحقيقية للمجاهدين طعماً منهم بالحصول على المزيد من الأموال، فما يأتي من مال يوزع القليل منه على المجاهدين، والكثير منه يبقى في حوزة القيادات الفاسدة، وما الواقع الذي عايشه المسلمون مع تلك الحركات إلا أكبر شاهد على ذلك، عدا عن إجبار الأغنياء وأصحاب الزكاة دفع زكاة أموالهم للمسؤولين والقائمين على أمور تلك الحركات، واعتبار أي زكاة لا تدفع له أو عن طريقهم باطلة ولا تصح.

رأي الباحث

يتضح للباحث أن بعض التنظيمات الإسلامية والحركات الجهادية تهدف بالدرجة الأولى إلى جمع الأموال، بغض النظر عن الطرق، سواء كانت شرعية أو غير شرعية، حتى ولو كانت غير شرعية فإن فتاوى علماء السلطة الذين هيأهم تلك التنظيمات في مقبض اليد تحت تأويلات مختلفة ومبررات فقهية لا يمكن أن يقبل بها الشارع الحكيم.

وهذه الحركات التي تسعى للبقاء، تزيد من استعداداتها وقوتها من خلال الاعتماد على قوة خفية، غالباً ما تكون من الدول العظمى، لأنها في النتيجة إنما تنفذ تعليماتها لتحقيق أهدافها ومصالحها، ولذا وجب على العلماء والمفكرين العمل على تصنيف الحركات الجهادية وفق التوجهات والمعطيات على الأرض لتلك الحركات، إذ القليل من تلك الحركات صادقة في نياتها وأعمالها، والأكثرية عكس ذلك.

الفصل الثالث الشبهات التي أثرت حول الجهاد قديماً وحديثاً، والردود عليها

إن الإسلام دين واقعي، ينظر إلى حقيقية الحياة والنفوس التي تعيش فيها بنظرة واقعية، فيشرع أحكاماً تكفل إنهاء نزاعات وصراعات قد تحدث بين الناس، وذلك لتكون تلك الأحكام التي جاء بها الشرع الخفيف ردعاً لعدوان أو كبح لجماح مفسدين، والجهاد من جملة تلك الأحكام التي شرعها الدين الإسلامي.

وبعد هذه المقدمة، وبعد الحديث عن أنواع الجهاد، والتوظيفات المعاصرة له، فإن الحديث في هذا الفصل يركز على دراسة تلك الشبهات التي أثرت حول مفهوم الجهاد، سواء تلك الشبهات التي أثارها المستشرقون من أعداء الأمة الإسلامية، والتي يهدفون محلال تشويه صورة المسلمين، أو الشبهات التي أثارها المسلمون أنفسهم حول الجهاد.

فما هي الشبهات التي أثرت حول الجهاد قديماً وحديثاً وما هي الردود عليها

المبحث الأول بعض الشبهات القديمة حول الجهاد والرد عليها

بعد تأمل وتدبر في الشبهات التي أثرت عند المفسرين القدامى حول الجهاد اتضح أن تلك الشبهات محصورة في شبهتين، وأن باقي الشبهات التي أثرت حول الجهاد يمكن ذكرها وتوضيحها أثناء الحديث عن الشبهات التي أثرت حول الجهاد عند المفسرين المحدثين بإذن الله تعالى.

والشبهتان اللتان ظهرتتا بوضوح عند القدامى من المفسرين، هما: الأولى: شبهة النسخ في الجهاد وما يتعلق بها من أقوال الفقهاء والمفسرين، والشبهة الثانية: الجزية وما أثير حولها من شبهات.

المطلب الأول: شبهة النسخ في الجهاد

بعد أن تعرفنا على معاني الجهاد والمفاهيم المتصلة به، ننتقل هنا إلى الشبهات التي أثبتت حول الجهاد عند القدماء من المفسرين، وأولها شبهة النسخ في الجهاد، حيث يتم التعرف على أقوال المفسرين والفقهاء حول مسائل النسخ في آيات الجهاد وخاصة فيما يتعلق بآية السيف، ومن ثم التعرف على المراحل التدريجية التي مرت بها أحكام الجهاد منذ تشريعها.

ولا يخفى أننا عندما نتكلم عن النسخ في الجهاد فإننا غالباً ما نقصد بذلك آيات الجهاد في سورة التوبة، ففيها آخر ما نزل من آيات الجهاد والقتال، وهي من أكثر السور التي ذكر فيها أحكام الجهاد وأحكام القتال، وأولى هذه الآيات التي وقع فيه الاختلاف بين المفسرين هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 5]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: 36]، حيث ذهب بعض المفسرين والفقهاء إلى أن آية السيف قد نسخت كل الآيات التي قبلها في حق القتال، وهذه الآية دلت على المراحل التدريجية للجهاد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 39-40]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8]، وغيرها من الآيات التي تحدثت عن مراحل فرضية الجهاد.

فقد اعتبر القدامى من المفسرين والفقهاء أن هذه الآيات تقرر فرضية جهاد وقتال المشركين في كل أحوالهم، سواء أكان المشركون من أهل الحراة أو من أهل السلم، معتبرين أن هذه الآيات تنسخ الآيات التي

ذكر الله تعالى فيها السلم وعهود الهدنة مع غير المسلمين.

وبناء عليه فهل حقاً أن آيات السيف قد نسخت الآيات التي اختصت بعلاقات المسلمين مع المشركين - بما يخص السلم والمعاهدات - أم أنه لا يوجد نسخ كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين؟ والجواب على ذلك بما يلي:

إن آية السيف ناسخة لكل آيات المهادنة والصلح والسلم، وهناك الكثير من الآيات التي ذكرت ذلك، نذكر آية واحدة منها وعليها مدار الحديث بين المفسرين والفقهاء، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61]، يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: في آيات السلم والصلح مسألتين، الأولى: "إن مالوا... إلى المسالمة، أي الصلح، فمل إليها... الثانية... فقال قتادة: نسخها فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، وقالوا: نسخت براءة كل موادة، حتى يقولوا لا إله إلا الله" ²⁶⁸، وزاد القرطبي قوله: "وقال السدي وابن زيد: معنى الآية إن دعوك إلى الصلح فأجبهم، ولا نسخ فيها" ²⁶⁹.

والأمر كذلك عند الإمام الطبري رحمه الله تعالى، فقد ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام القرطبي، وزاد على ذلك بقوله: "فأما ما قاله قتادة، ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل" ²⁷⁰، فكل الإمامين القرطبي والطبري نفياً مسألة النسخ في آية السيف، واعتبرا أن قوله تعالى وإن جنحوا للسلم يتضمن الأمر بقبول المصالحة والمسالمة إن هم دعوا إليه، وإلا فالجهاد

²⁶⁸ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 39/8.

²⁶⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 40/8.

²⁷⁰ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 42/14.

والقتال.

دل قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: 5]، على الأمر بمحاربتهم إن كان ذلك من مقدور المسلمين، وأما إن كان الأعداء أقوى من المسلمين عدة وعتاداً، فإن يجوز طرح مسألة الهدنة بين الجيشين، على غرار فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار والمشركين، يقول محمد الملي يلزر في تفسيره: "مع التأكيد على أنه إذا استطاع المسلمون أسر المشركين فلا ينبغي قتلهم" ²⁷¹.

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية إن قول: " ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف ... فيه نظر ... لأن آية براءة فيها الأمر بقتلهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفاً، فإنه تجوز مهادنتهم ... كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ" ²⁷²، فالإمام ابن كثير يرد القول بنسخ الآية، ويزيد على قوله السابق في ادعاء النسخ ما نصه: " وفي هذا نظر، لأن قوله: الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ، إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم، كما قال: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً " ²⁷³.

ومما يدل على عدم وجود النسخ ما أورده الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في حق قوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا: " باب المودعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره وإثم من لم يف

²⁷¹ Elmalılı M. Hamdi Yazır, *Hak Dini Kur'an Dili*, Yenda Yayınları, İstanbul, trs, IV/318.

²⁷² أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ)، 74/4.

²⁷³ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، 387/1.

بالعهد " 274، فلو أن آية السيف كانت ناسخة لآيات الصلح والسلم، لما بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى بهذا العنوان.

وذهب الإمام البيهقي رحمه الله تعالى إلى أن آية السيف نسخت آيات العفو والصفح عن المشركين، فقد أورد في سننه ما نصه: " باب ما جاء في نسخ العفو عن المشركين ونسخ النهي عن القتال حتى يقاتلوا، والنهي عن القتال في الشهر الحرام (قال الشافعي) يقال نسخ النهي هذا كله بقول الله عز وجل وقتلوهم حتى لا تكون فتنة " 275.

وذهب الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى إلى القول بأن الأمر متروك إلى ولي أمر المسلمين، فإن وجد مصلحة المسلمين تقتضي السلم فيأخذ به، وإن غلب عل ظنه أن مصلحة المسلمين تقتضي الجهاد والقتال فلا بد منه، وذلك بحسب ما يعود بالنفع على المسلمين، وأورد في تفسيره الكشاف ما نصه: " والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يُجابوا إلى الهدنة أبداً " 276.

ومما يؤيد عدم النسخ أن الذين تخصصوا في علم الناسخ والمنسوخ، وألّفوا في حقها المصنفات الكثيرة لم يتطرقوا إلى قوله تعالى: " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا " على أنها من الآيات المنسوخة، وإنما ذكروها على أنها من الآيات المحكمات، دون التطرق إلى مسائل النسخ.

274 أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 275/6.

275 أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (مكة: دار الباز، 1414 هـ، 1994 م)، 11/9.

276 أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 221/2.

وفي مقدمة من صنف في هذا الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، الذي أورد في كتابه الإتقان في علوم القرآن أن الآيات التي نسخت في القرآن الكريم لا تتجاوز إحدى وعشرين آية، وبالرجوع إلى تلك الآيات التي ذكر الإمام السيوطي النسخ فيها لم نجد قوله تعالى: " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا " من بين الآيات المنسوخة، وقال: إن النسخ في غير هذه الآيات لا يصح،²⁷⁷، وغالب الذين صنفوا من المفسرين والعلماء في هذا الفن لم يذكروا ولم يتطرقوا إلى آيات السلم والصفح والعفو عن المشركين من بين الناسخ والمنسوخ.

من خلال ما سبق من أقوال المفسرين فإنه يتضح أماننا ما يلي:

إن الآيات التي تم ذكرها فيما يتعلق بالجهاد من الآيات المحكمات، وإن هذه الآيات تدل على أحكام تتناسب مع الفترة التي يعيش فيها المسلمون، إذ التشريعات الإسلامية من غير الفرائض والواجبات، وخاصة فيما يتعلق بالجهاد والقتال تخضع لعامل أحوال المسلمين ومصالحهم، مع الأخذ بعين الاعتبار قوتهم وضعفهم.

ولك أن تستعمل وتأخذ بذلك الضابط الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة المنورة، فإن كان المسلمون في حالة ضعف وهوان فإنهم حينئذ يجعلون من الفترة التي كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة مقياساً لهم، بحيث يقومون بواجب الدعوة إلى الله تعالى بالمناقشة والحجة والبرهان، كما كان عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان حال المسلمين يمثل القوة والاستعداد، فعندئذ يستخدم

²⁷⁷ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، 1394 هـ، 1974 م)، 63/3-77 بتصرف.

المسلمون الجهاد القتالي دون الاعتداء ومجاورة الحد، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190].

ولعل القول الفصل في هذا، هو أنه لا يمكن أن نقول بالنسخ، وذلك لعدة أسباب معتبرة، أولى هذه الأسباب أنه لا يوجد دليل صريح يقول بالنسخ، وثانيها: لا يوجد دليل صريح يقيد آية السف وآيات الصلح والسلم بزمان أو مكان معين، وثالث الأسباب: أنه لا يوجد تعارض بين آيات السيف وبين آيات السلم والصلح والعفو، فكل له وقته وله حكمه.

إن الإمام الطبري رحمه الله تعالى قد بين ذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى وإن جنحوا للسلم في معرض حديثه عن النسخ فقال: " وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن النسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك، فغير كائن ناسخاً " ²⁷⁸، ويقول الإمام الزركشي رحمه الله تعالى في البرهان: " إن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً " ²⁷⁹.

ومن هنا تظهر الحكمة الإلهية جلية، وهي أن الله تعالى ترك للنبي صلى الله عليه وسلم العمل بما يليق بحاله وحال أصحابه، بما يتعلق بأمور الجهاد والقتال، رحمة منه سبحانه وتعالى بالمسلمين، فلو أن الله تعالى ألزم النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد والقتال وهو في حالة ضعف لكان فيه ما فيه من المشقة والحرَج.

وبناء على ذلك يمكننا القول بأن الوقت الذي يكون المسلمون في أحسن حالهم، فإن الحالة في ذلك

²⁷⁸ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 42/14.

الوقت تتجه إلى دعوة المشركين إلى الإسلام، فإن لم يسلموا أوجبوا عليهم دفع الجزية، وإن كان حال المسلمين في حالة الضعف، فهنا كما أسلفنا سابقاً العمل على الدعوة إلى الإسلام بالحجج والبراهين.

يضيف الإمام الزركشي رحمه الله تعالى على هذا بقوله: " ويعود هذان الحكمان، أعني المسألة عند الضعف والمسايفة عند القوة، يعود سببهما وليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسالمة، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته " ²⁸⁰، فمضمون غالب الأقوال السابقة النظر إلى حال المسلمين من ضعف وقوة، ثم على ذلك الأساس يتم العمل عليه، وقد أورد الإمام السرخسي رحمه الله تعالى مثل هذا المعنى حيث قال: " إلا أن يكون لهم شوكة شديدة لا يقوى عليهم المسلمون فحينئذ لا بأس بأن يوادعهم ... ولأن حقيقة الجهاد في حفظ المسلمين قوة أنفسهم أولاً، ثم في قهر المشركين وكسر شوكتهم، فإذا كانوا عاجزين عن كسر شوكتهم كان عليهم أن يحفظوا قوة أنفسهم بالموادعة " ²⁸¹.

على أنه من خلال ما مر يجب التأكيد على نقطة مهمة وهي: أن هذا المفهوم الذي ذكره الإمام الزمخشري والإمام الزركشي يمكن الأخذ به في حالة جهاد ومحاربة الدول التي تريد الاعتداء على بلاد المسلمين، أي في جهاد الدفع، أي في حال تخطيط المشركين محاربة بلد من بلاد المسلمين والمسلمون في حالة ضعف لا يمكن صد ذلك العدوان، عندها نستطيع القول بتأجيل القتال إلى أن تقوى شوكة المسلمين، ويكونوا قادرين على رد ذلك الاعتداء من خلال القتال.

أما أن يكون هذا المفهوم في جهاد الطلب، ففي هذه المسألة نظر، إذ لا يمكن في جهاد الطلب أن

²⁷⁹ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط 1 ، 1376 هـ ، 1957 م) ، 42/2 .

²⁸⁰ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 43/2 .

يتوقف المسلمون عن الجهاد بسبب ضعفهم وقلة سلاحهم، فإذا توفرت القوة والسلاح جاهدوا وحاربوا بلاد غير المسلمين، كمن يقول لعدوه أنا لا أستطيع قتالك الآن لأنني ضعيف وليس معي سلاح، ولكن عندما أملك القوة التي تمتلكها، والسلاح الذي بين يديك فلسوف أحاربك، لا شك أن هذا التفكير بعيد عن المنطق كل البعد، ولا يمكن أن تقبله الشريعة الغراء، يقول الشيخ القرضاوي رحمه الله تعالى: " وسيقول الناس عنا: إن أخلاقيات المسلمين غير ثابتة، فهم يبيحون لأنفسهم في حالة القوة ما لا يبيحون لها في حالة الضعف، ولا يمكننا أن نطمئن إلى المسلمين في معاهدة أو مصالحة، لأنهم يحترمون ذلك ما داموا عاجزين، فإذا قدروا تغيير الحكم، وأباح لهم دينهم ما كان محظوراً عليهم في التعامل مع الآخرين " 282.

رأي الباحث

وبناء على ما مر فإن الباحث يرى أن أنسب الأقوال في هذه المسألة هو ما ذكره الإمام الزمخشري، من أن الأمر عائد إلى حاكم المسلمين، فإن غلب على ظنه أن الصلح والسلم أصلح وأنفع لحال الإسلام والمسلمين فيه، وإن غلب على ظنه أن الجهاد والقتال أصلح لحال الإسلام والمسلمين فيه، والله تعالى أعلم.

توضيح في مراحل تشريع الجهاد عند الفقهاء

اتفق الفقهاء والعلماء على أن فرض الجهاد إنما تم تشريعه عبر مراحل تدريجية، وهذه هي سنة الله تعالى في التشريع، فقد كانت مراحل مشروعية الجهاد تناسب إلى حد بعيد الواقع الذي كان عليه المسلمون، ففي بداية التشريع أي في مكة المكرمة كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة الكرام يتفادون كل

²⁸¹ محمد بن الحسن الشيباني، شرح السير الكبير إملاء محمد بن أحمد السرخسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417 هـ، 1997 م)، 1/133.

محاولة قد تؤدي بدورها إلى إحداث صراعات مع الجانب الآخر تكون سبباً في توقف الدعوة الإسلامية، أو على الأقل تعطيلها.

ولذلك فإن القرآن الكريم قد شرع الجهاد والقتال بالتوازن مع أحوال المسلمين وتصرفاتهم في علاقاتهم مع غير المسلمين، ومع مدى حاجة المسلمين إلى النهوض بمستواها الذي يكفل لها بناء الدولة الإسلامية على أساسها.

إن بناء الدولة الإسلامية عامل مهم في دوامها واستقرارها، ولا يخفى أن التدرج الذي حصل في تشريع الجهاد قد ترك أثراً ملموساً في نفوس المسلمين وحتى في نفوس غير المسلمين، فقد كانت الغزوات والمعارك الإسلامية تعطي طابعاً وقناعة عند غير المسلمين بالمبادرة إلى دخول الإسلام وتقبله، لما في تعاليم الإسلام من أسس ومفاهيم تسعد الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، بخلاف ما يحصل الآن من القتال والحروب الهمجية التي تدار من غير غاية ولا هدف مشروع، والتي من نتائجها الحتمية التخلف والنفور وعدم تقبل الآخر.

يمكن القول بأن الجهاد مر بمراحل تدريجية في الدعوة الإسلامية، حيث أن كل مرحلة سارت بخطوات دقيقة، دون الخروج عن مضامينها الحقيقية، بالرغم من الصعوبات التي مر بها المسلمون والضعف التي كانت تمارس في حقهم في كل مرحلة من تلك المراحل، كل ذلك لكي تمضي الدعوة الإسلامية قدماً وللوصول إلى مبتغائها وغاياتها.

²⁸² يوسف القرضاوي ، من عجائب ما قالوا في النسخ ، <https://www.iumsonline.org/fa/ContentDetails.aspx?ID=8869> ، 2018/10/30 م .

إن كل مرحلة من تلك المراحل كانت تخضع للإعداد وتهيئة الأسباب اللازمة لها في سبيل تحقيق هدفها المنشود، فالمرحلة الأولى تمثلت بقول الحق والصبر عليه، قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94].

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التي اشتملت على الدعوة إلى الله تعالى بالمجادلة الحسنة بالحجج والبراهين، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّهْم بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

ثم تأتي المرحلة الثالثة، وتمثل بأن الله تعالى أذن لنبيه بقتال الكفار والمشركين، لكن القتال في هذه المرحلة ليس فرضاً كما سيكون عليه الحال فيما بعد، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، فالقتال في هذه المرحلة منوط بدفع الظلم ومنعه.

ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي الأمر بالجهاد والقتال في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 244].

يقول الإمام العيني رحمه الله تعالى في شرح الهداية، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كان مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين ... ثم أمر بالدعاء والموعظة والمجادلة بالطريق الأحسن ... ثم أمر بالمجادلة إذا كانت البداية منهم ... أي أذن لهم بالدفع ... ثم أمر بالبداية بالقتال " ²⁸³، وقال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى: " كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ممتنعاً، لأن

²⁸³ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، البناية في شرح الهداية، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 1420 هـ ، 2000 م) ، 95-94/7 .

الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أول الأمر التبليغ والإنذار والصبر على أذى الكفار تألفا لهم، ثم بعدها أذن الله تعالى للمسلمين في القتال ... ثم أباح الابتداء به في غير الأشهر الحرم " 284.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته، فقال: " ثم أذنر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله " 285.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرسل جيشاً أوصى أميرهم بتقوى الله تعالى، ثم يقول عليه الصلاة والسلام: " وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهم ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوك إلى ذلك، فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول، من دارهم إلى دار المهاجرين ... فإن هم أبوا، فاستعن بالله عليهم، ثم قاتلهم " 286.

رأي الباحث

يرى الباحث أن لكل وضع من أوضاع المسلمين حكمه، وأن مراحل تشريع الجهاد كان ينبغي في

²⁸⁴ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، تصحيح لجنة من العلماء ، (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1357 هـ ، 1983 م) ، 211/9-212 .

²⁸⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط 27 ، 1415 هـ ، 1994 م) ، 143/3 .

²⁸⁶ أخرجه محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، باب : ذكر ما يستحب للإمام أن يوصي السرية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، 1414 هـ ، 1993 م) ، 42/11 ، حديث رقم : 4739 ، حديث صحيح .

معظم أحواله على حالة المسلمين، من ضعف وقوة، وإذا أردنا أسقاط مراحل تشريع الجهاد على واقع الأمة اليوم، فهذا يستدعي العمل من قبل علماء الأمة، من فقهاء ومحدثين ومفسرين، ليقرروا ما يوافق حال المسلمين بالتوازي مع سنة الله تعالى في تشريع أحكام الجهاد، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: شبهة الجزية

كنا قد تكلمنا عن الشبهة التي تتعلق بالنسخ في آية السف وآيات الصفح والسلم، وتم ذكر المراحل التدريجية لتشريع الجهاد، وتبين أن مرحلة من تلك المراحل تختص بدفع الجزية من قبل الكفار والمشركين الذين دخلوا في حماية الدولة الإسلامية ولم يستجيبوا لدعوة الإسلام.

قد يتساءل القارئ وما علاقة الجزية بموضوع الجهاد؟، فإن الجواب على ذلك يكون بما يلي:

طالما أن فرضية الجزية تأتي بعد فتح المسلمين لبلد غير مسلم عن طريق الجهاد، وفرضها على أهل تلك البلد إن لم يسلموا كان لا بد من ذكرها في هذه الدراسة، وخاصة وأنها قد أثير حولها الكثير من الشبهات من المستشرقين ومن خدمهم من بعض المفكرين المعاصرين، فكان لزاماً أن تبين الحقائق والردود المنطقية على تلك الشبهات.

إن الإسلام ألزم على من يعيش في البلاد الإسلامية من غير المسلمين أن تؤخذ منه الجزية مقابل الأمان والحماية، وقد استشكل هذا على بعض المستشرقين وخدمهم من بعض علماء المسلمين، وادعوا أن الجزية تتعارض مع تعاليم الإسلام، فقالوا: إن الإسلام بتعاليمه يدعو إلى السماحة والصفح والعفو والعدل، فأين يتمثل العفو والسمح والعدل في فرض الجزية؟، ويضيفون: أليس من الظلم والحيف أن يفرض الإسلام

على من يخالفه ضريبة يدفعها، فقط لأنه لم يدخل في الإسلام؟

والحقيقة ليس كما يقولون، لأنهم ركزوا على هذه النقطة دون الخوض في تفاصيلها، ولو أنهم علموا ما يقابل الجزية، وما يترتب على المسلمين مقابل دفعها لما اتخذوا هذا الموقف السلبي من الإسلام، لأن الإسلام قد تكفل بحفظ حقوق دافع الجزية بكل جوانب حياته، فلا ضير إذا قلنا أن الإسلام قد تميز في هذه النقطة عن جميع الأديان السابقة من اضطهادهم وظلمهم لدافع الجزية، لأن الجزية لم تكن بدعة جاء بها الدين الإسلامي، وإنما كانت غالبية في تعاملات الأمم السابقة مع البلدان الضعيفة، والماضي من التاريخ لأكبر دليل على ذلك.

فمن المعلوم أن مصطلح الجزية مصطلح قديم يتضمن دفع قيمة مادية تدفع من الطرف الضعيف إلى الجانب الأقوى، وهي إما أن تكون إجبارية، وإما أن تكون من خلال الإتفاقات والمعاهدات، يقابلها شيء يتفق عليه الطرفان، والأدلة كثيرة على أن مصطلح الجزية تم استعماله منذ القديم، أي قبل ظهور الدعوة الإسلامية.

من هذه الأدلة ما ورد في الإنجيل على لسان يسوع على حد تعبيرهم ما نصه: " مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكيلا أسلم إلى اليهود، وعندما أرادوا أن يأخذوه بمكر قدموا له ديناراً وسألوه: أتعطي جزية لقيصر؟ فأجابهم: لمن هذه الصورة، ولمن الكتابة؟ قالوا: لقيصر؟ قال: ما لقيصر لقيصر، وما لله لله " ²⁸⁷، جاء أيضاً في كتاب تخجيل من حلاف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الهاشمي ما نصه: " جاء الجباة من قبل قيصر إلى بطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يؤدي الغرم؟ فذكر بطرس ذلك ليسوع فقال: يا بطرس والبنون أيضاً تؤدّي الغرم، ثم قال له: امض إلى البحر، وألق الصنارة

فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تؤدي عني وعنك " 288، وهناك أدلة كثيرة ذكرت في إنجيل متى وبرنابا وفي غيرها من الكتب القديمة.

وأما في صدر الإسلام فإن الجزية ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29]. وكذلك فقد ذكرت الجزية في السنة النبوية، إلا أن الأحاديث التي وردت في حقها لم توضح بشكل صريح ما يدل على ماهيتها، بذكر العلة والمقدار وممن تؤخذ بشكل صريح.

إلا أن المفسرين والفقهاء قد عمدوا على توضيحها وتبيينها فقالوا: إن الجزية لا تؤخذ من غير المسلمين الضعفاء بسبب ضعفهم، وإنما لتكون معاهدة بين الطرفين، يتكفل طرف المسلمين بحماية الطرف الآخر ورعايته من خلال الوفاء بالعهد واحترام الموائيق المتفق عليها، يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين ... وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم " 289، ويقول الدكتور وهبه الزحيلي رحمه الله تعالى في كتابه آثار الحرب: " والجزية تطلق على العقد وعلى المال الملتزم به، وهي مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم وتمكينهم من سكنى دارنا " 290، أي الجزية مقابل الأمان والحماية.

²⁸⁷ إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى من الله عليه بالإسلام)، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، (دار المنار، 1409 هـ، 1989 م)، ص 81.

²⁸⁸ صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبدالرحمن قده، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط 1، 1419 هـ، 1998 م)، 314/1.

²⁸⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 112/8.

²⁹⁰ وهبه الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، (دمشق: دار الفكر)، ص 684.

وفي هذا المعنى للجزية تظهر أمامنا عدة تساؤلات أثرت حول الجزية تحتاج الإجابة عليها، والرد على

منتقديها، وهذه التساؤلات تتمثل كالآتي:

ما هي أسباب الجزية عند المفسرين والفقهاء، وهل الجزية متعارضة مع الحرية الدينية لغير المسلمين،
والتساؤل الأهم الذي أثير حولها، هل الجزية سارية المفعول في زماننا ؟ ويمكن الإجابة على مثل هذه
التساؤلات بما يلي:

أولاً: ما هي أسباب الجزية عند العلماء والفقهاء

تعددت أقوال العلماء في مسألة الجزية، هل هل بسبب الكفر، أم أنها مقابل الحماية، أم أن لها
أسباب أخرى، جاء في الموسوعة الفقهية الشاملة ما نصه: "ذهب أبو حنيفة وبعض المالكية إلى أنها وجبت
عقوبة على الإصرار على الكفر " ²⁹¹، وذهب الجمهور إلى أن الجزية إنما تؤخذ مقابل حمايتهم في دار
الإسلام، أو مقابل العفو عنهم من القتل، أو مقابل الإقامة في دار الإسلام.

يقول محمود السقار في كتابه التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم: "وفي مقابل هذه الدنانير
المعدودات فإن المسلمين يلتزمون بالدفاع عن أهل الذمة وحمايتهم، ولو أدى ذلك إلى إزهاق أرواحهم في
سبيل حماية أهل ذمتهم " ²⁹²، وجاء أيضاً في الموسوعة الفقهية: " وذهب بعض فقهاء الحنفية إلى أن الجزية
صلة مالية تجب على أهل الذمة، وليست بدلاً عن شيء، فهي ليست بدلاً عن حقن الدم " ²⁹³.

²⁹¹ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، (الكويت : دار السلاسل، 1404- 1427 هـ)، 162/15 .

²⁹² منقذ بن محمود السقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، (مكة : رابطة العالم الإسلامي، ط 1، 1427 هـ، 2006 م)، ص 41

²⁹³ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، 164/15 .

نعلم مما مر من أقوال الفقهاء والمفسرين أن الجزية إما عقوبة لهم لأنهم لم يقبلوا الإسلام، أو أنها في غالب أقوال الفقهاء عبارة عن بدل نقدي يدفعه أهل الذمة مقابل حمايتهم في بلاد المسلمين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

ثانياً: هل الجزية متعارضة مع الحرية الدينية لغير المسلمين

وبعد الاطلاع على أقوال العلماء والفقهاء في ماهية الجزية وأسبابها، فإن الحديث الآن يدور حول تلك الشبهة التي أثارها المستشرقون وخدمهم من بعض علماء المسلمين، من أن الجزية تتعارض مع حرية الاعتقاد لكل شخص.

لكن وقبل الدخول في صلب المسألة لا بد من التوضيح بأن هذا المصلح - حرية الاعتقاد - إنما هو مصطلح دخيل، أوجده أعداء الأمة الإسلامية وفي مقدمتهم دول الغرب، وعملوا على ترسيخه عند المفكرين الإسلاميين، ليقوموا بدورهم في جعله قانوناً من قوانين الشريعة الإسلامية.

وللرد على مثل تلك الشبهات يمكن القول: إن الآيات والأحاديث التي تحدثت عن دخول الكفار في الإسلام ودفعهم للجزية لم تحمل في معانيها أي معنى من معاني الإكراه، وإنما بينت حال من ينضوي تحت سلطان الدولة الإسلامية، بحيث يخضع لقوانينها وأحكامها الإسلامية دون أي اعتراض، لأن الأحكام الإسلامية إنما هي لتنظيم الحياة الاجتماعية، ومنع الظلم والتجاوز على ممتلكات الناس مهما كانت دياناتهم وتوجهاتهم.

ولهذا السبب شرع الله تعالى الجزية على كل من لم يسلم، ويعيش في بلاد الإسلام، ولكي يبقى القانون السائد والتبعية المطلقة من المسلمين وغير المسلمين لقوانين الإسلام ونظامه العام، وهذا المفهوم كما

ذكرنا سابقاً يتعارض مع توجه الدول الغربية للحرية الدينية، الذين يدعون أن للإنسان الحرية المطلقة، ولا يحق لأحد أن يفرض عليه شيئاً.

نعم إن الجزية تتعارض مع حرية الاعتقاد لكن من منظور غربي، وليس من منظور إسلامي، فالإسلام يدعو بكل قوانينه وتشريعاته إلى أن يكون الأساس في تعامل المسلمين مع غيرهم مبني على الاحترام المتبادل والبر مع الناس كافة، يظهر ذلك جلياً في الرسائل التي أرسلها النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وزعماء القبائل في ذلك الوقت، فقد كان من مضامين تلك الرسائل: أنه من كان نصرانياً أو يهودياً فإنه لا يفتن عن دينه، وعليه دفع الجزية، أي لا يكره على تغيير دينه، مقابل أن يدفع بدلاظض نقدياً إن كان مستطيعاً، وإلا فلا شيء عليه.

وبالمقابل فإن النبي صلى الله عليه وسلم يعاهدهم بدمته، فيتمتعون بكامل حقوقهم، ويعاملون معاملة المسلمين، قال عليه الصلاة والسلام: " ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة " ²⁹⁴، ويروى: " عن عمر رضي الله عنه أنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، كنا أخذنا منك الجزية في شببتك، ثم ضيعناك في كبرك ! ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه " ²⁹⁵.

وكذلك الأمر عند عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه، وذلك أن والي مصر أرسل إليه يطلب منه أخذ الجزية ممن أعلن إسلامه من أهل الذمة، فأرسل إليه عمر رسالة زجره فيها، وكتب فيها: " إن الله بعث

²⁹⁴ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ، سنن أبي داود ، باب في الذمي يسلم في بعض السنة ، 658/4 ، حديث رقم : 3052 ، حديث حسن .

محمدًا هاديًا، ولم يبعثه جابياً " 296.

وقد أشار آرنولد²⁹⁷ في كتابه الدعوة إلى الإسلام، إلى قصة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه مع واليه على مصر، في معرض حديث عن رافة الإسلام وتسامحه، وكان من جملة قوله: " قيل إن القبط الذين حملوا على ترك دينهم ... في الوقت الذي قيل فيه إن مصر كانت أشد البلاد الإسلامية تسامحاً في الدين، لم تخل سنة من السنوات لم يتحول فيها القبط إلى الإسلام " 298.

ثالثاً: هل الجزية سارية المفعول في الزمن الحالي

من خلال الإطلاع على آراء العلماء والفقهاء يتضح أن علة الجزية وسببها يتمثل في حماية أهل الذمة والدفاع عنهم، وتمكينهم من الإقامة في البلاد الإسلامية، ثم إنهم قرروا بإسقاط الجزية عن الذين يشتركون في حماية الدولة الإسلامية والدفاع عنها، فمن التحق من أهل الذمة بالخدمة العسكرية، كما يحصل في غالب البلاد الإسلامية فإنها تسقط عنهم الجزية.

وحكموا أيضاً بإسقاط الجزية عنهم إن عجزت الدول الإسلامية عن حمايتهم والدفاع عنهم، وبذلك فإن خلاصة القول: إن الجزية في زماننا الحالي لم تعد مقررة، وبالتالي إغلاق الباب تماماً أمام إثارة الشبهات

²⁹⁵ جلال الدين السيوطي ، جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير ، تحقيق : مختار إبراهيم الهاتج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، (القاهرة : الأزهر الشريف ، ط 2 ، 1426 هـ ، 2005 م) ، 276/16 .

²⁹⁶ محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ط 1 1968 م) ، 384/5 .

²⁹⁷ سير توماس آرنولد، مستشرق بريطاني، تعلم في مدينة كمبردج، وبقي عدة أعوام مدرساً للفلسفة في الهند، تعلم اللغة العربية في بريطانيا، لندن، وصفه بعض المستشرقين بأنه عبقرى دقيق في كتاباته، دافع عن الإسلام في كتابه الدعوى إلى الإسلام، له عدة كتب ترجمت إلى الكثير من اللغات، منها كتاب الخلافة، وكتاب تراث الإسلام.

²⁹⁸ سيرت وآرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ، ص 95 .

حولها، وهذا ما دعا إليه غالب الفقهاء المحدثين، معتبرين أن العمل بأحكام الجزية موقوف لعدم توفر أسباب إلزاميتها²⁹⁹.

إن المطلع على الأحداث التاريخية الإسلامي وتفصيلاتها فيما يخص الجزية، يعلم أن هناك الكثير من الوقائع والحوادث التي تدل على هذا الحكم، فالكثير من البلاد التي فتحها المسلمون، أسقطوا الجزية عن أهلها عندما شاركوا المسلمين حروبهم، وما الأحوال السائدة في البلاد الإسلامية اليوم إلا دليل على أن مسألة الجزية أصبحت مستبعدة لا يمكن العمل بها.

رأي الباحث

وبناء على ما مر يرى الباحث أن الجزية في القديم لم تكن غاية بقدر ما كانت وسيلة لحماية أهل الذمة ومن في حكمهم، وتقديم الخدمات التي تقدم إلى المسلمين، حالهم كحال المسلمين تماماً، وأما في العصر الحديث فالذي يتجه الباحث إليه هو أن أمر الجزية متروك لإمام المسلمين في فرضها أو إلغائها، بحسب المصلحة التي يراها مناسبة لحال المسلمين، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني بعض الشبهات الحديثة حول الجهاد والرد عليها

ما هي الشبهات التي أثيرت عند المفسرين المحدثين حول الجهاد

في الحقيقة إن الجهاد بمفهومه العام إنما شرع لنشر الإسلام بالطرق السلمية، بعيداً عن الحرب والقتال، اللهم إلا إذا اقتضت الضرورة اللجوء إلى القتال من أجل حماية المسلمين وبلدانهم، وتحقيق الإستقرار

²⁹⁹ وهبه الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، ص 697-701 بتصرف.

في بلاد الأمة الإسلامية، فإنه لا بد عند ذلك من الجهاد الذي يرضي الله تعالى، لا من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية أو شخصية، بل من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.

فالجهاد إنما شرع لتمكين الأمة من إقامة العدل وإقامة الحياة الكريمة لكل الناس، باعتماد النظم التي تكفل للبشرية جمعاء حق تقرير مصيرها وفقاً للعقيدة التي تنتمي إليها، دون أن يقف في وجه ذلك أي مانع قد يكون عائقاً أمام الفطرة السليمة للإنسان.

وهذا الجهاد الذي أراده الله تعالى لم يسلم من تصويب السهام نحوه، من إثارة بعض الشبهات، جعلت من الكثير من دول الكفر تنظر إلى الإسلام على أنه دين الإرهاب، وأمام ذلك الكم الهائل من مثيرها افترق الناس بين مؤيد ومعارض لمضامين تلك الشبهات، وكان لبعض المسلمين دوراً واضحاً بالتأثير في عقول المستهدفين من تلك الأعمال.

إذن فنحن أمام طرفين ممن يثير الشبهات حول الجهاد في العصر الحديث:

الأول: ما كان من طرف أعداء الأمة الإسلامية، والثاني: ما كان من طرف خدمهم من بعض المسلمين.

فأما ما كان من طرف أعداء الأمة الإسلامية من المستشرقين ومؤيديهم من الدول الغربية، فادعواهم أن الإسلام انتشر بقوة السيف، وأن الإسلام دين يرضى الإرهاب ويؤيده، وأما الشبهات التي أثيرت من طرف خدمهم من بعض المسلمين، ادعواهم تفضيل الجهاد على العلم، والإفراط والغلو في الدعوة إلى الجهاد من قبل شريحة لا يستهان به من العلماء في العصر الحديث.

المطلب الأول: شبهة دعوى أن الإسلام إنما انتشر بالسيف

إن الإسلام ليس كلمات يرددها الإنسان على لسانه، لأن الإسلام هو اعتقاد ينبغي أن يكون نابغاً من العقل، وأن يكون صادراً باليقين، فمن أدرك أن الإسلام إنما هو الدين الحق ودخل اليقين إلى قلبه فقد أصبح من المسلمين ولو لم يحرك لسانه بنطق الشهادتين، وأما إذا لم يدخل الإسلام إلى العقل ولم يتقبله القلب فلا يمكن أن يقال عن ذلك الشخص أنه من المسلمين، ولو نطق بكلمة الإسلام عشرات المرات، هذه حقيقة لا يختلف عليها أحد.

فالهداية التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي إقناع الناس بقبول الإسلام من خلال العقل والقلب، وليست الهداية إجبار الناس على نطق الشهادتين، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا علي كرم الله وجهه: " فوالله لأن يُهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم " ³⁰⁰، فهل الهداية التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي إجبار الناس على النطق بكلمة الإسلام فقط دون أن يدخل اليقين إلى القلب، لا ليس هذا هو المراد من قول النبي صلى الله عليه، وإنما المراد هو أن يكون المسلم سبباً في دخول الإسلام إلى قلب ذلك الرجل من خلال الإقناع.

فإذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو من بعده من الصحابة الكرام، وإلى يومنا هذا أن يجبر أحداً من الناس من غير المسلمين على الدخول في الإسلام؟ وهل لأحد من المسلمين أن يُدخل الهداية بشكل قسري إلى عقل أحد الناس؟ لا يمكن أن يكون شيئاً من هذا، فلو أُجبر أحد الناس على نطق الشهادتين تحت تهديد السلاح مثلاً، ونطق بما لکن قلبه وعقله متجهان إلى شيء آخر، هنا لا

يمكن أن نسمي هذه هداية، لأنه من الممكن إجبار اللسان على النطق، لكن ليس من الممكن إجبار العقل والقلب على شيء لم يقتنع به.

فالقوة والسيف لا يمكن أن يكونا سبباً للهداية والدخول في الإسلام، وما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليجعل الإسلام في العقول والقلوب قبل أن تجري كلمات الإسلام على اللسان من خلال الفهم والقناعة دون الإجبار والإكراه، قال الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية: 21-22]، يقول الإمام المراغي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: " فذكر بآياتي، وعظهم بحججي ... وحذرهم أن يتركوا ذلك، ثم بعدئذ لا تذهب نفسك عليهم حسرات إن لم يؤمنوا ... إنما أنت مذكر: أي إنما بعثت للتذكير فحسب وليس من الواجب عليك أن يؤمنوا: فما عليك إلا التبشير والتحذير، فإن آمنوا فقد اهتدوا ... وإن أعرضوا فقد تحكمت فيهم الغفلات " 301.

فالوظيفة التي كُلف بها النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي تبليغ الرسالة، بالمناقشة والحجج والبراهين، والوظيفة ذاتها موكولة للدعاة الذين جاؤوا من بعده صلى الله عليه وسلم، دون أن يكرهوا أحداً من الناس على الإيمان، فإن أثمرت المناقشة في دخول الناس في الإسلام فهذا هو الهدف الحقيقي للرسالة، وهذا هو المطلوب بعينه، وإن لم تثمر ولم يستجب أحد من الناس فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الدعاة بما عليهم، وبما أوكلهم الله إليه، وهنا تأتي الآيتان الكريمتان لتوضحا ذلك كله، الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: 256]، والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

³⁰⁰ أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، 1077/3، حديث رقم: 2783.

[يونس: 99].

فكما قلنا فيما مضى إن الإكراه على الدين لا يمكن أن يقبله المنطق، وذلك لأن الهداية إنما مكانها في العقل والقلب، وليست الهداية عبارة عن ترديد كلمات على اللسان، فمن الممكن أن يجبر أحد الناس بالنطق بالدين، ولكن لا يمكن للعقل والقلب أن يُجبر على أي شيء من ذلك، فالعقل يفكر ويتأمل وأمامه طريقان، إما أن يقتنع ويسلم، وإما أنه لا يقتنع، فلا يمكن عندئذ لأي وسيلة أن تجبره على الدخول بالإسلام.

فمن يتصور من المسلمين أنه يجب إجبار الناس على الدخول في الإسلام، فقد أخطأ في توجيهه، لأنه لا يوجد في الإسلام مثل هذا التصور، فهو ليس نظام تسلطي فوقي كأنظمة الأمرالية والأنظمة الشيوعية وغيرها من الأنظمة الوضعية، وإنما هو نظام ينبنى على عقيدة إيمانية، فلو لم تكن هذه العقيدة الإيمانية مسيطرة على كيان الإنسان بكليته فلا يمكن لأي إكراه على وجه الأرض أن يلزم إنساناً ما أن يكون مؤمناً بالله تعالى.

وبكلمة مختصرة: إن الإسلام منشأوه العقيدة الصحيحة، وهذه العقيدة ينبغي أن تكون من القلب والعقل، والعقيدة لا يمكن أن تستقر في القلب والعقل إلا من خلال الاختيار وليس من خلال الإجبار، وأحكام الإسلام لا يمكن قياسها على غيرها من القوانين، لأن القوانين يمكن تطبيقها من غير الاعتقاد بها، أما أحكام الإسلام إن لم تصاحبها العقيدة الصحيحة فلا فائدة منها.

³⁰¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1365 هـ، 1946 م)، 138/30

وبعد هذا البيان، هل يقبل أن يقال إن الإسلام انتشر بالسيف ؟ لا، لا يمكن قبوله لا عند الناس ولا عند الله تعالى.

ثم بالانتقال إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، وهي الفترة التي تمت فيها الكثير من الفتوحات الإسلامية، وهي الفترة التي يوجه إليها ذلك الإتهام، فقد ذكرنا فيما مضى أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة كانت قد اقتصرت على الدعوة إلى الله تعالى، وأن الجهاد إنما تم فرضه في المدينة المنورة، ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أجبر أحداً على الإسلام.

إن الجهاد لم يكن في المدينة المنورة إلا دفاعاً عن الدولة التي أنشأها النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قيل فلماذا طرد النبي صلى الله عليه وسلم جميع طوائف اليهود من المدينة؟، حيث اجتمعت تلك الطوائف في خيبر، ثم بعد ذلك لماذا لحق بهم النبي صلى الله عليه وسلم مع جيش المسلمين وحاربهم وقتل منهم من قتل، مع أن أحكام الإسلام تنص على أن اليهود والمسلمين بينهما علاقات ولكل منهما دينه دون أن يعتدي أحد على الآخر؟ والجواب عن ذلك التساؤل مقروء في الصحاح، وهو كالتالي:

إن الطوائف اليهودية في ذلك الوقت قد خانت العهد التي بينها وبين المسلمين، فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليطلب منهم المساعدة في دفع دية رجلين قتلا على أيدي المسلمين: " فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، وخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة... فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر بما هموا فنهض سريعا كأنه يريد حاجة... ولحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر!.. قال: همت يهود بالغدر، فأخبرني الله بذلك فقمت "

³⁰²، فكان ذلك سبباً في إخراج النبي صلى الله عليه وسلم لهم من المدينة، ومن الأسباب الأخرى، ذلك الغدر الذي صدر من بني قريظة أثناء غزوة الأحزاب، وكذلك الغدر الذي صدر من بني قينقاع في كشف عورة المرأة المسلمة، أليس هذا كله خيانة تستوجب أن يعلن النبي صلى الله عليه وسلم الحرب على تلك الطوائف من اليهود؟.

لا شك أن فعل النبي إنما هو للدفاع عن الدولة الإسلامية التي أعلن عنها في المدينة المنورة، ولو أنه لم يفعل ذلك لاعتدى اليهود على المسلمين وقتلوهم بالسيف ومنعوا الدعوة الإسلامية من أساسها، وكما قيل: " إن الروم إذا لم تُعزَّز غزت " ³⁰³، أي إن لم يعضها المسلمون سبقوهم إليه، وهذا ليس خاصاً بالروم فحسب بل يشمل اليهود وكل من يجاور البلاد الإسلامية.

تتجلى هذه الحقيقة في ذلك الحوار الذي جرى بين ربيعي بن عامر ورستم ممثل الامبراطورية الفارسية، وذلك قبل غزوة القادسية حيث توجه رستم بالسؤال إلى ربيعي بن عامر، فقال: " مالذي دعاكم إلى الولوع في بلادنا، والخروج لقتالنا؟ أجابه ربيعي بن عامر: جئنا لنخرج من شاء منكم من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الديان، ولم يقل: جئنا نحملك على الدخول في الإسلام، ولو أن الفرس فتحوا السبيل أمام المسلمين لحرية الدعوة ... لما وجد المسلمون ما يحوجهم إلى قتال " ³⁰⁴.

من هنا نعلم أن الله تعالى قد كلف المسلمين برسالة الدعوة إليه، وأمرهم أن يجوبوا بقاع الأرض لتبليغ هذه الرسالة، يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى في كتابه يغالطونك إذ يقولون: " على

³⁰² محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص 190 .

³⁰³ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأناؤوط، (مؤسسة الرسالة، 1405 هـ، 1985 م)، 595/18 .

أن المسلمين لو قبعوا في ديارهم ولم يلتفتوا إلى الأخطار المحيطة بهم، لاجتاحتهم الغزوات من هنا وهناك، ولقضي عليهم وعلى الإسلام الذي ائتمنهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم " 305.

والآن وبعد أن اتضحت أماننا أن التهمة التي روجها أصحاب الغزو الفكري من المستشرقين وخدمهم من المسلمين باطلة لا أساس لها من الصحة، تطلب الأمر منا أن نخرج على الجهاد والقتال الذي قام به المسلمون في سبيل الدعوة الإسلامية.

قبل الخوض في تفاصيل ذلك، ينبغي التأكيد على أن الجهاد ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لبلوغ غاية أمر الله تعالى بها، وهي إيصال دعوة الإسلام إلى كافة بقاع الأرض، وأن هذه الدعوة غاية في السمو والرقي، لا يمكن أن يلجأ لتلك الأساليب من العنف والقتل، كما يدعي المستشرقون في حق الإسلام، الذين يعرفون حق المعرفة أنه الدين الحق، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 71].

وإننا نجد في العصر الحديث أن تلك التهمة بدأت تأخذ صداها في أرجاء العالم، وبلغ بهم الأمر إلى اتهام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن الدين الذي جاء فيه لم يكن لينتشر لولا السيف والعنف والتهديد بالقتل، والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام هم من عانى من العنف والسيف والتهجير، فهم الذين تركوا ديارهم وأموالهم هرباً من بطش المشركين والظالمين، ولذلك فإن ذلك الإدعاء بأن الإسلام دين السيف والقتل إدعاء خاطئ لا يقبله العقل البشري السليم، وينكره كل من اطلع على سيرة

³⁰⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، *يغالطونك إذ يقولون*، (دمشق: دار الصديق للعلوم، ط 1431 هـ، 2010 م)، ص 256.

³⁰⁵ محمد سعيد رمضان البوطي، *يغالطونك إذ يقولون*، ص 257.

الإسلام منذ بدئه وإلى يومنا هذا، يقول الشاعر العباسي السري الرفاء الموصلبي:

وشمائل شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

فقد شهد على بطلان ذلك الإدعاء وبهتانه الكثير من المستشرقين الغربيين، منهم المفكر والمؤرخ توماس كارليل³⁰⁶ حيث قال في معرض رده على من اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بنشر دينه بالسيف والتهديد ما نصه: " إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدر على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين " ³⁰⁷، فمن يدعي من المستشرقين الذين يشوهون صورة الإسلام: " أن الجهاد هو قتال المسلمين لكل من ليس بمسلم، لإكراههم على الإسلام ... هذا كذب وافتراء على الإسلام " ³⁰⁸.

فلا يحق لأي من هؤلاء المستشرقين أن يقول أن الرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم قد انتشرت تحت تأثير القوة والسيف والقتل، لأن الرسالة المحمدية قد انتشرت في زمن كانت القوة تخضع لسلطان المشركين في ذلك الوقت، وكان المسلمون آنذاك يعملون على نشر الإسلام بالكلمة والدعوة إلى الله تعالى، والمطلع على التاريخ الإسلامي يجد أن بداية الدعوة لم تكن القوة عاملاً مؤثراً فيها، وإنما كان التأثير هو عدل هذا الدين وصدق القائمين عليه.

³⁰⁶ توماس كارليل، كاتب ومؤرخ اسكتلندي، ولد في اسكتلندا عام 1795م، تفرغ لدراسة الأدب الألماني، كتب الكثير من المقالات التي تنتقد اضطهاد الفقراء، له الكثير من المؤلفات من أهمها: الأبطال وعباداتهم، توفي في لندن 1881م.

³⁰⁷ عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط 4، 2005 م)، ص 166 .

³⁰⁸ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، 269/10-270 .

يقول غوستاف لوبون³⁰⁹ في كتابه حضارة العرب مدافعاً عنها: " إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن ... فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقسام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ... ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها " 310.

والتاريخ أكبر شاهد على ذلك، فالكثير من البلاد الإسلامية قد انتشر الإسلام فيها عن طريق الأخلاق الفاضلة والمعاملات التجارية الصادقة التي تربى عليها أبناء الأمة الإسلامية واكتسبها من دينهم، فكانوا بأفعالهم هذه قدوة حسنة وخير سفير لنشر الدعوة الإسلامية.

وإذا عدنا إلى موضوع الفتوحات الإسلامية فإنها كانت تعمد من بدايتها إلى نهايتها على أشياء تصب في مصلحة الناس، سواء أدخلوا في الإسلام أم لم يدخلوا، يقول عبدالرحمن عزام في كتابه الرسالة الخالدة: " فالإسلام في جميع أدوار في المدينة أو في مكة لم يعول إلا على الحجّة، ولم يلجأ للسيف إلا دفاعاً، بل إن تاريخ انتشار الدعوة المحمدية واضح في أن الدعوة قد انتشرت في الآفاق، وانتصرت انتصارات باهرة في المشرق والمغرب في أضعف أيام الدولة الإسلامية، بل في الانحطاط العسكري " 311.

فلم ينتشر الإسلام في جميع مراحلها بواسطة السيف والعنف، والمستشرق المنصف يعلم حقيقة ذلك، وكثير من الأحيان يظهرها من خلال كتاباته، يقول توماس آرنولد الذي مر ذكره آنفاً: " وهكذا كان الإسلام منذ ظهوره دين دعوة، من الناحية النظرية، أو من الناحية التطبيقية، وقد كانت حياة محمد تمثل هذه التعاليم

³⁰⁹ غوستاف لوبون: مؤرخ وطبيب فرنسي، عمل في آسيا وأفريقية وأوروبا، عني بالحضارات الشرقية، له مؤلفات كثيرة، منها: سر تقدم الأمم، والحضارة المصري، وحضارة العرب في الأندلس، وروح الاجتماع، ولد في فرنسا عام 1841م، وتوفي فيها 1931م.

³¹⁰ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 م)، ص 10.

ذاتها، وكان النبي ذاته يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعوة المسلمين، الذين وفقوا إلى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار " 312.

لكن مع الأسف، إننا نجد الكثير من المفكرين المعاصرين يريدون نفي التهمة التي نطق بها المستشرقون بأن الإسلام قد انتشر بالسيف، فتجدهم قد سلكوا السبيل الخاطيء، ليقرروا تعطيل الجهاد تبريراً لردهم على تلك التهمة، فقالوا إن الإسلام لم ينتشر بالسيف وإنما انتشر بالحجة والدعوة إلى الله تعالى، وما استعمل المسلمون السيف إلا في حالة واحدة وهي الدفاع عن النفس والبلاد الإسلامية من خطر المعتدين.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين...تحت الهجوم الإستشراقي الماكر، يتخرجون من تقرير تلك الحقيقة، لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة...ومن ثم يقوم المنافحون...عن سمعة الإسلام، بنفي هذا الاتهام، فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته" 313.

ومن المعلوم أن هذا التوجه من أولئك المهزومين يخالف ما عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد سار وفق ذلك المنهج الذي رسمه القرآن الكريم، بضرورة التعاطي مع غير المسلمين من اليهود والنصارى بالمعاملة الحسنة، وكان ذلك من القوانين الثابتة في ديوان الدولة التي أنشأها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وسار على ذلك المنهج من بعده كل الصحابة والتابعين وإلى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ

³¹¹ عبدالرحمن عزام ، الرسالة الخالدة ، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط 1 ، 2010 م) ، ص 101 .

³¹² سيرت وآرنولد، الدعوة إلى الإسلام ، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ، ص 20 .

النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ [الحديد: 25]، إن الأحداث التاريخية التي تناولت هذا الجانب من جهاد المسلمين تثبت وبكل وضوح أن الفتوحات الإسلامية كانت فاتحة خير على تلك البلاد، وما بلاد الأندلس إلا نموذجاً ناطقاً ودليلاً واضحاً على أن المسلمين أهل حضارة، فقد جعلوا من الأندلس منارة في العلم وحضارة يعترف بها المستشرقون أنفسهم.

أما الظلم والقتال والسيوف فهو لا شك من عادة الدول الغربية التي ما تفتأ تفتك بالمسلمين وممتلكاتهم، وخاصة عندما تميل كفة القوة إلى صالحهم، فهم يعملون على تمزيق القرآن الكريم من خلال الوقوف في وجه الدعوة إلى الإسلام، مبدئين كامل العنصرية والحقد على المسلمين، نعم إن الله تعالى أمر بالجهاد في سبيله، وطلب من المسلمين أن يبذلوا الغالي والرخيص من أجل ذلك، لكن لم يكن ذلك الأمر إلا لمصلحة البشرية جمعاء، بحيث يحل جهاد السيف الطاهر مكان تلك العنصرية الممجية الإستبدادية.

إن ما تقوم به دول الكفر ضد المسلمين في الشرق والغرب أكبر دليل أن الذي انتشر بالسيف هو إرهابهم وظلمهم، لا الدين الإسلامي كما يصورون، فما قام به الصليبيون في القدس، وما قام به الإسبان في بلاد الأندلس، وما قامت به القوات الروسية في مدن القوقاز، وما قامت به القوات الأمريكية في العراق، وما قامت به القوات الروسية في سوريا لأعظم دليل على بطلان ما ذهب إليه المستشرقون.

كان الأحرى بهم أن يقولوا إن الذي انتشر بالسيف إنما هو ظلم النصارى واليهود، وليس دين الإسلام، لكن الضعفاء من المفكرين المعاصرين المتأثرين بالإستشراق قد اختلط عليهم الأمر فعبروا عن آرائهم

³¹³ سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1443.

المنحرفة بطريقة توهم الدول الغربية ومن يلوذ بها بأن الجهاد في الإسلام إنما لرد العدوان والدفاع عن المصالح والدول الإسلامية، متجاهلين بتفكيرهم هذا تلك الحروب التي تقوم بها تلك الدول بحجة حماية حدودها.

والحقيقة أن الجهاد في الإسلام بعيد كل البعد عن تلك الحروب التي نشهدها هنا وهناك، وإذا أردنا أن نعبر بجملة عن تلك الحروب، لقلنا إنها حرب المصالح، والسيطرة على خيرات البلدان الإسلامية، بخلاف الدافع الحقيقي للجهاد عند المسلمين، فإن الدافع في الجهاد الإسلامي هو ما قرره الشريعة الإسلامية من إخراج الناس من عبادة الناس والأصنام إلى عبادة الله تعالى وحده، ومن جور الحكام والظلمة إلى عدل الإسلام.

عن جبير بن حية رضي الله تعالى عنه قال: " بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين ... فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة سل عما شئت، قال ما أنتم؟ قال نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك، إذ بعث رب السموات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه و سلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية " 314.

نعم لا يمكننا أن نغفل جانب السيف في كثير من الفتوحات الإسلامية، لكن ليس بالمعنى الذي عناه المستشرقون والمنهزمون من المفكرين، وإنما بمعنى أن السيف الذي استخدمه المسلمون في جهادهم، الذي كان

لاستنهاض بواعث الخير الموجود لدى البشرية جمعاء، وتوجيهه التوجيه الصحيح الذي يكفل السعادة الدنيوية لكل من يعيش على وجه البسيطة، وهذا ما لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الإجهاز على كل من يقف سداً مانعاً في سبيل تحقيق ذلك، بدءاً من الحكومات الفاسدة التي غالباً ما تكون سبباً مانعاً بين الناس وبين تعاليم الإسلام، وانتهاءً بخدم الأعداء من المسلمين.

نعم في الحقيقة إن الإسلام استعمل السيف واستعمل القوة، لكن في ظل ظروف ظهر فيها الظلم والفساد، استعمل السيف للقضاء على تلك الظواهر التي كانت تحول بين العباد مع رب العباد، لم يستعمل الإسلام السيف من أجل إكراه الناس على الإسلام، وإنما ليكون الدين كله لله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193]، وقال أيضاً: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: 60]، فهذه الآيات هي توضيح للأصول التي يعتمد عليها الدين الإسلامي في تعامله مع غير المسلمين من أهل تلك الدول، أولها الدعوة إلى الله تعالى، وثانيها السيف الذي يحمي تلك الدعوة.

وما الفتوحات الإسلامية التي حصلت في الماضي إلا تطبيقاً عملياً لتلك الأصول، فالهدف الأول للمسلمين عند دخولهم لأي بلد هو نشر الحضارة الإسلامية بتعاليمها وثقافتها، دون أن تعتدي على أهل تلك البلدان التي دخلوها وحضاراتهم وثقافتهم، بل تسعى بكل جهدها لإسعاد الإنسان بغض النظر عن دينه وتوجهه، حتى إنه قيل: " لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب، نعم لأنهم فتحوها فتح هداية لا فتح

³¹⁴ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، باب الجزية والمواذعة مع أهل الذمة، 1152/11، حديث رقم: 2989

استعمار، وجاءوا دعاة سعادة لا طغاة استعباد " 315.

لأجل ذلك كله فإن الله تعالى قد أمر المسلمين أن يعدوا القوة اللازمة لتأمين ذلك الهدف، الهدف الذي يعلن الحق ويسانده، فإذا ما غاب الحق وظهر الباطل، فهذا يعني أن الحق يفتقد إلى تلك القوة التي أمر الله تعالى بها، يقول غوستاف لوبون الذي مر ذكره آنفاً: " بيد أن الدين، الذي كان سبباً في قيامها لا يزال ينتشر، ويسيطر ظلُّ النبي من قبره على ملايين المؤمنين، الذين يسكنون أقطار إفريقيا وآسية الواسعة الواقعة بين مراكش والصين والبحر المتوسط وخط الاستواء " 316.

إنه من السذاجة أن يقال إن المسلمين إن أمنوا إعتداء دول العدو أن يبقوا في بلادهم دون العمل على نشر الإسلام إلى جميع الأطراف من الأرض، وكيف يمكن أن ينتشر الإسلام في ظل وجود عقبات على عدة أصعدة أولها الصعيد السياسي، وثانيها على صعيد النظرة العنصرية للإسلام من كافة الدول المعادية للإسلام.

ولك أن تتصور أن الدعوة الإسلامية عندما تواجه مثل هذه العقبات هل ينفع معها أن تجاهدها بالقلم واللسان، نحن لا نقلل من قيمة جهاد القلم واللسان، فهذا المفهوم من الجهاد مطلوب عندما تكون له الحرية المطلقة في مخاطبة غير المسلمين، غير معرّضين لأي من المؤثرات التي تعمل على تغيير فطرتهم، حينها يمكن مخاطبة فطرتهم السليمة التي لا محالة إن وصلتها الدعوة الإسلامية بشكلها الصحيح ستدعن وتنقاد وتعلن دخولها في هذا الدين الخفيف.

أما إذا كانت تلك المؤثرات وتلك العقبات التي تضعها الجماعات السياسية الحاكمة لتلك الدول تقف صدىً مانعاً في وجه الدعوة الإسلامية، هنا لا بد من العمل على إزالتها، والتركيز على العمل بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، حتى يتمكن الدعاة إلى الله تعالى من الوصول إلى مبتغاهم من نشر الإسلام والدعوة إليه.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله وهو طليق من هذه الأغلال " ³¹⁷، وبناء على ذلك لا بد من تكاتف الجهود لإزالة كل عقبة أمام تبليغ الإسلام إلى كافة الشعوب، ولا بد من أن تكون الدعوة إلى الإسلام خالية من كل شائبة وشبهة قد تؤدي إلى نتائج عكسية من المخاطب من غير المسلمين.

فالإسلام اليوم أشد حاجة إلى دعاة وعلماء يقدمون هذا الدين للناس بأوضح صوره وأيسرها، بالحمكة والموعظة الحسنة من غير تبديل ولا تحريف، ونقول من غير تبديل وتحريف لأن الإسلام ليس كما يصوره الكثير من المسلمين اليوم بأنه دين قابل للتبديل والتغيير، فالإسلام شمولي لكل زمان ومكان، وعلى دعاة المسلمين العمل على نفي هذه التهمة وإخراج الإسلام منها.

لقد وقع الكثير من المسلمين اليوم في فخ تلك التهمة، فالذين جاؤوا بالتهمة قالوا: إن الإسلام لم يكن له لينتشر إلا بالسيف والقوة، وأن دعوة النبي محمد قد أضرت بتقدم البشرية في ذلك الوقت، وأن حال المسلمين اليوم التوجه إلى إراقة المزيد من الدماء، وأنه دين الإرهاب، فصَدَّق المسلمون تلك التهم، وبدؤوا

³¹⁵ عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط 1 ، 1403 هـ ، 1983

م) ، ص 300 .

³¹⁶ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ص 445 .

العمل على إنكارها، وتبيين بھتانھا وزيفھا، فقام أناس نظن بھم خيراً لكنھم سلكوا طريقاً لم يوفقوا فيه، إما بسب جهلھم، وإما بسب ندرة معلوماھم، وإما أنھم ضعفوا أمام القوة التي يملكھا أعداء الإسلام، فقالوا: إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وبدؤوا يسردون الفتوحات الإسلامية التي حصلت على أيدي المسلمين في شتى بقاع الأرض من غير قتال وإراقة دماء بدءاً من أندونيسيا شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً، قائلين نحن لسنا دعاة إرهاب، بل نحن من يحارب الإرهاب.

فنجدهم قد وضعوا أنفسهم في مصاف دول الكفر، وقد رأينا العديد من الدول الإسلامية قد وقفت مع أمريكا والدول الغربية في محاربتها للإسلام وليس لمحاربة الإرهاب كما يدعون، كان الحري بھؤلاء الذين سعوا للدفاع عن الإسلام أن يوضحوا للعالم قاطبة أن دول الكفر متمثلة بأمريكا والدول الغربية هم أكثر الدول إرهاباً، وأن من سبقهم من دول الكفر كانوا أشد فتكاً بالمسلمين، كالمغول والتتار والحملات الصليبية على بلاد المسلمين آنذاك، والتي لم يسلم منها في ذلك الوقت حتى الحيوانات.

ولو تأمل المنصف في حوادث التاريخ لرأى بما لا يدعو للشك أن المسلمين هم الذين عانوا من السيف والقتل والإرهاب.

وبغض النظر عما يقوله أعداء الأمة الإسلامية، فإنه يمكن القول: ليس المسلمون من استعمر العالم لقرون طويلة، وليس المسلمون من أنهك الشعوب ونهب خيرات الأمم، وليس المسلمون الذين استعملوا رجالات الدين ليخدعوا الناس، وليس المسلمون من أشعل الحروب في العصور الحديثة لتحصد أرواح الملايين من الناس، وتدمر خيرات البلاد بأسرها، والأعمال التي قامت بها تلك الدول في حق المسلمين لا يمكن

³¹⁷ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 1436/3 .

حصرها.

وبناء على كل ما مر فليس صحيحاً ما يدعيه الغربيون وخدمهم من المسلمين بأن الإسلام إنما انتشر

بالسيف؟.

رأي الباحث

يرى الباحث أن الجهاد في الإسلام يهدف لفتح الطريق أمام غير المسلمين ليتعبدوا الله تعالى وحده دون غيره، ويسعدوا بالإيمان الذي يجعلهم يميزون بين الخير والشر والحق والباطل، وما كان الإسلام يوماً مُكْرَهًا أحداً من الناس على الدخول في الإسلام، بل على العكس من ذلك، حرص الإسلام منذ ظهوره وإلى يومنا الحالي على تعميق العلاقات الإجتماعية مع غير المسلمين، واعتبر ذلك طريقاً من طرق الدعوة إلى الإسلام، ولذلك وجب على العلماء قبل مجابهة من يثير تلك الشبهات من الأعداء، أن يجابهوا أولئك الخدم من المسلمين، الذين سخّروا أنفسهم لتنفيذ المخططات التي تضر بسمعة الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: شبهة دعوى أن جهاد المسلمين من الإرهاب

إن الإسلام بكل تعاليمه يدعو إلى السلام والرحمة، وليس للمسلمين فحسب، بل يتعدى ذلك لجميع الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء بهذا الدين، وصفه الله تعالى بأنه رحمة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]، وهذه الرحمة التي أرسلها الله تعالى للعالمين لا تختص بمكان ولا بزمان، بل تعم العالمين في أي مكان وزمان وجدوا، والجهاد الذي أرسى أسسه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم من أشرف الأمور التي جاءت بها الشريعة الغراء في سبيل تحقيق الأمن والسلام بين أبناء البشرية

جمعاء، إلا أن هذه الصفات التي اتصف بها الإسلام لم تعجب الدول الغربية، وبدؤوا العمل على تشويه صورة الإسلام وتعاليمه.

فمنذ الأحداث التي مرت بها الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 2001 م أثناء تفجير برجي التجارة العالمية وإلى يومنا الحالي والدول الغربية وفي مقدمتهم أمريكا تقود هجمة ظالمة تستهدف بالدرجة الأولى تصوير الإسلام على أنه دين الارهاب والقتل، وتنتقص من قيمه ومبادئه، ومن ثم يستعملون هذا المصطلح الحديث كسلاح في وجه المسلمين من أجل السيطرة على بلاد المسلمين وثرواتها، وبسط الهيمنة الكاملة على البلاد الإسلامية بالشكل الذي يؤمن مصالحها ومنافعها على أكمل وجه، من الناحية السياسية والثقافية والعسكرية، من خلال عمل لا إنساني يظهر بوضوح في الحروب اللاشعورية التي تقوم بها تلك الدول ضد الدول الإسلامية باسم محاربة الإرهاب.

ولا شك أن الأسلوب الذي تقوم به هذه الدول يعتمد على تبديل بعض المفاهيم الإسلامية إلى مفاهيم لا تطابق المعنى الصحيح لواقع المسلمين، خدمة لمصالحها أولاً، وتشويهاً لسمعة المسلمين ثانياً، وأكبر دليل على ذلك هو وصفهم لمفهوم الجهاد بالإرهاب، متجاهلين الإرهاب الذي يمارس في حق المسلمين هنا وهناك.

وهذا الإرهاب الذي يمارسونه في حق المسلمين من أخطر أنواع الإرهاب على الإطلاق، لأن غالب السياسيين في أمريكا وفي الدول الغربية - وحتى وسائل الإعلام التابعة لتلك الدول - يحاولون كذباً إطلاق مصطلح الإرهاب على الدول الإسلامية وخاصة عند الحديث عن الجهاد في سبيل الله تعالى، يقول محمد عمارة: " إذا كان ذلك غريباً وعجيباً - بل ومريباً - فإن السر في هذا الموقف الغريب والعجيب والمريب هو

أن هذه الحرب العالمية الجديدة قد أرادها البعض حرباً على الإسلام تحت عنوان الإرهاب " 318.

والمشكلة التي يعاني منها المسلمون اليوم هو أن كثيراً من حكام البلاد الإسلامية وخاصة العربية حرصوا على مراقبة كل من هو إرهابي وملاحقته على أسس التعاريف التي اعتمدها الغرب في تعريفهم للإرهابي، يقول محمود الشوبكي في كتابه مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب: " إن مفهوم الإرهاب يمثل لنا تحدياً أكثر من الإرهاب نفسه، حيث حرص زعماء العرب والمسلمين الوقوف في وجه كل ما هو إرهاب أو إرهابي بالمفهوم الغربي، مما جعل حدة الخلاف واسعة بين الشعوب الإسلامية وحكامها، وساعد على تقرب الحكام للغرب والحرص على مرضاتهم " 319.

فهل الإسلام دين الإرهاب كما يدعي هؤلاء؟، وهل للحركات الجهادية اليوم يد في تنامي هذا المفهوم لدى الدول الغربية وتعميقه، والجواب على هذين السؤالين يتمثل بما يلي:

هل حقاً أن الإسلام دين الإرهاب

إن الإسلام بتعاليمه وأفكاره بعيد كل البعد عن الإرهاب، لأن الإرهاب بفكره ومنهجه وحتى منشأه دخيل على بلاد المسلمين، ولا يوجد في الإسلام ما يدل عليه، بل إن الإسلام يرفضه ويحرمه، والمطلع على الإتهامات التي أطلقها المغرضون على المسلمين، يجد خلطاً واضحاً بين حقائق الإسلام الصحيحة وبين الأوهام التي يسعى الغرب لجعلها حقائق من الإسلام، فمن الحقائق الإسلامية الثابتة الصريح والعمق عن المسيئين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى

³¹⁸ محمد عمارة ، السماحة الإسلامية ، حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب ، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط 1 ، 1423 هـ ، 2005 م) ، ص

أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿8﴾ [المائدة: 8]، ولا يتصور أن يتأتى هذا المعنى في الأديان الأخرى.

وزيادة على ما مر فإن الإسلام في دعوته ينبذ التطرف والإرهاب، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: 29]، يقول سيدنا علي كرم الله وجهه لأحد ولاته في مصر: " ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك لله فيه رضا ... ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم ... وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة " 320.

إذن لا بد من توضيح الفرق بين الإرهاب الذي ظهر في العصر الحديث والذي لا يقره الإسلام، وبين الجهاد الذي شرعه الله تعالى في سبيل تحرير المسلمين من كافة أنواع البغي والظلم والطغيان، وتحقيق العدالة الإنسانية في كافة البلاد، الإسلامية منها وغير الإسلامية.

ولا بد من التوضيح أيضاً بأن تعاليم الإسلام لا تفتقر إلى العفو والصفح والمسامحة مع الشعوب الأخرى من غير المسلمين كما يدعي ذلك أولئك الذين يسعون لإلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين، فالإرهاب قتل وتحرير وفوضى وإحداث الخلل في المجتمعات ونقض العهد، وهذا ما يعبر عنه في الوقت الحالي التطرف الإرهابي، أما الجهاد في سبيل الله تعالى فيهدف إلى عكس ذلك تماماً، يهدف بالدرجة الأولى إلى إصلاح تلك الأفكار الفاسدة، وفتح صفحات حوار بين المسلمين والشعوب الأخرى رجاء الخروج من عبادة العباد

³¹⁹ محمود يوسف الشوبكي، مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب، (بحث مقدم إلى مؤتمر: الإسلام والتحديات المعاصرة، 2007 م)، ص 55 .

³²⁰ عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، شرح فتح البلاغة، 106/17 .

إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى.

شبهة في تهمة الإرهاب

هل للحركات الجهادية يد في تنامي إصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين

إن العلاقات التي يسودها الاضطراب بين الإسلام والديانات الأخرى لم تكن وليدة الساعة، وإنما بدأت مع ظهور الإسلام في مكة المكرمة، ومن ثم انتشر الإسلام في سنوات قليلة ليصل إلى أنحاء كثيرة من العالم في ظل الفتوحات الإسلامية، وبدأ معها حملات التشويه التي يقودها كبار رجالات الأديان الأخرى، حيث جهدت تلك الحملات التركيز على بعض الأخطاء التي تصدر من بعض المسلمين، ففي الزمن الحالي يعتمد المشككون والمستشرقون على إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، وبالتالي افتعال حروب دينية يكون المستهدف فيها بالدرجة الأولى الإسلام.

ومن المؤسف القول أن معظم الشبهات الإرهابية التي أثارها هؤلاء المشككون ضد الإسلام إنما كانت بأيدٍ إسلامية لا يمكن لأي عاقل أن ينكرها، مع التأكيد أن الفظائع والمجازر التي ارتكبتها الغرب وأمريكا تفوق بكثير أخطاء المسلمين التي ارتكبوها في الزمن الحاضر.

إن الإسلام لا يمثل تلك الأخطاء، بل هي متعلقة بالأشخاص الفاعلين أنفسهم، الباعث من ورائها مصالح شخصية، أو الإنتصار لمسألة عقديّة أو مذهبية تدور حولها بعض الشبهات، كتفجير برج التجارة العالمية إن صح نسبتها إلى المسلمين، يقول محمود الشوبكي في كتابه مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب: " وإن ظاهرة الإرهاب عالمية، فهي لا تنسب لدين، ولا تختص بقوم، وهي ناتجة عن التطرف الذي لا يكاد

يخلو منه مجتمع من المجتمعات القديمة والمعاصرة " 321.

وإذا ما دققنا النظر في الخطابات والتقارير الصادرة بحق الإرهاب، نجدتها موجهة في كل أحوالها إلى المسلمين، فلم نسمع في يوم من الأيام أن أحداً من الساسة المسلمين، أو مسؤولاً في الحركات الإسلامية قد تحدث عن إرهاب أمريكا والدول الغربية بحق المسلمين، إذ الخطاب الكلي بأنواعه المختلفة في الغرب إنما يوجه وبشكل مباشر إلى تلك العمليات الجهادية التي تقوم بها جماعات المسلمين، لتسلط الضوء عليها بشكل سلبي وتكون سبباً في إطلاق العنان أمام الإتهامات الموجهة إلى المسلمين، من خلال منابر الساسة الغربيين ووسائل الاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة.

ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن تلك العمليات الجهادية التي يركز عليها الخطاب الغربي من أخطر الأعمال التي يقوم بها المسلمون اليوم، ففي السنوات الأخير بدأت تظهر على الساحة الدولية جماعات إسلامية تعمل على تجنيد الشباب المسلم المتحمس بإغراءات مادية وجنسية من أجل القيام بأعمال تخريبية في البلاد الغربية وفي غالبها في البلاد الإسلامية، بدعوى الجهاد في سبيل الله تعالى.

ومن هذه الحركات التي عملت وتعمل بهذا المضمون تنظيم القاعدة، وحركة بوكو حرام، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وغيرها الكثير من الحركات التي ظهرت على الساحة مؤخراً، حيث أعلنت تلك الحركات أن الإسلام دين السيف، وأنه ينبغي على المسلمين أن يهاجموا دول الكفر، ويعلنوا للناس كافة أن طريق الإرهاب في الدفاع عن الدين وحفظ الحقوق محمود، وليس من الشر كما تقول أمريكا والدول الغربية، ولا شك أن المتابع لتلك الحركات يعلم أن أولى الطرق التي اعتمدت عليها في تنفيذ مخططاتها طريق الجهاد في

321 محمود يوسف الشوبكي ، مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب ، ص 55 .

سبيل الله تعالى، بهدف الانتصار على الباطل وكسر شوكته على حد زعمهم، بحيث أن كل حركة من هذه الحركات تقدم نفسها على أنها الممثل الحقيقي للإسلام، متبينة الكثير من المعتقدات المنحرفة التي تخالف التعاليم الدينية في الإسلام، وهذا المعتقد لا يختص في تعامل تلك الحركات مع دول الكفر والشرك، بل يتجاوزه إلى تعاملاتها مع الحركات الإسلامية الأخرى، وذلك لأن كل حركة تسمي نفسها باسم إسلامي خاص بها، وتنظر إلى الحركات الأخرى بالمعنى المخالف، فحركة حزب الله تنظر إلى الحركات الأخرى على أنها حزب الشيطان، وحركة حزب النور تنظر إلى مخالفيها على أنهم حزب الظلام، وتنظيم الدولة الإسلامية ينظر إلى معارضيه على أنهم بغاة وخوارج، وهكذا.

ومن هنا نعلم أنه لا يمكن أن تنجح أي حركة إن لم تنضوي تحت هدف واحد، وراية تبتد تفرقهم وتجمعهم على مطلب ومبدأ واحد، لأن الجهاد الحقيقي مكلف به كافة أفراد الأمة، وليس خاصاً بحزب دون آخر، ولا بتنظيم دون آخر.

وبالنظر إلى واقع المسلمين اليوم، فإن كل الحركات الإسلامية التي عملت بعيداً عن الجماعة باءت بالفشل، وفي كثير من الأحيان اندثرت ولم يبق لها أي أثر، بسبب اللامبالاة في تعاملاتها مع الأسس الشرعية والسياسية للجهاد، فقد تكون الحركة بارعة في مسائل الجهاد، بارعة في تنفيذ الخطط القتالية في أرض المعركة، لكنها فاشلة في عملها السياسي، بعيدة عن إقناع الجانب الآخر بالمنطق والحنكة السياسية، عندها لا يمكن إلا أن تكون النتائج على عكس المطلوب، بل ربما كانت أسوء من المراد كما حصل مع الكثير من تلك الحركات الجهادية.

والذي ينبغي التركيز عليه هو أن تشويه الإسلام المتعمد من قبل الغرب، والعمل على إصاق تهمته

الإرهاب بالإسلام لم يأت عبثاً، إنما كان السبب في ظهوره هو ذلك التأويل الخاطئ من الحركات الجهادية لنصوص الجهاد والقتال، والعمل على تطبيقها دون أن تستوفي كامل الشروط المتعلقة بها، ما جعل الدول الغربية وغيرها من الدول تنظر إلى الإسلام نظرة سوداوية خاطئة بأنه دين العنف والقتل، لا كما يقول المسلمون أنه دين التسامح والسلام.

ومن جانب آخر، فهل هذه الحركات تعمل لصالح المسلمين أم أنها حركات هدامة أضرت بالإسلام والمسلمين؟ والجواب على ذلك يتمثل فيما يلي:

مهما يكن توجه تلك الحركات، فإن النظر إليها ينبغي أن يكون من منظور الشريعة الإسلامية دون الخروج عن اجماع الأمة، لأن من الخطأ الجسيم أن تنفرد حركة من الحركات الجهادية باستلام زمام الحكم، منفردة به متجاوزة مبدأ الشورى في الإسلام.

وحتى لا نبخس المجاهدين جهادهم، لا بد من التوضيح بأن المجاهدين في سبيل الله تعالى اليوم لا يحتاجون إلى تذكيرهم بضرورة التضحية والفداء، فالواقع الذي أظهره يدل على أنهم تجاوزوا هذه المرحلة، وإنما الذي يحتاجون إليه هو الخضوع للجانب الشرعي للجهاد، مع التنسيق التام للجانب السياسي بحيث لا تخرج السياسة عن روح التشريع، فلا ريب أن هذه الحركات تملك طاقة جبارة في سيرها نحو تحقيق أهدافها، حتى غدا الموت والحياة عند أفرادها سواء، بل الموت في طلب الشهادة مقدم على الحياة عندهم، لكن هذا لا يعني اغفال الجانب الشرعي والأخلاقي والسياسي، وهذا الحال لا يبرر لهم التغطاي عن جانب التدبير والاحتياط، ولا يسوغ لهم أن لا تكون عندهم خطط سياسية واضحة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسَلَّمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: 261]

[94]، يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: " يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة ... فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة ... ما به يعرف دين العبد وعقله ووزانته، بخلاف المستعجل للأمر في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي " ³²²، فإذا افتقد جهادهم لهذه المعايير، انقلب هذا الجهاد إلى انتحار من غير مقابل.

ولذلك فإن الحركات الجهادية اليوم بأمس الحاجة إلى مشروع متكامل، مبني على أسس وقواعد متينة تبين للعالم بأسره الرسائل الأخلاقية والتوجه السياسي الذي تتبناه، دون التركيز على الأقل في العصر الحاضر على أسباب القتال الدينية، وأن الجهاد مسألة عقدية بين الإيمان والكفر.

وإنما ينصب التركيز على أن القتال في الإسلام إنما شرع لمحاربة الظلم والاعتداء، ولا شك أن التركيز على هذه النقطة الهامة هو من الجهاد بعينه، لأن القتال غالباً ما يكون دفاعاً عن الحرية والكرامة والحقوق المسلوبة.

وبناء على ذلك، فإنه من الأنسب في الوقت الحالي أن يكون الجهاد من أجل الوطن واستقلاله، دون الإخلال بمضون الجهاد الذي يرضي الله تبارك وتعالى، ويزيد هذا المفهوم صحة عندما يتشارك في الدفاع عن الوطن كافة طوائفه، من المسلمين وغيرهم، فقد تكون مكانة هذا المقاتل أفضل عند الله تعالى من ذلك الذي يسعى لحكم الناس واستبدالهم تحت مظلة الدين.

رأي الباحث

³²² عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 194 .

يرى الباحث أن الحركات الجهادية في الزمن الحاضر ينبغي أن تعيد النظر في سياساتها، وأن تحاول التوفيق بين القتال وبين السياسة، بحيث تصل إلى مرادها دون أن يطلق عليها تهم القتل والإرهاب، لا من الحكومات الإسلامية متمثلة بشعوبها، ولا من أعداء الأمة الإسلامية. والله سبحانه وتعالى أعلم.

المطلب الثالث: شبهة دعوى بعض علماء المسلمين أن العلم أفضل ومقدم على الجهاد

لعل الأحداث التي تمر بالمسلمين في الزمن الحالي تسببت في طرح الكثير من الأسئلة والاستفسارات والشبهات حول الجهاد في سبيل الله تعالى، وما يهمننا في هذا المقام تلك الشبهة التي أثارها علماء المسلمين فيما بينهم، وهي هل العلم مقدم على الجهاد، أم أن الجهاد مقدم على العلم. وبذلك انقسم العلماء إلى طرفين، كل منهما يدل على ما ذهب إليه بالبراهين الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما ورد في أقوال السلف والعلماء، طرف قال بأفضلية العلم على الجهاد، وطرف آخر قدم الجهاد واعتبره أفضل من العلم.

الطرف الأول: العلم مقدم على الجهاد

يقول أصحاب هذا الرأي إن طلب العلم والسعي في تحصيله وتعليمه وبذل الوقت في سبيله من أعظم الجهاد، وهذا الأمر قد لا ينتبه إليه الكثير من الناس، لأن من أمضى حياته في سبيل الله تعالى في طلب العلم وتحصيله أفضل من أن يبذل الإنسان روحه في سبيل الله تعالى.

والجهاد سويقات يقاتل فيها المسلم ثم يموت ويرحل إلى الآخرة ليلاقي ربه سبحانه وتعالى وهو راض عنه، وأما طلب العلم فإنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، وليس له وقتاً محدداً، بل ربما يستغرق تحصيله العمر كله، يستغرق فيه الطاقة والجهد والوقت والمال في سبيل ذلك، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿ [التوبة: 122].

وهم يستدلون أيضاً بالحديث الذي يرويهِ أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " ³²³، وكذلك يستدلون أيضاً بالحديث: " عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحبي به الإسلام فيبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة " ³²⁴.

وبناء على هذه الأحاديث يرى أصحاب الرأي أن العلم أعظم من الجهاد لأنه يصل بصاحبه إلى درجة لا يصل إليها المجاهد، ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: " من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه " ³²⁵.

وبهذا يتضح أن طلب العلم أفضل من الجهاد عند هذا الطرف من العلماء، قائلين بأن ثمرات طلب العلم أكثر تعدياً من ثمرات الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن ما من عمل من الأعمال الصالحة إلا وهو بحاجة إلى العلم ويفتقر إليه، بدءاً من الفرائض والواجبات وانتهاءً بالسنن والمباحات، فحتى الجهاد في سبيل الله تعالى وأحكامه تحتاج إلى تحصيل العلم وتفتقر إلى أهل العلم، فكل شيء مبني على العلم، وكل شيء يبدأ بالعلم وينجح به، فالجهاد كما أنه يحتاج إلى إعداد العدة فإنه بالمقابل يحتاج إلى العلم ³²⁶.

³²³ أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى . سنن الترمذي . باب : فضل طلب العلم ، 324/4 ، حديث رقم : 2647 ، حديث حسن غريب .

³²⁴ أخرجه عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي . سنن الدارمي ، باب : في فضل العلم والعالم ، 112/1 ، حديث رقم : 154 ، اسناده مسلسل ، ضعيف .

³²⁵ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي . جامع بيان العلم وفضله . تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، (الرياض : دار ابن الجوزي ، ط 1 ، 1414 هـ ، 1994 م ، 152/1 .

³²⁶ Kuran Yolu Türkçe Meal ve Tefsir, DİB Yayınları, Komisyon, Ankara, 2020, III/75.

الطرف الثاني: الجهاد مقدم على العلم

ويرى أصحاب هذا الرأي من العلماء أن الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل من العلم، وأنه لا يعدله شيء من الأعمال الصالحة، وهم يقولون إن طلب العلم من الجهاد، إلا أنه ليس أفضل من الجهاد في ساحات القتال، واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: " قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعوه، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعوه، قال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القائل بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله " 327.

ويوضحون أن الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم وتحصيله لهما دلالات واضحة على مكانة العلم وفضله، لكنه مهما وصلت مكانته وفضله لا يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك لأن المجاهد يضحي بنفسه وماله في سبيل الله تعالى، ولأن الجهاد كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 95]، والأحاديث الواردة في تأييد معنى الآية كثيرة ذكرناها فيما سبق.

فهم يرون من خلال هذه الآية أن أفضل القربات التي يمكن أن يقوم بها المسلم الجهاد في سبيل الله تعالى، أن للعلم قداسة ومكانة عظيمة، لكنه لا يصل إلى قداسة ومكانة الجهاد، يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى في المغني: " ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين

³²⁷ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني . عمدة القاري شرح صحيح البخاري . باب : فضل الجهاد والسير ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، 82/14 ، حديث رقم : 5872 .

يقاتلون العدو، هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم، فأبي عمل أفضل منه، الناس آمنون وهم خائفون، قد بذلوا مهج أنفسهم " 328.

رأي الباحث

ويتجه رأي الباحث إلى أن التفاضل بين الجهاد والعلم يخضع لعدة اعتبارات جوهرية، تتعلق بمكان الجهاد وزمانه وحكمه وبالمسلم ذاته، فإذا كان الجهاد في مكان وزمان كثر فيه المجاهدون وقل طلب العلم فإنه عندئذ يكون العلم وتحصيله أفضل من الجهاد، والعكس صحيح.

وأما ما يتعلق بحكم الجهاد، فلو كان الجهاد فرض عين، كحالات النفير العام، فإن الجهاد عندئذ أفضل من العلم وتحصيله، بعكس ما لو كان الجهاد فرض كفاية فإن العلم مقدم وأفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى.

وأما ما يتعلق بالمسلم ذاته، فهذا يعود إلى ذكائه وقوة بدنه، فلو كان المسلم قوياً مهاباً شجاعاً مقداماً يُعرف بخبرته في إدارة المعركة فإن الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل من العلم، بغض النظر عن حكم الجهاد، وأما إن كان المسلم ذكياً فطناً، يُعرف بنهمه وحبه للعلم، فإن طلب العلم وتحصيله في هذه الحالة أفضل من الجهاد.

وهكذا يكون الحال بالتوازي مع حال المسلم الذي يعيشه، والذي يراه مناسباً لوضعه وتوجهه، فما يُقدم بالفضيلة عند مسلم معين قد يكون مؤخراً بالفضيلة عند غيره، فقد يكون الجهاد أفضل، وقد يكون العلم في حق غيره أفضل، والله تعالى أعلم.

328 أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي . المغني . 11/13 .

المطلب الرابع: شبهة الإفراط والغلو في الدعوة إلى الجهاد من بعض العلماء

إن تعاليم الإسلام متنوعة ومتكاملة، والمسلم الحق مطالب بالإنقياد لجميع تعاليم الإسلام وتشريعاته، فلا يمكن للإنسان المسلم أن يُظهر إسلامه في بعض التعاليم ويخفيه في تعاليم أخرى، كمن يلتزم بالصلاة ويترك الزكاة.

والحديث هنا عن الجهاد، الذي بدا في الزمن الحاضر عبارة عن أحزاب تعزيتهم الكثير من الإشكالات، بدلاً من أن يكون مسانداً لباقي تعاليم الإسلام وشرائعه، ومن هنا كان ينبغي تسليط الضوء على الجهاد من حيث إنه جزء من تعاليم الإسلام، وليس هو الإسلام بحد ذاته، فالذي ينفي الإسلام عن المتقاعس عن الجهاد ينظر إلى الجهاد على أنه الأساس في دخول الإنسان بالإسلام، وهذا ما لا يمكن أن يقبله عقل ومنطق.

ولا شك أن هذا التماذي والشطط فيه ما فيه من الخروج عن المقاصد التي حددها الشرع الحنيف، لأن الإسلام كما ذكرنا متكامل ومتنوع في شرائعه، فيبقى الفرض فرضاً، ولا يمكن التنازل عنه ليصبح مباحاً مثلاً، ويبقى الواجب واجباً، وهكذا.

والمسلمون بكافة شرائحهم تختلف توجهاتهم وتمسكهم بتعاليم الإسلام، فيمكن للمسلم أن يبرع في جانب وأن يكسل في جانب آخر، وهذه سنة الله تعالى في خلقه.

إن فهم هذا المعنى مهم في أسس العلاقات السليمة بين المسلمين أنفسهم، في علاقاتهم ومعاملاتهم، وإلا تحولت بعض طوائف المسلمين إلى غلاة منغلقين لا يقبلون الطرف الآخر ولا يعترفون به، ولذلك فإن الله تعالى حذر من ذلك، واعتبر أن التماذي والغلو في أحكام الدين وتعاليمه من الضلال، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾

[المائدة: 77]، وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة " 329.

والذي يتأمل في واقع المسلمين الجهادي يعلم أن الأخطاء التي ترتكبها الحركات الجهادية تعود إما إلى الغلو في فهمهم للجهاد وعدم تقبل الآخرين، وإما إلى جعلهم الجهاد أساس الدين وليس جزءاً منه، وبالتالي يترتب على كلا الأمرين إخراج تعاليم الإسلام عن مسارها الصحيح، والتصادم بين طوائف المسلمين بحجة التقصير في تعاليم الشرع الحنيف، وفي مقدمتها تعاليم الجهاد، يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى في رسالة كتبها إلى العابد عبد الله العمري: " إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد. فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر " 330.

إن من مظاهر الغلو في الجهاد أن يعتمد ثلثة من الناس بحصر الدين في الجهاد، حتى إن الكثير من أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى المجاهدين قد أطلقوا الجملة المشهورة: إن الجهاد هو الطريق الوحيد الذي يكفل للمسلمين عزهم ويحل مشاكلهم.

ولو أنهم تأملوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بشقيها المكّي والمدني لعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في كثير من الأحيان يترك الجهاد والقتال ويتبع خطوات السياسة الشرعية بغية استمرارية الدعوة

329 أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي . المجتبى من السنن . (حلب : مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ط 2 ، 1406 هـ ، 1986 م) ، 122/8 ، حديث رقم : 5034 ، حديث صحيح .

330 شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 114/8 .

الإسلامية. إلا أنه الغلو الذي جعل من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله مغيبة تماماً في تصرفات تلك الحركات الجهادية وأقوالها وأفعالها، ولو تساءلنا ماذا نتج عن هذا الغلو؟ فإن الجواب لا يخرج عن هذا الإطار: احتقار كل المفاهيم الأخرى للجهاد، واختزاله بالقتال.

وفي الغالب ينتج عن هذا التصور الشعور لدى تلك الحركات أن مسؤولية الأمة تقع على عاتقها دون غيرها، وأن كل من لا يوافقهم الرأي هو في مصاف أعداء الأمة الإسلامية، ولو كان من كبار العلماء والفقهاء، عدا عن التكفير الذي يمارسونه في حق عامة المسلمين، الذي هو بدوره يسهل الطريق أمام إراقة دماء المسلمين.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: " أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء ... أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبتته ... مخطئاً في نفي ما عليه الآخر ... فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبتته أيسر من إحاطته بما ينفيه " 331.

وفي الختام ينبغي أن يعلم المسلمون وخاصة قادة الحركات الجهادية أن الجهاد هو عبادة عن جملة العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى ومن أجلها، له أسسه وضوابطه في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، موضحة في الكتب الفقهية، بعيدة عن الإفراط والتفريط، ومهما اختلفت الحركات الجهادية فيما بينها ينبغي أن يوجه الجهاد إلى العدو الظاهر المعروف، الجهاد الذي يكون ضد الكفار والمشركين ومن يقف في وجه الدعوة إلى الإسلام.

³³¹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي . اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، (بيروت : دار عالم الكتب ، ط 7 ، 1419 هـ ، 1999 م) ، 145/1 .

رأي الباحث

الأمة اليوم أشد حاجة إلى مراجعة تصوراتها وتفسيراتها تجاه فريضة الجهاد، وتخليص بلاد المسلمين من براثن التجزئة التي عمل عليها أعداء الأمة زمناً طويلاً، حيث جعلوا من فريضة الجهاد سبيلاً لتقاتل المسلمين فيما بينهم، فلن تفلح هذه الأمة ما لم تقم فيما بينها علاقات الأخوة مبنية على النصح والرفق، وتوجيه الجهاد التوجيه الصحيح الذي يكفل للأمة عزها وشرفها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، الحمد لله على ما أنعم وأكرم، الحمد لله الذي أعاني على إتمام هذا البحث، (الجهاد في القرآن الكريم بين تفاسير القدامى والمحدثين -التوظيفات والشبهات- دراسة تحليلية مقارنة)، فقد تم تسليط الضوء على مسألة غدت من أخطر المسائل التي يعاني منها المسلمون اليوم، وهذه المسألة تتعلق بمفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى من حيث التوظيفات والشبهات.

إن الجهاد أصبح اليوم فتنة، حيث استغلت بعض الحركات والتنظيمات الجهادية مبدأ الجهاد واعتبرته ذريعة في قتل المسلمين ومن يعيش في بلاد المسلمين من أهل الذمة والمستأمنين والسيطرة على ممتلكاتهم، ومع كل الأسف ظهر ذلك كله في الزمن الحالي باسم الجهاد.

النتائج

وقد خلص الباحث إلى الاستنتاجات والمعالم الهامة التالية:

1- شرع الله تعالى الجهاد رحمة بالناس جميعاً، وعلى مختلف أديانهم، وذلك من أجل أن يخلص البشرية من الظلم والطغيان، ونشر الإسلام دون الإكراه، مع التأكيد على استعمال السيف في حال وقف الكفار والمشركون صدىً مانعاً في وجه الدعوة الإسلامية، فكما يكون الجهاد بالدعوة والكلمة يكون بالسيف والقوة في سبيل تحقيق العدالة،

الجهاد لإجبار الناس على الدين والدخول في الإسلام، كما يدعي أعداء الأمة الإسلامية.

2- يجب تحديد مفهوم الجهاد ضمن ضوابط القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن المهم أن يأخذ المسلمون ذلك بعين الاعتبار لإغلاق الباب أمام من يريدون شق صفوف المسلمين بتشكيكهم بأمور

دينهم وخاصة في الزمن الذي نعيش فيه، إذ كثر في الآونة الأخيرة جماعات زعمت أنها جهادية، مختلفة في التوجهات والمقاصد والسلوك، فأخطأ من هذه الجماعات الكثير، وأصاب القليل.

3- اتفق غالب المفسرين القدامى وبعض المفسرين المحدثين، سواء من فسر بالمأثور أو بالرأي أن آيات الجهاد إذا أطلقت ولم تقيّد بقرينة تصرفها إلى معنى آخر فإنها تحمل آنذاك على معنى الجهاد القتالي: أي قتال الكفار والمشركين، وأنها إذا قيدت بقرينة تصرفها إلى معنى آخر فإنه عندئذ وجب العمل بما تصرفه إليه القرينة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج: 78]، فإن مراد الله تعالى في هذه الآية الجهاد في الطاعات من خلال الالتزام بأوامر الله تعالى واجتناب مت نهى عنه.

4- إن المفهوم العام للجهاد يشتمل على جميع مناحي الحياة، وعلى جميع الأصعدة السياسي والإجتماعي والإقتصادي والفكري، وكل واحد من هذه الأصعدة يحمل في طياته صراعاً داخلياً، يحتاج إلى نوع معين من الجهاد .

5- إن مجاهدة النفس تأتي بالدرجة الأولى، أي قبل الجهاد في ساحات القتال، ولا نقصد أن جهاد النفس أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى، وإنما القصد يتجه إلى أن من آثار جهاد النفس الثبات في أرض المعركة، فإذا كانت المقدمات صحيحة فلا يمكن أن تكون النهايات غير ذلك، والعكس صحيح.

6- ينقسم الجهاد إلى نوعين، جهاد الطلب وجهاد الدفع، وغالب المفسرين القدامى والمعاصرين اتفقوا على جهاد الدفع، وإنما وقع الخلاف في مفهوم جهاد الطلب ، ولكل من هذين النوعين مفاهيم ظهرت في العصر الحديث، كالجهاد السياسي، والجهاد الإصلاحي، وجهاد الكلمة، وغيرها.

7- يعرف جهاد الدفع عند العلماء بأنه رد الإعتداء من العدو، أو إذا أراد الإعتداء على الأمة الإسلامية أو على إحدى مجتمعاتها - بمن فيهم غير المسلمين - أو على أحد أفرادها ، وجهاد الطلب بأن تكون اليد العليا للدولة الإسلامية، بحيث تسعى هذه الدولة لنشر الدين الإسلامي، وإزالة الحواجز التي تقف مانعاً في تبليغ الدعوة الإسلامية.

8- ثمة ثلة من العلماء والمفكرين المعاصرين قد انخدع بأراء المستشرقين وتماشى معهم، لينتج عن ذلك غزواً فكرياً تسبب في انقسام علماء المسلمين إلى طائفتين، كل منهما تخطئ الأخرى.

9- عمل بعض المفكرين المعاصرين إلى تفرغ الجهاد من مضمونه، وتعطيله بحجة أنه لا يتوافق والقوانين الدولية الحديثة، وبعض آخر جعل من تلك الأفكار سبيلاً للوصول إلى المآرب التي في غالبها تكون فردية أو حتى جماعية لكنها على مستوى محدود من فئات الشعب.

10- في الحقيقة إن الأفكار الجديدة التي جاء بها المفكرون تحتاج في معظمها إلى إعادة النظر، والتوسع في مضامينها وقياسها على أقوال العلماء والمفسرين، ومن ثم توضيح إلى أي مدى تناسب حال ومصالحة المسلمين، وهذا يتطلب من علماء المسلمين توحيد الجهود في عقد المؤتمرات والأندية العلمية التي تجمع أقطاب الفقهاء والمفسرين المتواجدين في كافة البلاد الإسلامية، ليس من أجل توضيح الأفكار المنحرفة حول مفهوم الجهاد، وإنما لوضع وتحديد الضوابط الشرعية للجهاد، بحيث ينقطع الطريق أمام بعض المفكرين المعاصرين الذي أطلقوا في الآونة الأخيرة تصورات خاطئة للجهاد إرضاء لجهات معينة بقصد أو بغير قصد.

11- إن كلا النوعين من الجهاد، الدفع والطلب تداخلت قضاياها في بعض الأحيان بالجانب الفقهي، فكان لا بد من الرجوع إلى المصادر الفقهية في المذاهب الأربعة لمعرفة أحكام الجهاد الخاصة بكل النوعين من جميع جوانبهما.

12- اتضح من نصوص الفقهاء أن الجهاد إما لدفع العدو الذي يريد أن يسيطر على بلد من بلاد المسلمين وينهب خيراتها، وإما أن يكون لنشر الدعوة الإسلامية ومحاربة من يمنع إيصالها إلى جميع الناس، فأما الأول فلم يختلف عليه أحد، حتى أن العهود والمواثيق الدولية أثبتت الحق لأي شعب أن يدفع العدو والمعتدي بالوسيلة المتاحة لديه، وأما الثاني من أنواع الجهاد وهو جهاد الطلب، فهو الذي وقع فيه الاختلاف، فالبعض من الفقهاء اعتبره فرض عين، والبعض الآخر اعتبره فرض كفاية، وظهر قول وسط عند بعض الفقهاء بأن الأمر يعود إلى حال المسلمين وقوتهم، وأما عند المفكرين المفسرين المعاصرين، فقد انقسموا إلى طائفتين، الأولى منها تذهب إلى ما ذهب إليه الفقهاء، والطائفة الثانية تنادي بإبطاله وتعطيله بحجة مخالفته للمواثيق الدولية، وقد تم ذكر أقوال المفكرين والمفسرين المعاصرين تحت مطلب حكم الجهاد وذلك لأن هؤلاء المفكرين إنما استهدفوا روح الجهاد، فبينما يختلف الفقهاء والمفسرون في جهاد الطلب بين الفرض وفرض الكفاية، جاء هؤلاء ليبطلوا ويعطلوا جهاد الطلب نهائياً، فكان لا بد من ذكر آرائهم والرد عليها في ذلك المقام.

13- عمل أعداء الأمة الإسلامية وفي مقدمتهم أمريكا والدول الغربية على تجنيد الشباب المتحمس من المسلمين الذي يعيشون في تلك الدول من خلال عمل استخباراتي وإرسالهم إلى البلاد التي تعيش صراعات داخلية وحروباً بالوكالة، وذلك بهدف التخلص منهم دون بذل العناء والمال في سبيل ذلك، والأهم من هذا العمل على إثارة الطائفية في البلاد الإسلامية، وإظهار المسلمين أمام الدول الأخرى أن الإسلام دين القتل والإرهاب.

14- إن تشويه الإسلام المتعمد من قبل الغرب، والعمل على إصاق تهمته بالإرهاب بالإسلام لم يأت عبثاً، إنما كان السبب في ظهوره هو ذلك التأويل الخاطئ من الحركات الجهادية لنصوص الجهاد والقتال، والعمل على تطبيقها دون أن تستوفي كامل الشروط المتعلقة بها، ما جعل الدول الغربية وغيرها من الدول تنظر

إلى الإسلام نظرة سوداوية خاطئة بأنه دين العنف والقتل، لا كما يقول المسلمون أنه دين التسامح والسلم.

15- تكونت فصائل وتنظيمات وحركات شتى في بعض المجتمعات الإسلامية باسم الجهاد، وفق مخططات لا يعرف مرجعها ولا أهدافها، حتى أن الكثير من تلك الحركات والتنظيمات ظهر فيما بعد أنها عميلة للكيانات الصهيونية والغربية، فكم من قائد لتلك التنظيمات ظهر عند انتهاء المهمة التي أوكلت إليه أنه عميل لأمريكا أو لدولة من الدول التي تعادي الإسلام والمسلمين، هذه الحقائق ليست من نسج الخيال، وإنما وقائع يشهد عليها الآلاف من الناس في الكثير من الدول الإسلامية.

16- كان لمواقع التواصل الاجتماعي الدور البارز في شهرة تلك التنظيمات ونشر مشاريعها، حيث أن بعض التنظيمات الإسلامية والحركات الجهادية تستقطب الدعم الحسي والمعنوي والاقتصادي من خلال تلك الوسائل، وبالتوازي مع تلك الأعمال قامت الدول الغربية وأمريكا باستثمار ما تنشره تلك الحركات والتنظيمات من مقاطع صوتية تهدد الغرب وفيديوهات تحتوي على مشاهد القتل والذبح لتظهره للعالم على أن هذه التنظيمات هي الممثل للدين الإسلامي، ونتج عن ذلك تصورات غريبة سيئة تجاه الإسلام لا يزال المسلمون وإلى يومنا هذا يعانون منها. لا نقول أن مرد ذلك فقط إلى وسائل التواصل الاجتماعي، وإنما الفضل الأكبر يعود لها.

17- في الفترات الأخيرة اعتمدت التنظيمات والحركات الجهادية على بعض الآيات التي وردت وهي تتحدث عن وقائع معينة حصلت مع الرعيل الأول من المسلمين وأسقطوها على حالات صدرت من أناس في الزمن الحاضر على الرغم من مخالفتها للسبب والعلة، وهذا يعني تفسير النصوص وإسقاطها على واقع المسلمين اليوم بما يوافق مصالحهم ومذهبهم.

18- إن الدين الإسلامي بتشريعاته يعتبر مرجعية حقيقية للسياسة، حيث يمكن أن يساهم في زيادة

الوعي في الفكر السياسي، دون الخروج عن روح التشريع، ودون المساس بأحكام الجهاد من خلال تأويلات فاسدة، تخرج الجهاد عن مضمونه وأهدافه، وينبغي على الحركات الجهادية في الزمن الحاضر أن تعيد النظر في سياساتها، وأن تحاول التوفيق بين القتال وبين السياسة، بحيث تصل إلى مرادها دون أن يطلق عليها تهم القتل والإرهاب، لا من الحكومات الإسلامية متمثلة بشعوبها، ولا من أعداء الأمة الإسلامية.

19- إن المذاهب المتعددة والمنتشرة في كافة بقاع البلاد الإسلامية جعلت الدافع الجهادي يختلف من مذهب لآخر، حتى غدا الجهاد ضحية للفكر المذهبي، يهدف إلى نصرة المذهب وأتباعه، لينتج عن ذلك حرب الطوائف التي انتشرت في بلاد المسلمين، ففي الماضي كان من ثمرات التاريخ المذهبي توسع الجهاد وإثراء العلوم الإسلامية بالمسائل الفقهية، مع وجود بعض الاختلافات الفكرية التي لا تفسد للود قضية.

20- عند الحديث عن المذاهب الإسلامية فإننا لا نخص المذاهب الأربعة فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى المذاهب الإسلامية كافة، والحديث عن الاختلاف المذهبي يعني الحديث عن تلك النعرة الطائفية التي لا تعترف بوجود الآخر، والتي أصبحت من الواقع الذي لا يمكن لأي أحد أن ينكره، هذا سني وهذا شيعي، وكل فرقة تنضوي تحتها عدة مذاهب، السني السلفي، والسني الوهابي السني الصوفي وهكذا، وكذلك الفرق الشيعية، فإنه ينضوي تحتها المذاهب الكثيرة، المذهب الزيدي، والمذهب الجعفري والإمامية وغيرها من المذاهب الشيعية المعروفة، وكل طائفة منها تدعي الجهاد نصرة لأفكارها ومذهبها.

21- بعض التنظيمات والحركات الجهادية جعلت من الجهاد سبيلاً للحصول على المزيد من المال، بغض النظر عن الوسيلة التي يحصلون من خلالها فإن كانت الوسيلة شرعية فيها، وإن لم تكن شرعية استعانوا بفتاوى علمائهم، في ظل مبررات وتأويلات ليس لها أي مسوغ في الشريعة الإسلامية، وهذه الحركات تسعى دائماً للبقاء، بالاعتماد على قوى خفية تدعمها في استعداداتها وقوتها، وهذه القوى الخفية غالباً ما تكون من

أمريكا أو من الدول الغربية، لأن تلك الحركات هي في النتيجة تنفذ مخططات تلك الدول التي تحفظ لهم قوتهم ومصالحهم، ولذا وجب على العلماء والمفكرين العمل على تصنيف الحركات الجهادية وفق التوجهات والمعطيات على الأرض لتلك الحركات، إذ القليل من تلك الحركات صادقة في نياتها وأعمالها، والأكثرية عكس ذلك.

22- إن مراحل تشريع الجهاد في بدايات الإسلام كانت في الغالب تتبع لأحوال المسلمين من قوة وضعف، ولكل وضع من أوضاع المسلمين حكمه، وإذا أردنا أن نسقط تلك المراحل على حال المسلمين اليوم، فهذا يستوجب تكثيف الجهود والعمل من قبل جميع أطراف العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين تقرير الحالة الجهادية التي تتوافق مع واقع المسلمين، ومتوازية مع ما شرعه الله تعالى من الأحكام التي تخص الجهاد.

23- إن التفاضل بين العلم والجهاد يخضع لعدة اعتبارات، وهذه الاعتبارات مبنية على حال المسلمين وواقعهم، فالأفضلية تختلف من مكان لآخر، ومن شخص لآخر، ومن حكم لآخر. فما يُقدم بالفضيلة عند مسلم معين قد يكون مؤخراً بالفضيلة عند غيره.

التوصيات

1- يوصي الباحث المجاهدون والمعنيون بأمر الجهاد من أهل الحل والعقد بالاستفادة من المراحل الجهادية التي مر بها جيل كل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم، وكذلك جيل صلاح الدين الأيوبي، وجيل السلطان محمد الفاتح، والرجوع إليها والعمل بالخطوات التي قاموا بها في سبيل الفتح وتحقيق العدل والمساواة، وكذلك جيل الخلافة العثمانية، فهذه الأجيال قد جعلت من الشريعة الإسلامية مرجعاً رئيساً في جهادهم، بل حتى في سياستهم، حيث كانوا من الحرص بمكان على جعل الإسلام المرجع الأساسي في جميع البلاد الإسلامية، فعملوا على انسجام المجتمع تحت راية الإسلام، فنتج عن ذلك التوجه الديني التعايش

والتسامح والسلم الذي عاينه المسلمون وغير المسلمين، ولذا يمكن القول إن زمن الخلافة العثمانية نجحت نجاحاً باهراً في ترسيخ الحقوق الدينية دون أن تميز بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، فكانت مثلاً للتعايش آنذاك بين جميع أفراد المجتمع.

2- يوصي الباحث بأن بعدم إغفال بعض المفاهيم الجديدة للجهاد التي جاء بها بعض المفكرين المعاصرين، وخاصة إذا كانت تلك المفاهيم الجديدة للجهاد تحمل في طياتها الفائدة للمجتمعات الإسلامية متمثلة بالأفراد والجماعات، على أن لا تكون تلك المفاهيم بديلاً للجهاد الذي فرضه الله تعالى في محاربة والمشركين في سبيل نشر الدعوة الإسلامية.

3- يوصي الباحث بضرورة العمل من قبل العلماء والمفسرين في العصر الحالي على توعية المجاهدين التوعية الدينية، من خلال تصحيح النوايا وتوضيح الهدف المنشود من الجهاد، بعيداً عن الطائفية والإنتصار للمذهب والعرق، بحيث يتوجه المجاهد بأعماله إلى الله تعالى نصرته لدين الله تعالى وإعلاء لكلمته، لا من أجل تحقيق مكاسب مادية، ولا من أجل تحقيق منصب دنيوي، فقط من أجل أن يكون جهاده في سبيل الله تعالى، فمن قاتل لإعلاء كلمة الله تعالى ودينه فهو في سبيل الله، ومن قاتل مفاخرة ورياء فهو لا شك في سبيل الشيطان.

4- يترتب على العلماء والفقهاء والمفسرين العمل كل بحسب استطاعته على تفنيد تلك الشبهات التي عمل على إثارتها أعداء الأمة الإسلامية باستخدامهم لبعض المفكرين الإسلاميين، ويكمن ذلك من خلال الكتابات والمقالات والأندية العلمية والاجتماعات الفكرية واللقاءات التوعوية التي توضح أن تلك الشبهات إنما هي تظافر جهود العدو الخارجي مع بعض المفكرين الذين قدموا مصالحهم الشخصية على مصلحة الإسلام والمسلمين.

وفي نهاية البحث يتوجه الباحث إلى الله تعالى أن يصلح حال الأمة الإسلامية، وأن يردها إلى أمر دينها، فهي بأمس الحاجة اليوم إلى عناية الله تعالى ورعايته، وهذا يحتم عليها أن ترجع إلى الله تعالى بتوبة نصوح، وأن تراجع تصوراتها وتفسيراتها لفرائض الله وتشريعات نبيه، وخاصة تجاه فريضة الجهاد، حتى ينظر الله إليهم بعين الرعاية ويخلصهم من براثن التجزئة التي جثمت على صدور المسلمين زمناً طويلاً، وجعلت من المسلمين طوائف ومجموعات تحارب بعضها البعض باسم الجهاد، فلن تفلح هذه الأمة ما لم تقم فيما بينها علاقات الأخوة والمحبة، مبنية على النصح والرفق، وتوجيه الجهاد التوجيه الصحيح الذي يكفل للأمة عزها وشرفها، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: 1-3]، أسأل الله المولى الكريم أن يتقبل مني عملي هذا، أن يعفو عما فيه من زلل، وأن يبلغني منه المراد والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر

1- القرآن الكريم

- 2- إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات . حامد عبد القادر. محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة .
- 3- أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1420 هـ، 1999 م .
- 4- أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، السيد أبو المعاطي النوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، 1998 م.
- 5- الأصبهاني. أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي. درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، السعودية، 1422 هـ، 2001 م .
- 6- الآملي. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 2000 م .
- 7- الألوسي. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ.
- 8- الإيجي. محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الحسيني. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط 1 2004 م.

- 9- البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1987م.
- 10- البخاري. محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. صحيح البخاري، تحقيق محمد بن زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 11- البهوتي. منصور بن يونس بن صلاح الدين الحنبلي. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، دار عالم الكتب، ط1، 1993م.
- 12- البهوتي. منصور بن يونس بن إدريس، كشاف القناع عن متن الإقناع. تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، بيروت: دار الفكر، ط1402 هـ.
- 13- البيضاوي. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1: 1418هـ.
- 14- البيهقي. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: دار الباز، 1414 هـ، 1994 م.
- 15- البيهقي. أحمد بن الحسين الخُسْرُوْجْدِي الخراساني، أبو بكر، كتاب الزهد الكبير، تحقيق: أحمد حيدر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط3، 1996م.
- 16- ابن جزى الكلبي. أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط: 1، 1416هـ، 1995م.
- 17- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،

تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ، 1993م.

18- الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، باب ما جاء في حرمة الصلاة، تحقيق:

بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

19- الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق:

الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 2002 م.

20- أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد. معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة:

جامعة أم القرى، ط1، 1409 .

21- الجصاص. أحمد بن علي الرازي. أحكام القرآن، تحقيق: محمد قمحاوي، بيروت: دار إحياء

التراث العربي، 1405 هـ.

22- ابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي،

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز،

ط3: 1419هـ.

23- ابن حبان. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق

شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ 1993م.

24- ابن حزم الظاهري. علي بن أحمد. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات،

بيروت: دار الكتب العلمية.

25- الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل

في معاني التنزيل، بيروت: دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

26- الخطيب الشربيني. شمس الدين محمد بن أحمد. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ

المنهاج. دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ، 1994.

27- الخلوئي. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، تفسير روح البيان، بيروت: دار

إحياء التراث العربي.

28- الجوزي. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير،

بيروت: المكتب الإسلامي، ط 3، 1404 هـ.

29- الدارمي. عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد. سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد

السبع العلمي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 1407 هـ.

30- أبو داود. سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق محمد بن

عبد المحسن التركي مصر، دار هجر، ط 1، 1419 هـ، 1999 م.

31- أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني.

سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ،

2009 م.

32- الذهبي. شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. سير أعلام النبلاء،

تحقيق: شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ، 1985 م.

33- الرازي. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. مفاتيح الغيب، بيروت: دار

إحياء التراث العربي، ط3: 1420 هـ .

34- الزركشي. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 1،
1376 هـ، 1957 م.

35- الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

36- الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الخوارزمي. الكشاف عن حقائق غوامض

التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـ.

37- الزهري. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري. الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان

عباس، بيروت: دار صادر، ط 1 1968 م.

38- الزيلعي. عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الحنفي. تبين الحقائق شرح كنز

الدقائق وحاشية الشلبي، القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية، ط 1، 1313 هـ.

39- الزيلعي. جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة

في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد. دار ابن خزيمة، ط 1، 1414 هـ.

40- السرخسي. محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة. المبسوط، تحقيق: خليل محي الدين

الميس، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1، 1421 هـ، 2000 م.

41- السعدي. عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير

كلام المنان، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ط 1420 هـ 2000 م.

42- السلمي. محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن،

تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ،
2001 م.

43- السلمي. عبد العزيز بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد، تحقيق: إياد خالد الطباع،

دمشق: دار الفكر المعاصر، ط 1، 1416 هـ.

44- السمرقندي. أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم. بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، بيروت:

دار الفكر.

45- السيوطي. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394 هـ، 1974 م.

46- السيوطي. جلال الدين. جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج

- عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، القاهرة: الأزهر الشريف، ط 2، 1426 هـ،
2005 م.

47- السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع

الصغير، تحقيق يوسف النبھاني، بيروت: دار الفكر، ط 1، 1423 هـ، 2003 م.

48- الشافعي. محمد بن إدريس أبو عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق،

بيروت: دار الكتب العلمية، 1400 م.

- 49- الشافعي. أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي، الأم، بيروت: دار المعرفة، 1410 هـ، 1990 م.
- 50- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، ط1: 1414 هـ.
- 51- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر: دار الحديث، ط 1، 1413 هـ، 1993 م.
- 52- الشيباني. أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد. السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط 1، 1400 هـ.
- 53- أبو بكر بن أبي شيبة. عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الراشد، ط 1، 1409 هـ.
- 54- الشيباني. محمد بن الحسن. شرح السير الكبير إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1417 هـ، 1997 م.
- 55- الصنعاني. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني. تفسير عبدالرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 1419 هـ.
- 56- الصنهاجي. عبد الحميد محمد بن باديس. مجالس التذكير من حديث البشير النذير. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط 1، 1403 هـ، 1983 م.
- 57- الطبري. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل

القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 2000 م.

58- الطوسي. أخرجه أبو علي الحسن بن علي بن نصر، مختصر الأحكام = مستخرج الطوسي

على جامع الترمذي. تحقيق: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط 1، 1415 هـ.

59- ابن عابدين الدمشقي الحنفي. رد المختار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر، ط 2،

1992 م.

60- عبد الله بن عباس رضي الله عنه. تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، جمع: مجد الدين أبو

طاهر الفيروزآبادي، بيروت: دار الكتب العلمية.

61- ابن عجيبة. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي. البحر المديد، بيروت: دار الكتب

العلمية، ط 2: 1423 هـ، 2002 م.

62- ابن عرفة. محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي. المختصر الفقهي، تحقيق حافظ

عبدالرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور، ط 1، 2014 م.

63- ابن عساكر. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة

العمروي، بيروت: دار الفكر، 1415 هـ، 1995 م.

64- العسقلاني. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. فتح الباري شرح صحيح

البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.

65- العسقلاني. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، المطالب العالية بزوائد

- المسانيد الثمانية، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1، 1419 هـ، 1998 م.
- 66- العيني. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين.
البنية في شرح الهداية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420 هـ، 2000 م.
- 67- العيني. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 68- الفيومي. أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
- 69- القاسمي. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. محاسن التنزيل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ.
- 70- ابن قدامة المقدسي. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد. المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلوة، الرياض: عالم الكتب، ط3، 1417 هـ، 1997 م.
- 71- القراني. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994 م.
- 72- القرطي. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1414 هـ، 1994 م.
- 73- القرطي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب

المصرية، ط2: 1384هـ، 1964م.

74- القرطبي. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، **المقدمات الممهديات**. تحقيق محمد حجي،

بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 1988م.

75- القشيري. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**،

تحقيق: إبراهيم البسيوني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3.

130- القنوجي. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري،

نيل المرام في تفسير آيات الأحكام، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية،

2003 م.

76- القنوجي. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري.

فتح البيان في مقاصد القرآن، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412 هـ، 1992 م.

77- القيرواني. أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي

القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره**، تحقيق مجموعة رسائل جامعية، ط1

1429 هـ 2008 م.

78- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **إعلام الموقعين عن رب**

العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 هـ، 1991.

79- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. **زاد المعاد في هدي خير**

العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط27، 1415 هـ، 1994 م.

80- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر شمس الدين، الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2
1973.

81- الكاساني. علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي. بدائع الصنائع في ترتيب
الشرائع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1406 هـ، 1986م.

82- الكتاني. محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني، تفسير القرآن
الكريم.

83- تفسير المنتصر للقرآن الكريم، تفسير سورة العنكبوت موقع الشبكة الإسلامية
..www.islamweb net

84- ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن
محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ.

85- ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن
العظيم = ابن كثير. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ.

88- اللخمي. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي. أبو القاسم الطبراني، المعجم
الكبير. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1415 هـ.

89- الماتريدي. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة،
تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ، 2005 م.

90- ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه.

تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمّد كامل قره بللي، عبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ، 2009 م.

91- الماوردي. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405 هـ، 1985 م.

92- الماوردي. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

93- المراغي. أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1365 هـ، 1946 م.

94- المزني. إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم، مختصر المزني، بيروت: دار المعرفة، 1410 هـ، 1990 م.

95- مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

96- مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

97- ابن المطرزي. أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي. المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، حلب: مكتبة أسامة بن زيد، ط 1، 1979 م.

98- المعافري. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الاشيلي المالكي، أحكام القرآن،

- تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1424 هـ، 2003 م.
- 99- مقاتل. أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي. تفسير سليمان بن مقاتل، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة، بيروت: دار إحياء التراث، ط 1، 1423 هـ.
- 100- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب، بيروت: دار صابر، ط 3، 1404 هـ .
- 101- ابن النجار. تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي. منتهى الإرادات، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1419 هـ، 1999 م.
- 102- النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت: دار المعرفة ط 5: 1420 هـ.
- 103- النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. المجتبى من السنن. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1406 هـ، 1986 م.
- 104- النووي. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط 3، 1412 هـ 1991 م.
- 105- النيسابوري. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط 1: 1415 هـ.
- 106- النيسابوري. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط 1: 1416 هـ.

107- اهتيمي. أحمد بن محمد بن علي بن حجر. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تصحيح لجنة من العلماء، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1357 هـ، 1983 م.

108- الواحدي. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، التفسير البسيط، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط 1، 1430 هـ.

109- الواحدي. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 1994م.

110- يحيى بن سلام. بن أبي ثعلبة. تفسير يحيى بن سلام. تحقيق: هند شبلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: 2004 م.

المراجع

111- أحمد. إبراهيم خليل (من كبار علماء النصارى من الله عليه بالإسلام). محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار، 1409 هـ، 1989 م.

112- الأوبزرفر. الجهاد في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، 24/08/2014،

https://www.bbc.com/arabic/inthepress/2014/08/140823_in_the_pre_ss_on_sunday

113- بسطامي محمد سعيد خير. مفهوم تجديد الدين. جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط 1، 1433 هـ، 2012 م.

114- البغدادي. أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران بن

مهران، أمالي ابن بشران، باب: المجلس الثامن والثلاثون والستمائة، الرياض: دار الوطن، ط 1، 1418 هـ،
1997 م .

115- أبو البقاء الهاشمي. صالح بن الحسين الجعفري. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق:

محمود عبدالرحمن قدح، الرياض: مكتبة العبيكان، ط 1، 1419 هـ، 1998 م.

116- البنا. جمال، الجهاد أضغاث أحلام. بدون طبعة وتاريخ.

117- البنا. حسن، رسائل الشهيد حسن البنا. بدون طبعة وتاريخ.

118- البوطي. محمد سعيد رمضان. الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، دمشق: دار

الفكر، ط 1، 1414 هـ، 1993 م.

119- البوطي. محمد سعيد رمضان، شخصيات استوقفتني، دمشق: دار الفكر، ط 7، 2008

م.

120- البوطي. محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة،

دمشق: دار الفكر، ط 25، 1426 هـ.

121- البوطي. محمد سعيد رمضان. يغالطونك إذ يقولون، دمشق: دار الصديق للعلوم، ط

1431 هـ، 2010 م، ص 256.

122- ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،

تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت: دار عالم الكتب، ط 7، 1419 هـ، 1999 م.

- 123- الحميدي. محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: د.علي حسين البواب، بيروت: دار النشر، ط 2، 1423 هـ، 2002 م.
- 124- خطاب. محمود شيت. إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، دار الفكر، ط 2، 1393 هـ، 1973 م .
- 125- الدقس. كامل سلامة، الجهاد في سبيل الله، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط2، 1409 هـ، 1988 م.
- 126- الراشد. عبدالرحمن بن عبدالله. الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة، رسالة ماجستير، الرسائل العلمية 1403 هـ.
- 127- رشيد رضا. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا. تفسير القرآن الحكيم، المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 98/1.
- 128- الزحيلي. وهبه، آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، دمشق: دار الفكر.
- 129- الزحيلي. وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر، ط 4، 317/8.
- 130- الزرقا. أحمد بن الشيخ محمد. شرح القواعد الفقهية، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا، دمشق: دار القلم، ط 2، 1409 هـ، 1989 م.
- 131- أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. زهرة التفاسير. دار الفكر العربي.
- 132- السقار. منقذ بن محمود. التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم. مكة: رابطة العالم الإسلامي، ط 1، 1427 هـ، 2006 م.

- 133- أبو سليمان. عبد الحميد أحمد. الإصلاح الإسلامي المعاصر، قراءات منهجية اجتماعية، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2010 م.
- 134- سيد قطب إبراهيم. في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق.
- 135- سيرت وآرنولد. الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- 136- الشحود. علي بن نايف. الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، الفصل الثامن: وسائل التواصل، الحضارة الإسلامية وأسباب سقوطها وعوامل النهوض بها.
- 137- الشحود. علي بن نايف، الخلاصة في أهداف القتال في الإسلام، بهانج، دار المعمور، 1430 هـ، 2009 م.
- 138- الشحود. علي بن نايف، المفصل في فقه الجهاد، ط 4، 1433 هـ، 2012 م.
- 139- الشوبكي. محمود يوسف. مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب. بحث مقدم إلى مؤتمر: الإسلام والتحديات المعاصرة، 2007 م.
- 140- شوقي ضيف. أحمد شوقي عبد السلام ضيف. الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، ط 13.
- 141- الشعراوي. محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطبعة أخبار اليوم.
- 142- الطنطاوي. علي بن مصطفى. ذكريات، تصحيح: مجاهد مأمون ديرانية، جدة: دار المنارة، ط 5، 1427 هـ، 2006 م.

- 143- الطنطاوي. علي بن مصطفى. في سبيل الإصلاح، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط 4، 1416 هـ، 1996 م.
- 144- عبدالعزيز. جمعة أمين. الفريضة المفترى عليها، الجهاد في سبيل الله، الإسكندرية: دار الدعوة، ط 1، 1418 هـ، 1997 م.
- 145- العثيمين. محمد بن صالح بن محمد. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين. جمع: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الوطن، الطبعة الأخيرة، 1413 هـ.
- 146- العدناني. أبو محمد. في كلمة له بثتها وسائل الإعلام، تاريخ 2013/08/31 م.
- 147- العراقي، ابن السبكي، الزبيدي. تخریج أحاديث إحياء علوم الدين. الرياض: دار العاصمة للنشر، ط 1، 1408 هـ، 1987 م.
- 148- العراقي. أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخریج ما في الإحياء من الأخبار، بيروت: دار ابن حزم، ط 1، 1426 هـ، 2005 م.
- 149- عز الدين. عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
- 150- عزام. عبدالرحمن. الرسالة الخالدة. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 2010 م.
- 151- العفاني. أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، 1424 هـ، 2004 م.

- 152- العقبي. حسن موسى محمد، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، 1426 هـ، 2005 م.
- 153- العقلا. عبد الله بن فريح، معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً، الرياض: مكتبة الرشد، ط 1، 1423 هـ، 2002 م.
- 154- عمارة. محمد. السماحة الإسلامية، حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 1423 هـ، 2005 م.
- 155- أبو عمر. عمر بن محمود. الجهاد والاجتهاد، تأملات في المنهج، عمان: دار البيارق، ط 1، 1419 هـ، 1999 م.
- 156- العقاد. عباس محمود. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. القاهرة: دار نهضة مصر، ط 4، 2005 م.
- 157- عودة. عبد القادر. الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه. الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، ط 5، 1405 هـ، 1985 م.
- 158- غوستاف لوبون. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 م.
- 159- القرضاوي. يوسف، فقه الجهاد، دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، القاهرة: مكتبة وهبة، ط 4، 1435 هـ، 2014 م.
- 160- القرضاوي. يوسف، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، القاهرة: دار الشروق، ط 3،

2011 م.

161- القرضاوي. يوسف. من عجائب ما قالوا في النسخ:

30/10/2018 ، <https://www.iumsonline.org/fa/ContentDetails.aspx?ID=8869> م .

162- قطب. محمد. واقعنا المعاصر، القاهرة: دار الشروق، ط 1، 1418 هـ، 1997 م.

163- القطوب. ثائر عمر عبد الحفيظ، الجهاد في فكر سيد قطب، رسالة مقدمة لنيل الماجستير،

2017 م.

164- الكافي. محمد بن يوسف، المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، القاهرة:

مطبعة حجازي، 1353 هـ، 1934 م.

165- الكيالي. عبدالرحمن، الجهاد السياسي. حلب: المطبعة العصرية، ط 1، 1946 م.

167- مجموعة من العلماء، تأليف مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط 1، 1393 هـ، 1973 م.

168- منشورات رئاسة الشؤون الدينية. الداعش تنظيمًا مستفلاً للدين، لابساً ثياب الذعر

والرعب والقتل، أنقرة: ط 2، 2018 م .

169- المودودي. أبو الأعلى. الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، الكويت: دار القلم، ط

4، 1400 هـ، 1980 م.

170- المهاجر عبدالله. مسائل من فقه الجهاد. عشرون مسألة من أهم ما يحتاجه المجاهد، مكتبة

الهمة، ط 2، 1436 هـ.

171- ناجي. أبو بكر. إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، مركز الدراسات والبحوث

172- الناصر. محمد حامد، *العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب*. الرياض: مكتبة

الكوثر، ط2، 1422 هـ، 2001 م.

173- هويدي. فهمي، *مواطنون لا ذميون*، القاهرة: دار الشروق، ط2، 1410 هـ، 1990 م.

174- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت. *الموسوعة الفقهية الكويتية*. الكويت: دار

السلاسل، 1404-1427 هـ.

175- اليعمري. إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين. *تبصرة الحكام في أصول*

الأقضية ومناهج الأحكام

القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1، 1406 هـ، 1986 م.

Türkçe Kaynaklar

1- Şimşek, M. Sait, *Hayat Kaynağı Kur'an Tefsiri*, Beyan Yayınları, I-V, İstanbul, 2012.

2- Bilmen, Ömer Nasuhi, *Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meâl-i Âlisi ve Tefsiri*, Bilmen Yayınları, İstanbul, 1985, V/2255.

3- İmamoğlu, İbrahim Hakkı, "Vahyin Nüzûl Sürecinde Hitabın "Ötekisi" (Tanım-TutumHukuk)", *İnsan ve Toplum Bilimleri Araştırmaları Dergisi*, 2020, cilt: IX, sayı: 3, s. 2717-2739.

4- Köse, Saffet, "Cihat Kavramı Şiddete Referans Olabilir mi?" , *Din ve Dünya Barışı: Uluslararası Sempozyum, 26-28 Nisan 2007, İstanbul*, 2008, s. 168-202.

5- *Kuran Yolu Türkçe Meal ve Tefsir*, DİB Yayınları, I-V, Komisyon, Ankara, 2020.

6- Yazır, Elmalılı M. Hamdi, *Hak Dini Kur'ân Dili*, I-X, Yenda Yayınları, İstanbul, trs.

7- Yıldırım, Celal, *İlmin Işığında Asrın Kur'an Tefsiri*, Anadolu Yayınları, I-XIV İstanbul, trs.

السيرة الذاتية

تخرج الباحث في جامعة دمشق - كلية الشريعة عام 2007 م، بتقدير جيد جداً، وتابع دراسة الماجستير في لبنان / جامعة الجنان، قسم العلوم الإسلامية العامة / التفسير، 2008-2009، أعاد الباحث دراسة الماجستير في تركيا في جامعة إغدير، قسم العلوم الإسلامية / التفسير، 2017-2018، وتخرج فيها في بدايات 2019، للباحث عدة مقالات نشرت في مجلات تحكيمية، النصر في القرآن الكريم، مفهوم السلام في الإسلام، الموضوعات الشعرية الشائعة في ديوان الإمام الشافعي - دراسة وتحليل، قام الباحث بتحكيم ست مقالات نشرت في المجلات الرسمية، للباحث كتاب مطبوع باللغة التركية بعنوان أسباب النصر وموانعه في القرآن الكريم.

يعمل الباحث مدرساً للغة العربية في مدينة قارص التركية، جامعة القوقاز - كلية الشريعة، 2017 م

- 2023 م.



**KUR'AN'DA CİHAT AYETLERİNİN ESKİ VE
YENİ YORUMLARI (ELEŞTİREL BİR
ÇÖZÜMLEME ÇALIŞMASI)**

**2023
DOKTORA
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ**

Mahmud CÜNEYT

**Tez DANIŞMANI
Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU**